الفرقان
من قصص القرآن

قدّم لها

فضيلة الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان -حفظه الله-

أعدّها

أبو إسلام

صالح بن طه عبد الواحد

إمام وخطيب مسجد إبراهيم الحاج حسن

الأردن - عمان

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فهذه مجموعة مفيدة من خطب عديدة، تخصّ موضوعا تشتاق إليه النفوس، وتستنبط منه العبر والدروس، جمع فيها مؤلّفها أخونا الفاضل الشيخ أبو إسلام صالح بن طه عبد الواحد **(قصص القرآن الكريم)**، وخصّ هذه المجموعة لـ(قصص القرآن) وجعلها لغير قصص الأنبياء، وسماها «**الفرقان من قصص القرآن**» ومدار معنى الفرقان يدرور على: النصرة، النجاة، التمييز بين الحق والباطل، وهذه المعاني الثلاثة هي الشاملة لفحوى القصص المذكورة في هذا الكتاب، فله من اسمه – إن شاء الله تعالى – كبير النصيب.

عرض أخونا – حفظه الله – على المنبر هذه القصص، سارداً إياها، مستدلاً لها بالآيات الكريمة، ثم معقّبا بالدروس والعبر المستنبطة منها، مؤكداً كل عبرة بأدلة نقلية، محلّيا الدروس والمواعظ بالآثار السلفية، والأشعار الزهدية.

أسأل الله عز وجل أن ينفع بهذه المجموعة، وأن يُيسر لمؤلفها تتمة المجموعات الأخرى حول (قصص القرآن) التي فيها (قصص الأنبياء) وأن يجعلها خالصة لوجهه سبحانه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتب

أبو عبيدة

مشهور بن حسن آل سلمان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة وكل ضلالة في النار.

عباد الله! هذه سلسلةٌ جديدةٌ من خطب الجمعة بعنوان: قصص القرآن وكلامنا فيها سيكونُ على أربعةِ أجزاء:

- **الجزء الأول**: الفرقان من قصص القرآن، وسنتكلم فيه عن قصص القرآن من غير قصص الأنبياء.

وهو هذا الكتاب الذي بين يديك.

- **الجزء الثاني**: البيان من قصص القرآن، وسنتكلم فيها عن قصص الأنبياء من غير أولي العزم من الرسلِ.
- **الجزء الثالث**: البرهان من قصص القرآن، وسنتكلم فيه عن قصص أولي العزم من الرسل.
- **الجزء الرابع**: اللؤلؤ والمرجان من قصص القرآن، وسنتكلم فيه عن قصة رسولنا ﷺ كما جاءت في كتاب الله.

فنسأل الله في علاه التوفيق والسداد وأن يجعل ذلك في ميزان حسناتنا يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم.

كتبه

أبو إسلام

صالح بن طه عبد الواحد

١
أهمية القصص في القرآن

إنّ الحمدَ لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، مَن يهده اللهُ فلا مضل له ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران:١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء:١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب:٧١].

أما بعد؛ فإنَّ أصدقَ الحديث كتاب الله، وخيرَ الهدي هديُ محمّدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ وكلَّ ضلالةٍ في النار.

عباد الله! موعدُنا في هذا اليومِ -إن شاء اللهُ تعالى- مع سِلسلةٍ جديدةٍ مِن المَواعظِ بعنوان:

«الفرقان من قَصَصِ القرآن دروسٌ وعظاتٌ وعبر»

عبادَ الله! والذي دفعني للحديثِ عنْ هذا الموضوعِ أمورٌ:

الأمرُ الأوَّلُ: قبل سنتين تقريباً طلَبَ مني بعضُ طلابِ العلمِ المحبّينَ -جزاهم اللهُ خيراً- أنْ أتكلم في خُطبِ الجمعةِ عنْ قَصَصِ القرآنِ وبالتحديدِ عنْ قَصَصِ الأنبياءِ، فأخَذتُ أفكر في هذا الموضوع حتى جاء وقته.

الأمرُ الثاني: قبل شهرينِ تقريباً رأيتُ في مَنامي أني أَخطُبُ في الناسِ خُطبةِ الجمعةِ وأحدثهم عن قَصَصِ القرآنِ، وبالتحديدِ عن قَصَصِ الأنبياءِ، وبالتحديد عنْ قِصّة نوحٍ عليه السلام، فكان مما قلتُ في خُطبتي تلك: إنّهُ يَجبُ على الدعاةِ إلى الله أنْ يصبروا على دعوَتِهم للناسِ كما صبرَ نوحٌ عليه السلام في دعوتِهِ لقومِهِ ألفَ سنةٍ إلّا خمسينَ عاماً يدعوهم ليلاً ونهاراً، سِراً وجهراً، ترغيباً وترهيباً، لا يَكلُّ ولا يمِلُّ.

فلمّا رأيتُ هذه الرؤيا، انشرحَ صدري للحديث عن قصص القرآن عامة وعن قصص الأنبياء خاصة، فاستخرتُ اللهَ عز وجل في الحديث عن هذا الموضوع في هذا الوقت بالذات فشرح الله صدري لذلك.

الأمرُ الثالثُ: إني تأملت في مطلع سورة يوسف عليه السلام حيث يقول الله سبحانه وتعالى لرسولِهِ صلى الله عليه وسلم: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف:١-٣].

وبعد أن قصَّ اللهُ عز وجل على رسولِهِ صلى الله عليه وسلم قصّةَ يوسفَ عليه السلام، -وهي من أطولِ القصصِ في القرآنِ-، ختم سبحانه وتعالى هذه السورة الكريمة بقوله:

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [يوسف: ١١١].

فتبيَّنَ لي أنَّ الخيرَ كلَّهُ للأمَّةِ الإسلاميةِ في الرجوعِ إلى القرآنِ، وفي التفكُّرِ في قَصَصِ القرآنِ عامةً وفي قَصَصِ الأنبياءِ خاصةً، وخاصةً في هذا الزمان الذي علا فيه الباطلُ، فهذا يجعلُ الفئةَ المؤمنةَ تثبتُ على ما هي عليه من الحقِّ ويتبينُ لهم أنّ العاقبةَ للمتقينَ وأنه مهما علا الباطلُ فلا بُدَّ أن يأتي الفجرُ الذي يزولُ فيه هذا الظلامُ.

الأمرُ الرابعُ: وجدتُ أنَّ اللهَ ﷻ يقصُّ على رسولِه ﷺ في كتابه قَصَصَ الأقوامِ السابقينَ وما جرى لهم فقال سبحانه وتعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [طه:٩٩].

ثمَّ عقّبَ ربُّنا ﷻ على قَصَصِ الأقوام السابقينَ وما جرى لهمْ بقوله: ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الأعراف:١٠١].

وبقوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [هود: ١٠٠-١٠٢].

عباد الله! وقد أمر اللهُ ﷻ رسولَهُ ﷺ بأن يَقُصَّ تلك القصص على الناس وبيّن أن هذا قد يَدفعُ السامعينَ إلى التفكُّرِ والإعتبارِ، فقال تعالى: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾ [الأعراف].

عبادَ الله! هذه أمورٌ دفعَتْني للحديثِ عنْ قَصَصِ القرآنِ عامةً وعن قَصصِ الأنبياءِ خاصّةً، ليهلِكَ مَنْ هلك عن بينةٍ ويحيا من حيّ عنْ بينةٍ.

عباد الله! وكلامنا في هذه السلسلة (قصص القرآن) سيكون في أربعة أجزاء:

الجزء الأول: الفرقان من قصص القرآن، وسنتكلم فيه عن قصص القرآن من غير قصص الأنبياء.

الجزء الثاني: البيان من قصص القرآن، وسنتكلم فيه عن قصص الأنبياء من غير أولي العزم.

الجزء الثالث: البرهان من قصص القرآن، وسنتكلم فيه عن قصص أولي العزم من الرسل.

الجزء الرابع: اللؤلؤ والمرجان من قصص القرآن، وسنتكلم فيه عن قصة رسولنا ﷺ كما جاءَت في كتاب الله.

عبادَ الله! وكلامُنا في الجزء الأول سيكونُ على قسمين:

القسمُ الأولُ: أهمية القصَصِ في القرآنِ.

القسمُ الثاني: قَصص القرآنِ مِنْ غيرِ الأنبياءِ والمرسلينَ:

كقِصةِ أصحاب الكهفِ، وقصةِ صاحبِ الجنتينِ، وقصةِ ذي القرنينِ، وقصةِ قارونَ، وقصة سبأ، وقصةِ أصحابِ الأخدودِ، وقصةِ أصحابِ الفيل وغيرها.

نبدأ بالقسمُ الأولُ: أهميةُ القَصَصِ في القرآنِ

عباد الله! تَظهَرُ أهميةُ قَصَصِ القرآنِ فيما يلي:

أولاً: قَصَصُ القرآنِ هو القَصَصُ الحقُّ:

لأنَّ الله ﷻ يقول في وصفِهِ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ [آل عمران:٦٢].

وقال تعالى: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الكهف: من الآية ١٣].

وقال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الأنعام].

عباد الله! قَصَصُ القرآنِ هو القَصصُ الحقُ لأنَّ الذي يقصُّهُ علينا ويُخْبرنا بهِ هو الله سبحانه وتعالى الذي قال عن نَفسِهِ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء].

قَصَصُ القرآنِ هو القَصَصُ الحقُّ لأنَّ اللهَ ﷻ أخبرنا بهِ في كتابِهِ الذي قال في وَصفِهِ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت].

ثانياً: قَصَصُ القرآنِ هُوَ أحسَنُ القَصَصِ:

قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ [يوسف:٣].

فكلُّ ما قصَّهُ اللهُ علينا في كتابِهِ هو أحسنُ القَصَصِ لأنَّ اللهَ ﷻ قال: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ وهذا يتناوَلُ كلَّ ما قصَّهُ الله تعالى في كتابه.

وإذا كان ما قصّهُ اللهُ علينا في كتابِهِ هو أحسن القَصصِ فلا ينبغي لأحدٍ أن يلتفتَ إلى غيرِهِ ولذلك لـمّا أتى عمرُ بن الخطاب بكتابٍ أصابَهُ مِن بعضِ أهلِ الكتابِ فقَرأهُ النبيِّ ﷺ فغضبَ ﷺ وقال: «**أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب؟! والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق**

فتكذّبوا به ،أو بباطل فتصدّقوا به، والذي نفسي بيده، لو أن موسى ﷺ كان حيًّا ما وسعه الا أن يتبعني»(١).

و في لفظٍ: «**أنَّ النبيَّ ﷺ غضب حين رأى مع عمر صحيفة فيها شئ من التوراة وقال : «أفي شك أنت يا ابن الخطاب؟ ألم آت بها بيضاء نقيّة؟ لو كان أخى موسى حياً ما وسعه إلا اتّباعي»**(٢).

ثالثاً: في قَصَص القرآنِ عبرةٌ لأولي الألباب:

عباد الله! أصحابُ العقول السليمة يأخذون من قصص القرآن الدروس والعظات والعبر، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف: ١١١].

عبادَ الله! ومِنَ الدروسِ والعظاتِ والعِبرِ التي تؤخذُ مِنْ قَصَصِ القرآنِ ما يلي:

١ – المعاصي سببٌ لزوالِ النِّعَمِ:

عبادَ الله! على العاقل أن يتفكر ويعتبر بما أخبرنا الله به عن أقوام أنعم الله عليهم بأنواع النّعم فقابلوا هذه النعم بالكفر والمعاصي فكانت النتيجة زوال النعم من بين أيديهم.

---

(١) **حسن**:أخرجه أحمد (٣/ ٣٨٧)، وابن أبي شيبة (٥/ ٣١٢)، [«إرواء الغليل» (رقم ١٥٨٩)].

(٢) المصدر السابق.

ومن الأمثلة على ذلك قصّةُ صاحبِ الجنتينِ المذكورة في سورةِ الكهفِ الذي تكبّر على صاحبه وافتتن بجنتيه ولم يشكر، فزالت النعمة من بين يديه فأخذ يندم في وقت لا ينفع فيه النّدم، قال تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾ [الكهف: ٤٢].

وكقِصَّةُ سبأ: وهم قومٌ أنْعمَ اللهُ عليهم بِنِعَمٍ كثيرةٍ؛ من المال والجنّات -أي البساتين- والأمنِ والأمانِ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾ [سبأ: ١٥].

فلم يشكروا وقابَلوا هذه النعمَ بالإعْراضِ والكفرِ فزالت النِّعَمُ مِنْ بين أيديهم، قال تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ [سبأ: ١٦-١٧].

وكقِصَّةُ أصحابِ الجنَّةِ الذين اعتدوا على حق الفقراء والمساكين وقرّروا بالليل أنْ يحرموا الفقراءَ والمساكينَ من ثمارِ جَنّتِهم. قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾﴾ [القلم: ١٧-١٨] وفي الصباح خرجوا إلى بستانهم وهم مُصِرُّونَ على حرمان الفقراءِ والمساكين: ﴿فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [القلم: ٢١-٢٥].

فلما أصرّوا وأجمعوا على حرمان الفقراءِ والمساكينِ حقهم، حرمهم اللهُ جنتَهم، قال تعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ [القلم: ١٩-٢٠].

فلما وَصَلوا إلى جنتهم كانت المفاجأةُ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [القلم].

يذكر ربُّنا هذه القصّة ليعتبرَ ألوالألباب، فيقول ربُّنا ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ﴾ أيّها الغنيُّ! الذي تفكرُ في حرمان الفقراءِ والمساكين ﴿كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٣٣﴾ [القلم].

٢- المعاصي سببٌ لهلاكِ الأفرادِ والأممِ والشعوبِ والقرى:

عبادَ الله! انظروا في هذا الوقت يتبين لكم كيف أهلك الله أفراداً وأهلكَ شعوباً وأهلك أمماً وأهلك قرىً بسببِ المعاصي ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ٨٣﴾ [هود:٨٣].

قال تعالى بعد أن قصّ على رسولِهِ قَصَصَ الأقوام السابقينَ وكيف أهلكهم بعد أنْ كذبوا رُسُلَهُ : ﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٤٠﴾ [العنكبوت:٤٠].

وقال تعالى: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدٗا ٥٩﴾ [الكهف:٥٩]. وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ ٥٩﴾ [القصص:٥٩]. وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ٦﴾ [الأنعام:٦].

عبادَ الله! وهل في الدنيا والآخرةِ شرٌّ وداءٌ إلّا وسببُهُ الذنوبُ والمعاصي؟!

فما الذي أخرجَ الأبوينِ مِن الجنةِ، دارِ اللذّةِ والنعيم والبهجةِ والسرورِ، إلى دارِ الآلامِ والأحزانِ والمصائبِ؟!

وما الذي أخرج إبليسَ من ملكوتِ السماءِ وطرده ولعنه ومسخ ظاهرَه وباطنَه وبُدّل بالقربِ بعداً، وبالرحمةِ لعنةً، وبالجمالِ قبحاً، وبالجنةِ ناراً تلظّى؟!

وما الذي أغرق أهلَ الأرضِ كلَّهم حتى علا الماءُ فوقَ رؤوسِ الجبال؟!

وما الذي سلّط الريحَ على قومِ عادٍ حتى ألقتْهم موتى على وجهِ الأرضِ كأنهم أعجازُ نخلٍ خاويةٍ؟!

وما الذي أرسل على قومِ ثمودَ الصيحةَ حتى قُطِّعت قلوبُهم في أجوافِهم وماتوا عن آخرهم؟!

وما الذي رفع القرى اللوطيةَ إلى السماءِ الدنيا حتى سمعت الملائكةُ نبيحَ الكلابِ، ثم قلبها عليهم، فجعل عاليها سافلها، فأهلكهم أجمعينَ، ثم أتبعهم حجارةً من السماءِ أمطرها عليهم، فجمع عليهم من العقوبةِ ما لمْ يجمعْهُ على أمةٍ غيرِهم؟! ولإخوانهم أمثالها: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ [هود].

وما الذي أرسل على قومِ شعيبٍ سحابَ العذابِ كالظللِ، فلما صار فوقَ رؤوسِهِم أمطرَ عليهم ناراً تلظى؟!

وما الذي أغرق فرعونَ وقومَهُ في البحر ثم نقلت أرواحهم إلى جهنمَ، فكانت الأجسادُ للغرقِ والأرواحُ للحرقِ؟!

وما الذي خسف بقارون وداره وماله وأهله؟!

وما الذي أهلك القرونَ من بعدِ نوحٍ بأنواعِ العقوباتِ ودمّرها تدميراً؟!

أليست هي المعاصي والذنوب؟! أليست هي المعاصي والذنوب؟!

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود:١٠٢]. وقال تعالى: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾ [النبأ:٢٦]. وقال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف:٤٩]. وقال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الروم:من الآية ٩]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [يونس:٤٤].

فاعتبروا يا أولي الأبصارِ!

٣- الحسدُ مَرَضٌ خطيرٌ جداً قد يَدْفعُ صاحبَهُ إلى كلِّ شرٍّ ويدفعُ صاحبَه إلى أن يقتُلَ أخاهُ. ومِنَ الأمثلةِ على ذلك:

١) قصَّةُ ابنَيْ آدمَ: قابيل وهابيل[1]:

حسدَ أحدُهما (قابيل) الآخرَ (هابيل) فدفعَهُ الحسدُ إلى قَتْلِ أخيهِ فقتلَه فأصبحَ من الخاسرينَ. قال تعالى: ﴿۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [المائدة:٢٧-٣٠].

٢) قصةُ يوسفَ مع إخوتِهِ:

حسدَ إخوةُ يوسفَ يوسفَ عليه السلام، فدفعهم هذا الحسدُ إلى محاولة التخلصِ من يوسفَ بالقتل أو بأي وسيلةٍ أخرى.

---

(١) لم يأت دليلٌ على هذه التسمية من الكتاب ولا من السنة.

قال تعالى عنهم: ﴿ ۞ لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧ إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٨ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ ۝٩ قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ يَلۡتَقِطۡهُ بَعۡضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ۝١٠ ﴾ [يوسف:٧-١٠].

عبادَ الله! أعلموا أن الحسد من شيمِ وأخلاقِ اليهودِ لأنهم شرُّ الناسِ. قال الله تعالى في وصفِهم: ﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ ﴾ [البقرة:١٠٩].

وقال تعالى: ﴿ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ۝٥٤ ﴾ [النساء:٥٤].

عباد الله! الحسدُ مرضٌ خطيرٌ أصاب الأمم قبلنا ولقد أخبرنا رسولُ الله ﷺ أنهُ سيصيبُ أمتَه أيضاً، فقال ﷺ: «**سيُصيبُ أمّتي داءُ الأممِ**»، فقالوا: يا رسولَ الله! وما داءُ الأمَمِ؟ قال: «**الأشرُ والبطرُ والتكاثرُ والتناجش في الدنيا والتباغض والتحاسدُ؛ حتى يكون البغي**»(١).

وحذّرَ النبيُّ ﷺ أُمّتَهُ من هذا المرضِ، فقال ﷺ: «**لا تحاسدوا**» إلى أن قال: «**وكونوا عبادَالله إخواناً**»(٢)

---

(١) **صحيح**:أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١٨٦/٤)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٩٠١٦)، [«الصحيحة»:(٦٨٠)].

(٢) **صحيح**:أخرجه مسلم (٢٥٥٩).

وأمرنا الله عز وجل أن نستعيذ به من شر من مَرِضَ بهذا المرض، فقال تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق:١-٥].

٤ - مَن يتّقِ اللهَ يجعلْ له مَخْرَجاً ويرزقْهُ من حيثُ لا يحتسبُ:

عبادَ الله! مَنْ يتق اللهَ في هذه الدنيا يجعل اللهُ له مخرجاً، يَظهرُ لنا ذلك مِنْ قِصَّةِ يوسفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

فإنه لما راودته امرأة العزيز عن نفسه، وغلّقت الأبواب وقالت: ﴿هَيۡتَ لَكَۚ﴾ قال: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِۖ﴾ فعصمه الله بسبب تقواه.

ولما طلب النّسوةُ منه الفاحشَةَ ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ﴾... فصرف الله عنه كيدهن.

ولما دخل السجنَ مظلوماً صبرَ على هذا الظلمِ، واحتسبَ أجرَهُ عند الله، أخذ يدعو المساجينَ إلى عقيدةِ التوحيدِ وإلى عبادة الله وحده... هذا كله بدافع التقوى.

عباد الله! فلما اتّقى يوسفُ ربَّهُ جل وعلا جعلَ اللهُ له مخرجاً فأخرجه من السجن وجعلهُ عزيزاً في بلادِ مصرَ يرجعُ إليه الناسُ.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيۡهِ قَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهۡلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئۡنَا بِبِضَـٰعَةٖ مُّزۡجَىٰةٖ فَأَوۡفِ لَنَا ٱلۡكَيۡلَ وَتَصَدَّقۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجۡزِي ٱلۡمُتَصَدِّقِينَ ۝٨٨ قَالَ هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ ۝٨٩ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٩٠﴾ [يوسف:٨٨-٩٠].

نعم والله ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ١١١﴾ [يوسف:١١١].

٥- العَفْوُ عندَ المقدِرةِ:

عبادَ الله! العفوُ عند المقدِرَةِ مِنْ أخلاقِ الأنبياءِ والصالحينَ، ومن الأمثلةِ على ذلك:

١- يوسفُ عليه السلام مع إخوتهِ: فعل إخوةُ يوسفَ مع يوسفَ ما فعلوا وقالوا فيه ما قالوا فلما احتاجوا إليه وقدر عليهم عفا عنهم قال تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ﴾ -أي: على يوسفَ- ﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِي ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ٨٨ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ٨٩ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ٩٠ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ٩١ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٩٢﴾ [يوسف:٨٨-٩٢]. إنها **والله!** أخلاقُ الأنبياء.

٢- رسولُنا ﷺ مع الأعرابي:

يقول جابرٌ رضي الله عنه: (كنّا مع النبي ﷺ بذاتِ الرقاعِ، فإذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها للنبي ﷺ، فجاء رجل من المشركين وسيفُ النبي ﷺ معلق بالشجرة فاخترطه فقال: تخافُني؟ قال: «**لا**». قال: فمن يمنعك مني؟ قال: «**الله**»[1].

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤١٣٦)، ومسلم (٨٤٣).

وفي روايةٍ: «فسقطَ السيفُ مِنْ يدِهِ فأخذ رسولُ الله ﷺ السيفَ فقال: **«مَنْ يمنعك مني؟»** قال: كن كخيرَ آخذٍ. قال ﷺ: **«تشهد أن لا إله إلا الله»** قال: «لا، ولكني أعاهدُك أن لا أقاتلَك، ولا أكون مع قومٍ يقاتلونك»، فخلّى سبيله، فذهب إلى أصحابِهُ فقال: جئتُكم من عند خيرِ الناسِ»[1].

نعم، والله! ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف:١١١].

نسأل اللهَ العظيم ربَّ العرش العظيم أن يجعلنا ممن يعتبرون مِن قَصَصِ القرآنِ ومِنْ قَصَصِ الأنبياءِ وأن ينفعنا بما فيها.

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٣/ ٣٦٤)، وابن حبان (٢٨٧٢)، والحاكم (٣/ ٣١)، وأبو يعلى (٣/ ٣١٢)، [«الموسوعة الحديثية»].

٢
أهمية القصص في القرآن

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ المواعظِ التي بعنوان: **الفرقانُ مِنْ قصصَ القرآن دروسٌ وعظاتٌ وعبر**.

عباد الله! تكلمنا في خطبةِ الجمعةِ الماضيةِ عن أهميةِ القصَص في القرآن وقلنا: إنَّ أهمية القصص في القرآن تظهرُ فيما يلي:

أولاً: قصصُ القرآنِ هو القصصُ الحقُ: قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ [آل عمران:٦٢]

ثانياً: قصصُ القرآنِ هو أحسن القصصِ: قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف:٣].

ثالثاً: قصص القرآنِ عبرةٌ لأولي الألباب: قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف:١١١].

وقلنا: إن من الدروس والعظاتِ والعبرِ التي تؤخذُ من قصصِ القرآن:

١- المعاصي سببٌ لزوال النعمِ.

٢-المعاصي سببٌ لهلاكِ الأفرادِ والشعوبِ والأممِ والقرى.

٣- الحسدُ مرضٌ خطيرٌ يدفعُ صاحبهُ إلى كلِّ شرٍّ.

٤- مَنْ يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب.

٥- العفو عندَ المقدرةِ من أخلاقِ الأنبياء والصالحين.

عباد الله! وكلامُنا في خطبةِ اليوم سيكونُ أيضاً عن أهميةِ القَصصِ في القرآن.

رابعاً: قَصَصُ القرآنِ عامةً وقَصصُ الأنبياءِ خاصةً تثبِّتُ قلوبَ المؤمنينَ على الإيمان، وتزيدُ الإيمانَ في القلوب.

قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠) وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (١٢١) وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ (١٢٢) وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٢٣) ﴾ [هود].

عباد الله! لما بعث الله رسولَهُ محمداً ﷺ في مكةَ يدعو الناسَ إلى عبادةِ الله، لاقى ﷺ من قومهِ استكباراً وعناداً وتكذيباً فقصَّ الله عليه قصصَ الأنبياء من

قبلهُ في سورة هودٍ وكيفَ أنهم لاقوا مِنْ أقوامهم ما يلاقيه رسول الله ﷺ من قومِهِ، فصبروا على دعوة أقوامهم حتى أهلك الله المكذبين ونجّى الله رسلَهُ والذين آمنوا معهم.

ولذلك يقولُ الله -عز وجل- لرسوله ﷺ في آخر السورة تثبيتاً له ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود:١٢]، أي: يا رسول الله! نحن نقصُ عليك قصصَ إخوانِكَ من الأنبياءِ ممن كان قبلُكَ؛ وليقوى بذلك قلبُكَ؛ ولتصبرَ على أذى قومِك؛ ولتتأسى بالرسل من قبلك؛ ولتعلمَ أن العاقبَة لك كما كانت لهم.

عباد الله! وجاءت آياتٌ كثيرةٌ في كتابِ الله يأمرُ اللهُ فيها رسولَهُ بأن يصبرَ كما صبرَ الرسلُ مِنْ قبلهِ، ويخبرُهُ أنّ العاقبة والنصرَ لهُ ولمن آمنَ معهُ.

قال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾﴾ [فاطر].

وقال تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾﴾ [الحج].

وقال تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾﴾ [فاطر]

عباد الله! ويخبرُ الله رسولَهُ ﷺ بأنه على الحق وأنّ الذين يُكذبونه على الباطلِ، وأنّ النصرَ له ولمِن معه، والخزي والهلاكَ للذين يُكذبونه.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾ [النمل].

وقال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾ [فاطر]

عباد الله! وأمر الله رسوله بالصبر وحذّره من الاستعجال.

فقال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف٣٥].

وربّى النبيُّ ﷺ أصحابَهُ وأمتَهُ على الصبرِ وعدم الاستعجال.

يقول خبابُ بنُ الأرتِ: شكونا إلى رسولِ الله ﷺ وهو متوسدٌ بُردةً له في ظلِّ الكعبةِ، فقلنا: ألا تستنصرُ لنا ألا تدعو لنا؟

فقال: «**قد كان مَنْ قبلكم يُؤخَذُ الرجلُ فيُحفرُ له في الأرض فيجعَلُ فيها، فيجاء بالمنشارِ فيوضعُ على رأسهِ فيُجعلُ نصفين، ويُمشطُ بأمشاطِ الحديدِ ما دونَ**

لحمه وعظمه، فما يصدُّهُ ذلك عن دينه، والله ليتمنَّ هذا الأمرُ حتى يسيرَ الراكبُ من صنعاءَ إلى حضرموت لا يخافُ إلا اللهَ والذئبَ على غنمِهِ ولكنكم تستعجلون»[1] .

عباد الله! قصصُ القرآن عامةً وقصصُ الأنبياء خاصةً تثبتُ قلوبَ المؤمنين على الإيمان، وتزيدُ الإيمانَ في قلوبهم وذلك بأمورٍ:

الأمرُ الأولُ: إذا علم المؤمنون أن الأنبياءَ جميعاً جاءوا بدينٍ واحدٍ ألا وهو الإسلام.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]، وقال تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران]

عباد الله! الأنبياءُ جميعاً جاءوا بالإسلام.

فهذا نوحٌ عليه السلام يقول الله عنه: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [يونس].

وهذا إبراهيم عليه السلام يقول الله عنه: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾﴾ [البقرة].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٦٩٤٣).

وقال تعالى عن إبراهيم أيضاً: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران].

وهذا موسى عليه السلام قول الله عنه: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [يونس].

وهذا عيسى عليه السلام ومن معه من الحواريّين قال الله عنهم: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [آل عمران].

وهذا يوسفُ عليه السلام يقول الله عنه: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف].

وهذا سليمان عليه السلام يقول الله عنه: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [النمل].

ويقول عنه أيضاً: ﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [النّمل].

وقال تعالى عن بلقيس ملكة سبأ: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [النّمل].

وهذا رسُولُنا ﷺ يقولُ الله عنه: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾﴾ [النّمل].

وقال تعالى عنه أيضاً: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ [الزّمر].

عباد الله! فالإسلامُ دينُ الأنبياء جميعاً، والأنبياءُ هم أفضلُ الخلق على الإطلاق فدينهم أحسنُ الأديان، ومِلَّتَهُمْ أحسنُ المِلَلِ وطريقُهُم أقومُ الطُرِقِ لا يَضِلُّ عنها إلا هالِكٌ، ولا يرغبُ عنها إلا سفِيه.

فعلى المسلم أن يعتز بالإسلام والسنّةِ ويقول لِلْعَالَمِ كلّه: إنني من المسلمين كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت].

عباد الله! ففي الوقت الذي يعتزُّ فيه الكفار بكفرهم ولا عزةَ لهم!! وتعتز فِرَقُ الضلال بضلالها ولا شرفَ لهم!! على المسلم أن يعتز بإسلامه الذي هو دين الأنبياء جميعاً وبسنّةِ رسوله ﷺ الذي لا ينطقُ عن الهوى، وبمنهج الصحابة الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه.

الأمرُ الثاني: تثبّتُ قلوب المؤمنين على الإيمان بتدبُر قصص القرآن عامةً وقصص الأنبياءِ خاصةً؛ إذا علموا أن الأنبياء جميعاً كانت دعوتهم واحدةً ألا وهي: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٥٩].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء].

عباد الله! فهذا نوحٌ عليه السلام يدعو قومهُ إلى عبادة الله وحدهُ لا شريك له، قال تعالى عنه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٥٩].

وهذا هودٌ عليه السلام يدعو قومه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، قال تعالى عنه: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٦٥].

وهذا صالحٌ عليه السلام يدعو قومه إلى عبادة الله وحدهُ لا شريك له، قال تعالى عنه: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف:٧٣].

وهذا شعيبٌ عليه السلام يدعو قومَه إلى عبادة الله وحدهُ لا شريك له، قال تعالى عنه: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف:٨٥].

وهذا إبراهيم عليه السلام يدعو قومَه إلى عبادة الله وحده لا شريك له، قال تعالى عنه: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾ [العنكبوت:١٦].

وهذا عيسى عليه السلام يدعو قومه إلى عبادة الله وحدهُ لا شريك له، قال تعالى عنه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة:٧٢].

وهذا رسولُنا ﷺ يدعو إلى عبادةِ الله وحده لا شريك له، قال تعالى عنه: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣﴾ [الكافرون].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ۝٦٤ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٦٦﴾ [الزمر].

نعم، لقد بقي النبيُّ ﷺ يدعو الناسَ إلى عبادةِ الله وحدهُ ويحذرهم من الشرك حتى لَقِيَ ربه.

عباد الله! فالأنبياءُ جميعاً دينهُم واحدٌ وهو الإسلام، ودعوتهم واحدةٌ وهي:

﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون:٢٣].

فإذا عرفَ المسلمُ ذلك من خلال قصصَ القرآن عامةً وقصصِ الأنبياء خاصةً ثبتَ على إيمانِهِ لأنهُ عرفَ أنهُ على الدين الحق وأن غيرهُ على الباطل وليسَ بعد الحقِ إلا الضلال، والحقُ أحقُ أن يُتبع.

الأمر الثالث: إذا علم المؤمنون أن مِن سنن الله التي لا تتبدلُ ولا تتغيرُ: أنّ من كذّب رسلهُ ووقف في وجه دعوتهم أهلكه الله.

عباد الله! الإيمان بالرسل جميعاً من أركان الإيمان.

قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة:٢٨٥].

ولما سئل ﷺ عن الإيمان، قال: «**أن تؤمنَ باللهِ وملائكتِهِ وكتبِهِ ورسلِهِ واليومِ الآخرِ وتؤمن بالقدر خيرِهِ وشرِهِ**[١]» .

عباد الله! فمن كذب برسولٍ واحدٍ فقد كذبَ بكل الرسل.

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الشعراء] ولم يكذبوا إلا رسولهم نوحاً عليه السلام.

وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الشعرء] ولم يكذبوا إلا رسولهم هوداً عليه السلام.

وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الشعراء] ولم يكذبوا إلا رسولهم صالحاً عليه السلام.

عباد الله! مِن هذه الآيات يتبين لنا أن من كذبَ برسولٍ واحدٍ فقد كذب بكل الرسلِ وكفرَ وضلَ ضلالاً مبيناً.

عباد الله! ومن سنن الله التي لا تتبدلُ ولا تتغيرُ ولا تتحولُ أنَّ مَنْ كذب برُسِلِ اللهِ ووقف في وجه دعوتهم دَمَرهُ اللهُ وأهلكهُ ومن الأمثلة على ذلك:

١ – قوم نوح عليه السلام كذبوا رسولَهم فأهلكهم الله بالغرق قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٦﴾﴾ [القمر].

---

(١) صحيح:أخرجه مسلم (٨).

٢- عادٌ كذبوا رسولهم هوداً عليه السلام فأهلكهم الله بالريح الباردة قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (١٨) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ (١٩) تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ (٢٠) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٢١)﴾ [القمر].

٣- ثمودٌ كذبوا رسولهم صالحاً عليه السلام فأهلكهم الله بالصيحة قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ (٢٣)﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ (٣٠) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ (٣١)﴾ [القمر].

عباد الله! وبعد أن قصَّ اللهُ على رسولِهِ قصَصَ الأمم السابقةِ وكيفَ انتقم منهم ودمرهم وأهلكهم لما كذبوا رسله أمرهُ أن يقولَ لقومه كفار مكة: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (٤٣) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ (٤٤) سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٥) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ (٤٦)﴾ [القمر].

عباد الله! ونحن نقولُ في هذا الزمان لأهل الكفرِ والإلحادِ الذين يحاولون أن يستعرضوا على المسلمين وعلى الإسلامِ بأسلحتهم: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ﴾ [القمر:٤٣]

ونقول لهم: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (١٢١) وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ (١٢٢)﴾ [هود].

ونقول لهم: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ (٢٦)﴾ [القمر]

الأمر الرابع: إذا علم المؤمنون أن النصرَ للإسلامِ والمسلمين وأنَّ العاقبةَ للمتّقين.

عباد الله! في سورة الشعراء يقصُ الله -عز وجل- على رسوله ﷺ قصص الأنبياء من قبله، وفي كلِّ قصةٍ يخبرُ ربنا -جلا وعلا- رسولهُ كيف أهلك

المكذبين ونجّى رسولَهُ والمؤمنين معهُ، ويقول في آخرِ كلِّ قصةٍ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الشعراء].

فيختمُ ربنا -جلا وعلا- كُلَّ قصةٍ بهذين الاسمين من أسمائه الحسنى ﴿الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾.

﴿الْعَزِيزُ﴾ الذي انتقم ممن كفر وكذب برسله.

﴿الرَّحِيمُ﴾ الذي نجّى رسولهُ والذين آمنوا معه.

عباد الله! وقد أخبرَ اللهُ في كتابه أن النصرَ والتمكينُ للإسلامِ والمسلمين، وأن العاقبةَ دائماً للمتقين.

قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ [الصافات]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾ [المجادلة].

عباد الله! بشرَّ النبيُّ ﷺ أمتهُ بأن المستقبل للإسلام والمسلمين.

فقال ﷺ: «**ليبلُغَنَّ هذا الأمرُ ما بلغ الليلُ والنهارُ، ولا يتركُ الله بيتَ مدرٍ ولا وبرٍ إلا أدخلَهُ الله هذا الدين؛ بعزِّ عزيزٍ، أو بذُلِّ ذليلٍ؛ عِزاً يُعِزُّ الله به الإسلام، وذلاً يُذِلُّ به الكفر**»(١) .

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ١٠٣)، والحاكم (٤/ ٤٧٧)، والطبراني في «الكبير» (٢/ ٥٨)، [«الصحيحة» (٣)].

وقال ﷺ: «**إن الله زَوَى لِيَ الأرضَ، فرأيتُ مشارِقَها ومغارِبَها، وإن أُمتي سيبلُغُ مُلْكُها ما زُوِيَ لي مِنها**»(١).

فيا **عباد الله!** أبشروا وأمّلوا ببشرى رسول الله ﷺ لنا بالنصر والتمكين ولو بعد حين، وأوصيكم بالصبر والدّعاء والعمل على تأليف قلوب العباد بالبذل والعطاء في سبيل الله، فإن لكم أسوة حسنة في الأنبياء والمرسلين فهم أجودُ وأكرمُ الناسِ على الإطلاق ومن الأمثلة على ذلك:

إبراهيمُ عليه السلام قال الله عنه: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الذاريات].

يوسف عليه السلام يقول الله عنه: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [يوسف].

أي: خير المسضيفين لأنه أحسن ضيافتهم.

رسولُنا محمدٌ ﷺ يقول عنه أنس بن مالك رضي الله عنه: «**كان النبيُّ ﷺ أحسنَ الناسِ، وأشجعَ الناسِ، وأجودَ الناسِ**»(٢).

ويقول عنه ابن عباس رضي الله عنهما: «**كان النبيُّ ﷺ أجودَ الناسِ، وأجودَ ما يكون في رمضان ...**» الحديث(٣).

---

(١) **صحيح**:أخرجه مسلم (٢٨٨٩).

(٢) **صحيح**:أخرجه البخاري (٢٨٢٠)، ومسلم (٢٣٠٧).

(٣) **صحيح**:أخرجه البخاري(٣٥٥٤)، ومسلم (٢٣٠٨).

ويقول عبدالله بن بُسر رضي الله عنه: «**كان له** -أي: للنبي صلى الله عليه وسلم- **قصعةٌ يقالُ لها الغَرّاءُ يحملُها أربعةُ رجالٍ**»(١).

عباد الله! ويكفينا في كرم النبي صلى الله عليه وسلم قول ذلك الأعرابي الذي أكرمهُ النبي صلى الله عليه وسلم وأعطاهُ غنماً بين جبلين فرجع إلى قومهِ يقول لهم: «**يا قوم! اسلموا فإنّ محمداً صلى الله عليه وسلم يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة**»(٢).

كيف لا وهو الذي يقول: «**إن الله كريم يحب الكرم**»(٣).

ويقول: «**إن الله تعالى جوادٌ يحب الجود**»(٤).

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٣٧٧٣)، [«صحيح الجامع» (٤٨٣٣)].

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٣١٢).

(٣) **صحيح**: أخرجه الحاكم (١/ ١١١)، والطبراني في «الكبير» (٦/ ١٨١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٢٤٠)، [«صحيح الجامع» (١٨٠١)].

(٤) **صحيح**: أخرجه البيهقي في «الشعب» (٧/ ٤٢٦)، وأبو نعيم (٥/ ٣٢)، [«صحيح الجامع» (١٧٤٤)].

٣

أهمية القصص في القرآن

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ المواعظِ التي بعنوان: **الفرقانُ مِنْ قصصَ القرآن دروسٌ وعظاتٌ وعبر.**

عباد الله! في الخطبتين الماضيتين تكلمنا عن أهميةِ القصَص في القرآن وقلنا: إنَّ أهمية القصص تظهرُ فيما يلي:

أولاً: قصصُ القرآنِ هو القصصُ الحقُ:

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ﴾ [آل عمران:٦٢]

ثانياً: قصصُ القرآنِ هو أحسن القصصِ:

قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ [يوسف:٣].

ثالثاً: قصص القرآنِ عبرةٌ لأولي الألباب:

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف:١١١].

رابعاً: قَصَصُ القرآنِ تثبتُ قلوبَ المؤمنينَ على الإيمان:

قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾[هود:١٢].

عباد الله! وكلامُنا في خطبةِ اليوم سيكونُ أيضاً عن أهميةِ القَصصِ في القرآن.

عباد الله! قصص القرآنِ عامةً وقصص الأنبياء خاصةً يهدي الله به المؤمنين إلى كلِّ خيرٍ وذلك لأنّه سبحانه وتعالى يُبيِّنُ لِعبادهِ من خلالِ قصص القرآنِ سبيلَ المؤمنين، وسبيلَ المجرمين.

عباد الله! وسبيل المؤمنين وفي مقدمتهم أنبياءُ الله يرشد مَن سلكه إلى كلِّ خيرٍ ويهديه إلى أقوم الطرق فينال بذلك سعادةِ الدنيا والآخرة وبيان ذلك من وجهين:

الوجه الأول: أنَّ اللهَ عز وجل عَصَمَ الأنبياءَ واجتباهم واختارهم واصطفاهم وهداهم إلى صراط مستقيم.

عباد الله! في سورة الأنعام بعد أن ذكر الله عدداً من أنبيائه قال: ﴿ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٨٧) ﴾ [الأنعام]

وفي سورة مريم بعد أن ذكر الله عدداً من أنبيائه قال: ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَآ﴾ [مريم:٥٨]

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام:١٢٤].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج:٧٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾ [ص].

وقال تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طه].

عباد الله! فالأنبياء هم أفضلُ الخلق على الإطلاق، وهم الكُمَّلُ من البشرِ، اختارَهم اللهُ ليُبَلغوا رسالته إلى الناسِ، فمن اهتدى بهديهم وسلك سبيلهم تحصلَ على سعادةِ الدنيا والآخرة.

الوجه الثاني: أنّ الله -عز وجل- أمرَ المؤمنين في كتابه أن يقتدوا بالأنبياء ويتأسوا بهم ويسلكوا سبيلهم.

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنعام].

وبعد أن ذكر الله عدداً من أنبيائه قال لرسولهِ ﷺ: ﴿أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠].

عباد الله! والأمرُ في هذه الآية لرسولِ الله ﷺ ولأمتهِ أيضاً لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب].

وقال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾﴾ [الممتحنة].

وقال تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة:٦-٧].

وفي مقدمةِ الذين أنعم الله عليهم الأنبياء والرسلُ.

قال تعالى في سورة مريم بعد أن ذكرَ عدداً من الأنبياء الكرام: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾﴾ [مريم].

عباد الله! من خلال التَّدَّبُر في قصَصَ القرآن عامةً وفي قصص الأنبياء خاصةً يتبين لنا أنّ الأنبياء والرسل هم أفضلُ الخلق على الإطلاق وهم الكُمَّلُ من البشر وذلك لأن الله اصطفاهم واختارهم واجتباهم وهداهم وأمرَ رسولَهُ والمؤمنين أن يقتدوا بهم.

قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠].

عباد الله! إن الاقتداءُ بالأنبياءِ يجب أن يكونُ في كل جوانب الحياة، مثلاً:

الجانبُ الأولُ: علينا أن نقتدي بهم في رحمتهم وشفقتهم ونُصحهم للناسِ عامةً ولأقربِ الناسِ إليهم خاصةً.

عباد الله! الأنبياء هم أنصحُ الناسِ للناسِ، وهم أرحمُ الناس بالناس ولقد قصَّ الله -عزّ وجل- علينا في كتابه الكريم من أخبار أنبيائه ورسله عليهم

الصلاة والسلام ما يدلُّ دلالةً واضحةً على شدةِ نصحهم للناس ورحمتهم بهم وشفقتهم عليهم، وأنهم بذلوا جميعَ الأسبابِ الممكنةِ لهداية الناس وإنقاذهم من عذاب الله سبحانه.

والأدلة على أنهم أنصحُ الناسِ للناس كثرةٌ جداً منها:

١ - قوله تعالى عن نبيه نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦١ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٢﴾ [الأعراف].

٢ - وقوله تعالى عن نبيه هود عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٧ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ٦٨﴾ [الأعراف].

٣ - وقوله تعالى عن نبيه صالح عليه الصلاة والسلام بعد هلاك قومه: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٧٩﴾ [الأعراف].

٤ - وقوله تعالى عن نبيه شعيب عليه الصلاة والسلام بعد هلاك قومه: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ٩٣﴾ [الأعراف].

عباد الله! والأدلة على أن الأنبياء هم أرحم الناس بالناس كثيرةٌ جداً منها:

١ - قوله تعالى عن دعوة نوح عليه الصلاة والسلام لقومه: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩﴾ [الأعراف].

٢ - وقوله تعالى عن شعيب عليه الصلاة والسلام وهو يحذر قومه: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ ٨٩﴾ [هود].

٣- وقد وصفَ الله -عزّ وجل- نبيه محمداً ﷺ بقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة].

ولقد بلغ من نصح وشفقة ورحمة نبينا محمدٍ ﷺ بالناس أن كاد هذا الأمرُ أن يُهْلِكَهُ، فخاطبه الله -عز وجل- قائلاً: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [الشعراء].

فكان ﷺ يحزنُ حُزناً شديداً على عدمِ إيمان الناس نصحاً لهم وشفقةً عليهم، كيف لا؟ واللهُ -عز وجل- يقولُ عن رسولهِ ﷺ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء].

عباد الله! فيجب على الدعاةِ إلى اللهِ أن يقتدوا بالأنبياء في نصحهم وشفقتهم ورحمتهم بالناس.

لأنّ اللهَ -عز وجل- قال لرسولهِ ﷺ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠].

وقال له أيضاً: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران].

وقال له أيضاً: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥].

فيا دُعاةُ الإسلام! اتقوا الله في الناسِ ولينوا في دعوتكم إياهم وابتعدوا عن الشدةِ والغلظةِ التي تُنّفرُ الناسَ منكم.

عباد الله! من الأمثلة على رحمةُ الأنبياء ونصحهم وشفقتهم بأقربائهم:

١-دعوة نوح عليه السلام ابنه إلى الإيمان وإلى الركوب معه في السفينة التي نجّى الله فيها المؤمنين من الغرق.

قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [هود].

عباد الله! ومما يلفت النظر في هذه المناداة من نوح عليه السلام لابنه أنه حذره بأن لا يكون مع الكافرين، ولم يقل له: مع المغرقين؛ فإنّ نهايةَ الغرقِ الموتُ، وأما نهايةُ الكفرِ فغضبُ اللهِ عز وجل والخلودُ في نار جهنم وذلك أعظم وأشد.

عباد الله! ولم يستجب ابنُ نوح لوالدهِ عليه السلام فهلك مع الهالكين.

قال تعالى: ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [هود].

عباد الله! ومع ذلك فقد أدرك حبُ الولد -وهو حب فطري- والرحمة به نوحاً عليه السلام فتوجه إلى ربه لعله أن يرحمَ ولدهُ. وهذا من باب الرحمةِ والنصحِ والشفقةِ على الأقاربِ.

قال تعالى على لسان نوح: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾[هود].

٢- دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه، تلك الدعوة التي اتسمت بالنصح والشفقة والرحمة مع أدبٍ جمٍّ وحلمٍ وتلطفٍ من الابن النبي إلى أبيه الكافر.

قال الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ٤١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ٤٢ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧﴾ [مريم].

عباد الله! ولم يستجب الوالدُ الكافرُ لنصيحةِ الابن النبيّ ومع ذلك فإن إبراهيم عليه السلام يُحاولُ الشفاعة فيه يومَ القيامةِ ولكن حقت كلمةُ العذابِ على الكافرين.

يقولُ ﷺ: «**يلقى إبراهيم أباهُ آزرَ يومَ القيامةِ وعلى وجهِ آزر قَتَرةٌ وغَبَرةٌ، فيقولُ له إبراهيمُ: ألم أَقُلْ لك لا تَعْصِني؟ فيقولُ أبوه: فاليوم لا أعْصِيكَ، فيقولُ إبراهيم: يا ربِّ إنك وعدتني أن لا تخزيني يومَ يبعثون فأيُّ خزيٍ أخزى من أبي الأبعد؟.**

فيقولُ اللهُ تعالى: إني حرَّمتُ الجنةَ على الكافرين.

ثم يُقال: يا إبراهيمُ ما تحتَ رِجْلَيكَ، فينظرُ فإذا هو بِذِيخٍ[1] **مُلْتَطِخٍ، فيُؤخذُ بقوائمهِ فيُلقى في النار**»[2].

٣- ولما أمر اللهُ -عز وجل- رسولهُ محمداً ﷺ بدعوةِ قرابته في قوله تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا﴾ [طه:١٣٢].

وفي قوله: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾ [الشعراء].

---

(١) بذيخ: ضبع كثير الشعر.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٣٥٠).

امتثل رسولُ الله ﷺ الأمرَ فنادى قرابتُه الأبعد ثم الأقربَ فأنذرهم عذاب الله عز وجل وحذرهم من عقوبتهِ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ حينَ أنزلَ الله عز وجل: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾ فقال: «**يا معشرَ قُريشٍ اشترُوا أنفسكُم، لا أُغني عنكُم من الله شيئاً، يا بني عبدِ منافٍ لا أُغني عنكمُ من الله شيئاً، يا عباس بن عبدِ المطلبِ لا أُغني عنك من الله شيئاً، ويا صفيةُ عمةَ رسولِ الله لا أُغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمةُ بنتَ محمدٍ سَليني ما شئتِ من مالي لا أُغني عنك من الله شيئاً**»[1].

عباد الله! فعلى كلٍّ منا أن يقتدي بالأنبياءِ في دعوتهم ونصحهم ورحمتهم لأقاربهم.

الجانب الثاني: علينا أن نقتدي بالأنبياء -عليهم السلام- في دعائهم والتجائهم إلى الله وحده.

عباد الله! عَلِمَ الأنبياءُ وأيقنوا أن الله وحدَهُ هو الذي يستجيبُ الدعاءَ.

قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل:٦٢].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر:٦٠].

فلم يدعوا إلا الله ولم يلتجئوا إلا إليه. ومن الأمثلة على ذلك:

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري رقم (٢٧٥٣).

١- إبراهيم عليه السلام يقول في دعائه: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم].

وقال أيضاً في دعائه: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم].

وقال أيضاً في دعائه: ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء].

٢- نوح عليه السلام يقول في دعائه: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾ [نوح].

٣- موسى عليه السلام يقول في دعائه -عندما قتل القبطيَّ-: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾﴾ [القصص].

وقال أيضاً في دعائه: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص].

٤- سليمان عليه السلام يقول في دعائه: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل].

٥- أيوب عليه السلام يقول في دعائه: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ﴾ [الأنبياء:٨٣-٨٤]. . .

٦- يونس عليه السلام -وهو في بطن الحوت- يقول في دعائه: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء].

٧- زكريا عليه السلام يقول في دعائه: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ [الأنبياء:٨٩-٩٠].

٨- يوسف عليه السلام يقول في دعائه: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف].

٩- ومحمدٌ ﷺ رسولُنا الكريم يقولُ في دعائه: «**يا مقلب القلوب ثبّتْ قلوبنا على دينك**»(١).

ويقول ﷺ في دعائه: «**اللهم إني عبدُك وابنُ عبدِك وابنُ أمتِكَ، ناصيتي بيدك ماضٍ فيّ حكمك، عدلٌ في قضاءك، أسألك بكل اسم هو لك، سمَّيت به نفسك، أو أنزلته في كتابك أو علّمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همّي**»(٢).

وكان من دعائه ﷺ الدائم حين يسلم من صلاة الصبح أن يقول: «**اللهم إني أسألك عِلماً نافعاً، ورزقاً طيباً، وعملاً متقبلاً**»(٣).

عباد الله! على كُلٍّ منا أن يتق الله في نفسهِ ويقتدي بالأنبياء في الدعاءِ فلا يدعو إلا الله ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ۖ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠].

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢١٤٠)، وأحمد (٣/ ١١٢)، والحاكم (١/ ٧٠٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٨٣)، [«صحيح الجامع» (٧٩٨٧)].

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٢٩١)، وابن حبان (٩٦٨)، والحاكم (١/ ٦٩٠)، [«تخريج الكلم الطيب» (١٢٣)].

(٣) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٩٢٥)، وأحمد (٦/ ٣٢٢)، والطيالسي (١٦٠٥)، وأبو يعلى (١٢/ ٣٦١)، [«صحيح ابن ماجه» (٧٦٢)].

الجانب الثالث: علينا أن نقتدي بالأنبياء في شجاعتهم وثباتهم وكمال توكلهم على الله وحده.

ومن الأمثلة على ذلك:

١- نوحٌ عليه السلام الذي قال الله عنه: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾ [يونس].

٢- هودٌ عليه السلام حيث قال الله عنه: ﴿قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾﴾ [هود].

٣- موسى عليه السلام قال الله عنه عندما أصدرَ فرعونُ قراراً بقتله: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾ [غافر].

تأملوا موقف موسى عليه السلام عندما تبعه فرعونُ وجنودُهُ عند البحر قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾ [الشعراء].

٤- محمدٌ صلى الله عليه وسلم وهو في الغار مع صاحبه أبي بكر رضي الله عنه:

قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ

تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [التوبة].

عباد الله! فعلى المسلمين عامةً وعلى الدعاةِ خاصةً أن يقتدوا بالأنبياء في شجاعتهم وثباتهم على الحق وتوكلهم على الله وحدهُ.

٤

أهمية القصص في القرآن

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠) وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ (١٢١) وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ (١٢٢) وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٢٣)﴾ [هود].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ المواعظِ التي بعنوان: **الفرقانُ مِنْ قصصَ القرآن دروسٌ وعظاتٌ وعبر**.

عباد الله! تكلمنا في الجُمعِ الماضيةِ عن أهميةِ القصَص في القرآن وقلنا: إنَّ أهمية القصص في القرآن تظهرُ فيما يلي:

أولاً: قصصُ القرآنِ هو القصصُ الحقُ:

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران:٦٢]

ثانياً: قصصُ القرآنِ هو أحسن القصصِ:

قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ [يوسف:٣].

ثالثاً: قصص القرآنِ عبرةٌ لأولي الألباب:

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [يوسف:١١١].

رابعاً: قصصُ القرآن يُثّبتُ قلوب المؤمنين على الإيمان:

قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ [هود:١٢٠]

خامساً: قصص القرآن يُبينُ سبيل المؤمنين، وسبيل المجرمين:

قال تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ ﴾ [الأنعام:٩٠]

عباد الله! وكلامُنا في خطبةِ اليوم سيكونُ أيضاً عن أهميةِ القَصصِ في القرآن.

سادساً: قَصَصُ القرآنِ عامةً وقَصصُ الأنبياءِ خاصةً تبينُ أسبابَ الهلاكِ، وأسباب النجاةِ

عباد الله! يُبين اللهُ لعباده مِن خلالِ قصَصِ الأقوام السابقين أسباب الهلاك ليجتنبوها، وأسباب النجاةِ ليأخذوا بها، ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيّ عن بينة.

قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ (١٠٠) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (١٠١) وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (١٠٢) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ﴾ [هود:١٠٠-١٠٣].

وقال تعالى: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَٰهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [العنكبوت].

وقال تعالى لكفار مكة يُخبرهم عن هلاك قوم لوط: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الصافات].

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأحقاف].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾﴾ [المرسلات].

عباد الله! العاقلُ إذا قرأ أو استمع إلى قصص القرآن عرف أسباب الهلاك وتجنبها وعرف أسباب النجاة فأخذ بها ولعل هذا مما يبين لنا أهمية قصصِ القرآنِ.

عباد الله! وها أنا أضعُ أمامكم أسبابَ الهلاكِ وأسبابَ النجاةِ التي جاءتْ في الكتاب والسنّة ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيّ عن بينة:

عباد الله! أمّا أسباب الهلاك فهي كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: الكفرُ بالله.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ [سبأ].

وقال تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾﴾ [فاطر].

ثانياً: الشرك بالله (وهو أعظمُ الظلم).

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾ [الكهف].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾﴾ [يونس].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود].

ثالثاً: تكذيب الرسل.

قال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾ [الشعراء].

قال تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾﴾ [الفرقان].

رابعاً: المكرُ السيءُ برسلِ الله، والاعتداءُ على دعاةِ الإسلام.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر:٤٣].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النمل:٤٥-٥٢].

خامساً: البطر.

عباد الله! البطرُ هو الكفرُ بنعم الله.

قال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [القصص].

عباد الله! لقد أخبرَ النبي ﷺ أن هذا المرض سيصيبُ أمتهُ.

قال ﷺ: «**سيُصيبُ أمتي داءُ الأمم**» فقالوا: يا رسول الله، وما داءُ الأمم؟ قال: « **الأشرُ والبطرُ والتكاثرُ والتناجش في الدنيا، والتباغضُ والتحاسدُ، حتى يكون البغيُ**»[1] .

عباد الله! والكفرُ بنعم الله -أي: البطرُ- سببٌ لزوال النعمةِ في الدنيا والهلاكِ في الدنيا والآخرة.

---

(١) **صحيح**: أخرجه الحاكم (٤/ ١٨٥)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٩/ ٢٣)، [«الصحيحة» (٦٨٠)].

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم].

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ ﴾ [إبراهيم].

ابن آدم:

إذا كنت في نعمةٍ فارعها فإن المعاصي تُزيلُ النعم
وحافظ عليها بشكر الإله فإن الإله شديدُ النقم

سادساً: حبُّ الدنيا والتنافس فيها.

قال ﷺ لأصحابه: «**فوالله! ما الفقرَ أخشى عليكم، ولكني أخشى عليكم أن تُبسط الدنيا عليكم، كما بُسِطتْ على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتُهلككم كما أهلكتهم**»[1].

وقال ﷺ: «**إني مما أخاف عليكم من بعدي ما يُفتحُ عليكم من زهرةِ الدنيا وزينتها**»[2].

وقال ﷺ: «**إن الدنيا حُلوةٌ خضرةٌ وإن الله مُسْتَخْلِفُكُمْ فيها، فينظرَ كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء**»[3].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣١٥٨)، ومسلم (٢٩٦١) واللفظ له.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٤٦٥)، ومسلم (١٠٥٢).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٧٤٢).

عباد الله! فحُبُّ الدنيا والتنافسُ فيها يُهلِكُ أصحابها.

فما الذي أهلك فرعون؟ إنها الدنيا.

وما الذي أهلك قارون؟ إنها الدنيا.

وما الذي أهلك عاد؟ إنها الدنيا.

وما الذي أهلك كفارَ مكة؟ إنها الدنيا.

ولذلك حذرَ النبيُّ ﷺ أمتَهُ من الدنيا.

والله -عز وجل- حذر عبادَه من الدنيا.

فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥﴾ [فاطر].

وبينَّ ربُنا -جل وعلا- لعبادِهِ حقيقة الدنيا حتى لا يغتروا بها، قال تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠﴾ [الحديد].

سابعاً: الشحُّ.

عباد الله! الشحُّ هو أعلى درجات البُخلِ وهو سببٌ لهلاكِ الأفرادِ والشعوبِ والأمم.

قال ﷺ: «**اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلماتٌ يوم القيامة، واتقوا الشُّحَّ، فإن الشُّحَّ، أهلك من كان قبلكمُ، حملَهُم على أن سَفكُوا دِمَاءهم واستحلُّوا محارِمهم**»(١).

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٥٧٨).

وقال ﷺ: «**إياكم والشُّحَّ؛ فإنما هَلَكَ مَنْ كان قبلكمُ بالشحِّ؛ أمرهم بالبُخلِ فبخِلوا، وأمرهم بالقَطيعةِ فقطعوا، وأمرهم بالفجورِ ففجروا**»[١].

عباد الله! انظروا ماذا فعل الشح بأصحابه؟: أمرهم بقطيعة الأرحام فقطعوا، وأمرهم بالبخل بالزكاة فبخلوا، وأمرهم بالفجور ففجروا، وأمرهم بالظلم فظلموا وكل أمر من هذه الأمور سبب من أسبابُ الهلاك.

ثامناً: كثرة الخبثِ.

عباد الله! والخبثُ: هو المعاصي والفسوقُ والفجورُ.

عن أمِّ المؤمنين زينب بن جحشٍ ﵂: أن رسول الله ﷺ دخل عليها يوماً فزعاً يقول: «**لا إله إلا الله، ويلٌ للعربِ من شرٍّ قد اقترب، فُتِحَ اليومُ مِنْ رَدْمِ يأجوجَ ومأجوجَ مِثلَ هذهِ**»، وحلق بأصبعيهِ الإبهام والتي تليها.

قالت: زينب بنت جحش:

فقلت: يا رسول الله أفنَهْلِكُ وفينا الصالِحون؟

قال: «**نعم إذا كثرَ الخبثُ**»[٢].

وقال ﷺ: «**إذا ظهرَ الزنا والربا في قريةٍ، فقد أحلُّوا بأنفسهم عذابَ الله**»[٣].

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (١٦٩٨)، وأحمد (٢/ ١٥٩)، وابن حبان (٥١٥٤)، والبيهقي في «السنن» (٤/ ١٨٧)، [«صحيح الجامع» (٢٦٧٨)].

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧١٣٥)، ومسلم (٢٨٨٠).

(٣) **صحيح**: أخرجه الحاكم (٢/ ٤٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ١٧٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ٣٩٧)، [«صحيح الجامع» (٦٧٩)].

وقال ﷺ: «**ما ظهرَ في قومٍ الربا والزنا، إلا أحَلوا بأنفسهم عقاب الله**»[(١)].

وقال ﷺ: «**إذا ظهرَ السوءُ في الأرض أنزلَ الله بأسَه بأهلِ الأرضِ، وإن كان فيهم قومٌ صالحون، يصيبُهم ما أصاب الناس، ثم يرجعون إلى رحمةِ الله ومغفرتِهِ**»[(٢)].

قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت].

تاسعا: الغلوُ في الدين.

عباد الله! الغلوّ: هو مجاوزةُ الحدِّ، وهو سببٌ لهلاك الأفرادِ والشعوبِ والأمم.

قال ﷺ: «**يا أيها الناس! إياكمْ والغُلُوِّ في الدين؛ فإنه أهلكَ من كان قبلكم الغلوَّ في الدين**»[(٣)].

وقال ﷺ: «**هلك المتنطعون**»، قالها ثلاثاً[(٤)].

قال الإمام النووي -رحمه الله-: (هلك المتنطعون: أي المتعمقون المُغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم)[(٥)].

---

(١) **حسن**: أخرجه أحمد (١/ ٤٠٢)، [«صحيح الجامع» (٥٦٣٤)].

(٢) **صحيح**: أخرجه البيهقي في «الشعب» (١/ ٦٩)، والحاكم (٤/ ٥٦٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٢٣٠)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٢/ ٣١٧)، [«صحيح الجامع» (٦٨٠)].

(٣) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٣٠٢٩)، والنسائي(٣٠٥٧)، وابن حبان (٣٨٦٠)، [« صحيح ابن ماجه» (٢٤٧٣)].

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٦٧٠).

(٥) شرح صحيح مسلم للإمام النووي (١٦/ ٢٢٠).

عباد الله! ولمّا كان الغلوُّ في الدين سببٌ للهلاكِ فقد حذر الله -عز وجل- في كتابه من الغلوِّ في الدين.

فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة].

عباد الله! فها هم اليهود غالوا في عيسى ابن مريم بالتفريط؛ فاتهموا أمهُ بالزنا! قاتلهم الله أنى يؤفكون!!

وها هم النصارى غالوا في عيسى بن مريم بالإفراط فاتخذوهُ إلهاً! ومنهم من قال هو ابنُ الله! كبُرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً!!

وها هم الخوارج غالوا في دينهم حتى كفَّروا الصحابةَ والمسلمين ورفعوا السيف على من قال لا إله إلا الله!!

وها هم الروافض غالوا في علي بن أبي طالب رضي الله عنه فرفعوهُ إلى منزلة الإله وأخذوا يدعونهُ من دون الله! فضلوا وأضلوا.

عباد الله! من أجل ذلك حذر النبي ﷺ من الغلو فقال: «**إياكم والغلو في الدين**».

عاشراً: إذا شُرِبتْ الخمور وظهرتْ المعازفُ والمغنياتُ كان الهلاك.

عباد الله! قال ﷺ: «**ليشربنَّ ناسٌ من أُمتي الخمرَ يسمونها بغير اسمها، يُعزَفُ على رؤوسهم بالمعازفِ** -وهي الموسيقى بجميع أنواعها- **والمغنيات، يَخسِفُ الله بهمُ الأرضَ ويَجعَلُ منهم القردة والخنازير**»[1].

عباد الله! أمَّا أسبابُ النجاةِ فهي:

أولاً: الإيمانُ الصادق.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [يونس].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ [هود:٥٨].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ [هود:٦٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ [هود:٩٤].

فانظروا عباد الله وتفكروا في قصص القرآن عامةً وفي قصص الأنبياء خاصةً، تجدوا أن الكفر سببٌ للهلاكِ، والإيمان سببٌ للنجاةِ.

ثانياً: التقوى.

عباد الله! التقوى سببٌ للنجاةِ من عذاب الدنيا ومن عذاب يوم القيامة.

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٤٠٢٠)، والبيهقي في «الشعب» (٥/١٦)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/٣٠٤)، [«صحيح ابن ماجه» (٣٢٦٣)].

قال تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٣)﴾ [النمل].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ (٦٠) وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦١)﴾ [الزمر].

ولذلك أوصى الله عباده الأولين والآخرين بالتقوى.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النساء:١٣١].

عباد الله! وما بعث الله رسولاً إلى قومه إلا وأمرهم بالتقوى، ففي سورة الشعراء يقول كل رسولٍ لقومه: ﴿أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (١٢٦)﴾ [الشعراء].

ثالثاً: الذكرُ والدعاء في السراء والضراء.

عباد الله! إذا كان العبدُ ذاكراً لله -عز وجل- في سراءه وضراءه داعياً له في كل وقتٍ، ثم وقع في كربٍ وبلاءٍ فدعا الله، نجاه سبحانه وتعالى.

فهذا يونس عليه السلام يقول الله عنه: ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ (٨٨)﴾ [الأنبياء].

عباد الله! وأخبرنا الله في كتابه عن سبب نجاة يونس عليه السلام.

فقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ (١٤٣) لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (١٤٤)﴾ [الصافات].

رابعاً: الأمرُ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأعراف].

وقال ﷺ: «**مَثَلُ القائم على حدودِ الله والواقِعِ فيها كمثلِ قومٍ استهموا عل سفينة فأصاب بعضُهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذين في أسفلِها إذا استقوا من الماءِ مرُّوا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنَا في نصيبنا خَرْقاً ولم نُؤذِ من فوقنا فإن يتركُوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نَجوا ونجَوا جميعاً**»[1].

خامساً: الشكر.

عباد الله! الشكرُ يكونُ بعبادةِ الله وحدُه لا شريك له وبالابتعاد عما حرم الله.

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ ۖ نَّجَّيْنَـٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾﴾ [القمر].

سادساً: التمسك بسنةِ رسول الله ﷺ.

قال ﷺ في موعظتةِ البليغة: «**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن أمر عليكم عبدٌ حبشي، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**»[2].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري(٢٤٩٣).

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، والحاكم (١/ ١٧٦)، [«صحيح الجامع» (٢٥٤٩)].

٥
أهمية القصص في القرآن

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾ [النمل].

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [الأعراف].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ المواعظِ التي بعنوان: **الفرقانُ مِنْ قصصَ القرآن دروسٌ وعظاتٌ وعبر.**

عباد الله! تكلمنا في الجمع الماضيةِ عن أهميةِ القصَص في القرآن وقلنا: إنَّ أهمية القصص في القرآن تظهرُ فيما يلي:

أولاً: قصصُ القرآنِ هو القصصُ الحقُ:

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ [آل عمران:٦٢]

ثانياً: قصصُ القرآنِ هو أحسن القصصِ:

قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف:٣].

ثالثاً: قصص القرآنِ عبرةٌ لأولي الألباب.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف:١١١].

رابعاً: قَصَصُ القرآنِ تثبتُ قلوبَ المؤمنينَ على الإيمان:

قال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود:١٢٠].

خامساً: قصص القرآن تبينُ سبيل المؤمنين، وسبيل المجرمين:

قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠].

سادساً: قَصَصُ القرآنِ تبينُ أسبابَ الهلاكِ، وأسباب النجاةِ:

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ۝٥٩﴾ [الكهف].

عباد الله! وكلامُنا في خطبةِ اليوم سيكونُ عن أهميةِ القَصصِ في القرآن أيضاً، فنقول:

سابعاً: قصصُ القرآنِ عامةً وقصص الأنبياء خاصةً تبيِّنُ للمؤمنين أن الكفرَ ملةٌ واحدةٌ في كل زمانٍ ومكان.

عباد الله! من خلال قصص القرآن عامةً وقصص الأنبياء خاصةً يتبينُ للمؤمنين أن الكفرَ ملةٌ واحدةٌ في كلِّ زمانٍ ومكان ويظهر ذلك من وجوهٍ:

الوجهُ الأولُ: كفرُهم بكل ما جاءت به الرسل.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾﴾ [إبراهيم].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الزخرف].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص].

عباد الله! في هذه الآيات من كتاب ربنا، يخبرُ ربنا -جلا وعلا- رسولهُ محمداً ﷺ أن الكفرَ ملةٌ واحدة في كلِّ زمانٍ ومكان، فما يسمعه من قومه هو عين ما قاله الكفار من قبل لمن أرسلوا إليهم، ولذلك يقول الله لرسوله ﷺ: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾ [فاطر].

وقال له أيضاً: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [يس].

وقال له أيضاً: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾ [النمل].

عباد الله! قارنوا بين كفار الأمس وكفار اليوم وستجدون أنهم جميعاً يكفرون بما جاءت به الرسل جملة واحدة!

الوجه الثاني: تكذيبُ الكفارِ بكلِّ ما جاءتْ به الرسلُ واتهامهُمُ بالكذب.

عباد الله! في سورة الشعراء قصَّ الله علينا قصص الأنبياء مع أقوامهم فما مِنْ رسولٍ إلا وكذبهُ الملأُ الذين كفروا من قومه.

قال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الشعراء].

وقال تعالى عن هود عليه السلام: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الشعراء].

وفي سورة يس قال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾ [يس]

عباد الله! ولم يكتفوا بذلك بل رموهم واتهموهم بالكذب.

فهذا فرعونُ ومن معه يتهمون موسى عليه السلام بالكذب، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾﴾ [غافر].

وكذلك ثمود يتهمون نبيهم صالحا عليه السلام بالكذب، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾﴾ [القمر].

وها هم كفار مكة يتهمون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكذب، قال تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص].

عباد الله! فهذه أدلةٌ من كتاب ربنا تُبينُّ أن الكفرَ ملةٌ واحدةٌ في كل زمان ومكان وأن الكفار لا يعرفون إلا التكذيب بالحق كما قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾﴾ [ق].

وقال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾﴾ [القمر].

الوجه الثالثُ: الكفرُ ملةٌ واحدةٌ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ يظهرُ ذلك من سلوكهم سبيل السخرية والاستهزاء برسل اللهِ، وكذلك من اتهامهم لرسلِ الله بالاتهاماتِ الباطلة.

١- سبيل السخرية والاستهزاء.

قال تعالى عن قوم نوح عليه السلام: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [هود].

وقال تعالى عن كفار مكة: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى عنهم أيضاً: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾﴾ [الفرقان].

٢- سبيل الاتهامات الباطلة مثل الضلال والجنون.

قال قوم نوح لنبيهم: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾﴾ [الأعراف].

فقال نوح عليه السلام لهم: ﴿يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾﴾ [الأعراف].

وقالوا عنه أيضاً: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾﴾ [المؤمنون].

وقال فرعون عن موسى عليه السلام: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾﴾ [الشعراء].

واتهم كفار مكة رسولَ الله ﷺ بالجنون .

قال تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾ [القلم].

والله -عز وجل- يدافعُ عن رسولهِ فيقول: ﴿فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الطور].

وقال تعالى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾ [التكوير].

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾﴾ [الكهف].

عباد الله! إن ما نسمعهُ في هذه الأيام من سخريةِ الكفار واستهزائهم برسولنا ﷺ وبديننا الإسلامي لدليل واضح على أن الكفرَ ملةٌ واحدةٌ في كل زمانٍ ومكانٍ ولذلك يقول الله -عز وجل-: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الذاريات].

أي: هل وصى بعضهم بعضاً بهذه الاتهامات؟!

الوجه الرابعُ: الكفرُ ملةٌ واحدةٌ في كل زمانٍ ومكانٍ في حقدهم على الإسلام والمسلمين حتى أن علامة ذلك تظهر على وجوههم إذا سمعوا عن الإسلامِ، وتظهرُ كذلك على ألسنتهم إذا تكلموا عن الإسلام.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾﴾ [الحج].

وقال تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران:١١٨].

وقال تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾ [النساء:٨٩].

وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة:١٠٩].

وقال تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾ [البقرة].

عباد الله! قارنوا بين الكفار في هذه الآياتِ وبين كفارِ اليوم وستجدوا أن الكفر ملةٌ واحدةٌ في كل زمان ومكان؛ لا يرقبون في مؤمنٍ إلاً ولا ذمة، لا يحبون الخير للمؤمنين، ويسخرون أموالهم في صد المسلمين عن دينهم، لكن الله عز وجل يقول لهم: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾ [فصلت:٤٠].

الوجه الخامس: الكفرُ ملةٌ واحدةٌ في كل زمان ومكان يظهر ذلك من إنفاقهم أموالهم بالليل والنهار ليصدوا عن سبيل الله، ويشوِّهُوا صورة الإسلامِ ودعاةَ الإسلام أمامَ الناسِ بقلبِهم للحقائق.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنفال].

عباد الله! والكفار في كل زمان ومكان يقلبون الحقائق أمام الناس.

فهذا فرعون يقولُ لقومه: ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ [غافر].

وقال لهم أيضاً: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾ [غافر].

وقال لهم أيضاً: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الشعراء].

والله -عز وجل- يقول: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾ [طه].

قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [القصص].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾﴾ [هود].

وقال الملأ الذين كفروامن قوم نوح: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [المؤمنون].

عباد الله! قارنوا بين أقوال الكفار في الأمم السابقة وبين أقوالهم اليوم تجدوا أن الكفر ملةٌ واحدة في قلبِهم للحقائق.

الوجه السادسُ: الكفرُ ملةٌ واحدةٌ في كل زمان ومكان يظهرُ ذلك مِنْ مكرهم بالليل والنهار برسلِ الله ودعاةِ الإسلام فهم يريدون قتلهم أو إخراجَهُم من بلادهم.

قال تعالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النمل].

وقال تعالى عن قوم إبراهيم: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [العنكبوت].

وقال عنهم أيضاً: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى عن فرعون: ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ [غافر].

وقال تعالى عن كفار مكة: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال].

عباد الله! الكفرُ ملةٌ واحدةٌ قديماً وحديثاً في عملهم على إخراج الرسلِ والدعاةِ من بلادهم.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾﴾ [إبراهيم].

وقال قوم لوط لرسولهم: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾﴾ [الشعراء].

وقالوا أيضاً: ﴿أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النمل].

وها هم كفار مكة يخرجون الرسول ﷺ وأصحابَهُ من ديارهم وأموالهم.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ [الحج:٤٠].

وقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠].

ولقد قال ورقةُ بنُ نَوفل لرسول الله ﷺ -عندما جاءه بعدما نزل عليه الوحي-: (ليتني أكونُ حياً إذ يخرُجكَ قومُكَ.

فقال رسول الله ﷺ: «**أومخرجيّ هم؟!**».

قال: نعم؛ لم يأت رجلٌ قط بمثل ما جئت به إلا عودي)[(١)].

وعندما خرج رسول الله ﷺ من مكة مهاجراً إلى المدينة نظر إلى مكة وقال: «**والله إنكِ لخيرُ أرضِ الله، وأحبُّ أرض الله إليّ، والله! لولا أني أُخرِجتُ منكِ ما خرجت**»[(٢)].

عباد الله! قارنوا بين كفار الأمس وكفار اليوم تجدوا أن الكفر ملةٌ واحدةٌ.

وتذكروا أن الله -عز وجل- قد قال في كتابه: ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾﴾ [غافر].

وقال تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ [البروج].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠).

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٩٢٥)، وابن ماجه (٣١٠٨)، وأحمد (٤/ ٣٠٥)، والحاكم (٣/ ٨)، [«صحيح ابن ماجه» (٢٥٤٠)].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾﴾ [الطارق].

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾﴾ [مريم].

الوجهُ السابع: الكفرُ ملةٌ واحدةٌ، يظهر ذلك في ذلهم وندمهم حين ينزلُ بهم عذابُ الله، ويظهر ذلك أيضاً حال اعترافهم في نار جهنم بما أسلفوا.

قال تعالى: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الحجر].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الزمر].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۚ قَالُوا فَادْعُوا ۗ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾﴾ [غافر].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الزخرف].

وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [فاطر].

وقال تعالى: ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ۖ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ ﴾ [الملك].

القسم الثاني: قصص القرآن من غير الأنبياء والرسل

٦
أولاً: قصة أصحاب القريةِ

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف:١١١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران:٦٢]

عباد الله! ما زلنا في صدد الحديث عن سلسلةِ المواعظِ التي بعنوان: **الفرقانُ مِنْ قصصَ القرآن دروسٌ وعظاتٌ وعبر.**

وقد تكلمنا في الجمع الماضيةِ عن القسم الأول منها ألا وهو: أهمية القصص في القرآن.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع القسم الثاني منها ألا وهو: **قصصِ القرآنِ مِنْ غيرِ الأنبياءِ والرُسلِ.**

نبدأُها أولاً: بقصة أصحاب القرية.

عباد الله! يخبرنا ربنا -جل وعلا- عن هذه القصةِ في كتابه الكريم في «سورة يس».

قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ (١٣) إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا
فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ (١٤) قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ
(١٥) قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ (١٦) وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (١٧) قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا
لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨) قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (١٩) وَجَاءَ مِنْ
أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ (٢٠) اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ (٢١) وَمَا لِيَ
لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٢) أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ
شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ (٢٣) إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٤) إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ (٢٥) قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ
قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧) وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِن بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا
مُنزِلِينَ (٢٨) إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (٢٩) يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ
(٣٠) أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ (٣١) وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٣٢)﴾ [يس].

عباد الله! أمر الله رسوله ﷺ أن يضربَ بقصة أصحاب القرية مثلاً؛ لعل قريشٍ تعتبر بما حدث لأصحاب القريةِ من الهلاك بسبب كفرهم، و ليكون في ذكرها مثلاً لرسول الله ﷺ بالرسل الثلاثة الذين أرسلهم اللهُ لأصحاب القرية فيصبر كما صبروا في دعوتهم لأصحاب القرية، وليكون في هذه القصة أيضاً مثلاً لأصحاب محمد ﷺ ليقتدوا بهذا الرجلِ المؤمنِ الذي جاء من أقصا المدينة يسعى.

عباد الله! وكلامنا عن قصةِ أصحاب القرية سيكون حول العناصر التالية:

العنصر الأول: المواجهةُ بين الكفر والإيمان قديماً وحديثاً.

العنصر الثاني: هكذا يفعلُ الإيمان بأهله.

العنصر الثالث: نتيجة الكفرِ والإيمان.

العنصر الأول: المواجهةُ بين الكفر والإيمان قديماً وحديثاً.

عباد الله! إن المواجهة دائمة بين الكفرِ والإيمان، وبين الحق والباطل، وبين الهدى والضلال، وتظهرُ هذه المواجهة بصورة جلية في قصةِ أصحاب القرية.

فالإيمان يتمثلُ في رسل الله الذين أرسلهم الله لإصحاب القرية وفي الرجل المؤمن الذي جاء من أقصا المدينة يسعى، والكفر يتمثل في أصحاب القريةِ.

والله -عز وجل- في هذه القصة -وفي غيرها من قصص القرآن- يخبرنا بالمواجهة التي تحدث بين الكفر والإيمان، ويخبرنا بنتائج هذه المواجهة وهي النصرُ والتمكين والفوز بسعادة الدنيا والآخرة لأهل الإيمان.

والخزي والهلاك والشقاء والعذابُ في الدنيا والآخرة لأهلِ الكفرِ والضلال.

قال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

عباد الله! هذه قريةٌ أرسل الله إليها رسولين -كما أرسل موسى وأخاه هارون إلى فرعون وملئه -فدعا أهل تلك القرية إلى عبادة الله وحده فكذبوهما، فشدّ الله

أزرهما وأمرهما برسولٍ ثالثٍ، وتقدم ثلاثتهم من جديد لدعوة أهل تلك القرية: ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ١٤﴾.

عباد الله! وفي هاتين الآيتين فوائد:

الفائدة الأولى: أنه ما مِنْ قريةٍ إلا أرسل الله إليها رسولاً يدعوهم إلى عبادة الله وحده كما قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ٢٤﴾ [فاطر].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٤﴾ [سبأ].

الفائدة الثانية: أن الرسول يتقوى بالرسول الآخر، والرسولين يتعززان بالرسول الثالث، والداعي إلى الله كذلك يتقوى بإخوانه الدعاة إلى الله.

الفائدة الثالثة: الإصرار على الدعوة والتبليغ مهما كانت النتائج.

عباد الله! ولكن هل تدرون بماذا ردّ أصحاب القرية على رسلِ الله الثلاثة؟

يخبرنا ربنا -جلا وعلا- عن ذلك في كتابه فيقول عنهم: ﴿قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ١٥﴾.

عباد الله! أثار أصحاب القرية شبهةً وهي شبهة (بشرية الرسل) وبنوا على تلك الشبهةِ نتيجةً خاطئةً وهي أن هؤلاء الرسل كاذبون وليسوا بمرسلين: ﴿قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ١٥﴾.

وهذه هي الشبهة التي واجه بها كل قومٍ رسولهم، واعتبروها مانعاً لهم من تصديقه والإيمان به.

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا فَكَفَرُواْ وَتَوَلَّواْ﴾ [التغابن:٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ۝٩٤﴾ [الإسراء].

عباد الله! أتدرون بماذا ردّ رسل الله على افتراءات أصحاب القرية؟

يخبرنا ربنا -جل وعلا- فيقول عنهم: ﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ۝١٦ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ۝١٧﴾ أي: أجابتهم رسلهم الثلاثة فقالوا لهم: الله يعلمُ أنا رسله إليكم، ولو كذبنا عليه لانتقم منا أشد الانتقام، -وذلك كما قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ۝٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ۝٤٧﴾ [الحاقة]، وقالوا لهم: ﴿وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ۝١٧﴾.

أي: إنما علينا أن نبلغكم ما أُرسلنا به إليكم، وهذه هي مهمتنا وهذا هو واجبنا.

عباد الله! إذاً مهمةُ الرسلِ جميعاً ومهمةُ الدعاةِ إلى الله جميعاً هي البلاغُ والدعوةُ فقط.

كما قال تعالى على لسان رُسُله: ﴿وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ۝١٧﴾.

وكما قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ ۝٤٠﴾ [الرعد].

وكما قال تعالى عن هود عليه السلام: ﴿أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ۝٦٨﴾ [الأعراف].

ثم اعلموا يا عباد الله أن التطيرُ -وهو التشاؤمُ- من الرسلِ والدعاةِ إلى الله وتهديدهمُ بالقتلِ والتعذيب إنما هو من أفعالِ الكفار في القديم والحديث.

قال تعالى عن أصحاب القرية: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨﴾.

عباد الله! التطيرُ -وهو التشاؤم- من الرسلِ ليس خاصاً بأهل هذه القرية، بل هو سنّةٌ عامةٌ، وموقفٌ محدّدٌ مطّردٌ، فما من قومٍ جاءهم رسولٌ إلا تطيروا به وتشاءموا من دعوته.

فها هم قومُ ثمود يتطيرون برسولهم صالح عليه السلام.

قال تعالى: ﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ [النمل:٤٧].

وقوم فرعون: تطيروا بموسى عليه السلام وبمن معه.

قال تعالى عنهم: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ﴾ [الأعراف:١٣١].

وها هم كفارُ مكة يتطيرون بمحمدٍ ﷺ، قال تعالى عنهم: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَ﴾ [النساء:٧٨].

فهذا التطيرُ والتشاؤم من أخلاقِ الكفارِ قديماً لرسلِ الله وحديثاً لدعاة الإسلام.

عباد الله! أما التهديدُ بالقتل والرجم والإخراج والتعذيب فهو لغة الكفار قديماً وحديثاً.

فها هم أصحابُ القرية يقولون لرسلِ الله: ﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨﴾ [يس].

وها هو فرعون يقول لموسى عليه السلام: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الشعراء].

وها هم قوم نوح عليه السلام يقولون لنبيهم: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾﴾ [الشعراء].

وها هم قوم لوطٍ عليه السلام يقولون لنبيهم: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾﴾ [الشعراء].

عباد الله! أتدرون ماذا ردّ رسلُ الله على تطيرُ أصحاب القرية وتهديدهم؟

قال الله عنهم: ﴿قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾.

أي: قالت الرسل لهم: ليس شؤمكم بسببنا، وإنما شؤمكم بسببكم، وبكفركم، وعصيانكم، وسوءِ أعمالكم، وإسرافكم في المعاصي والإجرام.

عباد الله! وكفار اليوم -والكفرُ ملةٌ واحدة- يتشاءمون من الإسلام ومن دعاة الإسلام، وينفقون أموالهم بالليل والنهار ليشوِّهوا صورة الإسلام ودعاة الإسلام ليصدوا الناس عن سبيل الله كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ﴾ [الحج:٧٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنفال].

وكفارُ اليوم لا يعرفون إلا لغة التهديد بالقتلِ والسجنِ وهي لغةُ العاجز الضعيف الذي لا يملك حجةً ولا برهاناً.

فعلى الدعاةِ إلى الله تعالى أن يصبروا على دعوتهم للناس ويقولوا للكفار كما قال الرسل لأصحاب القرية: ﴿ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ١٩ ﴾.

العنصر الثاني: هكذا يفعلُ الإيمانُ بأهلهِ.

عباد الله! إن الإيمان إذا تمكن من القلوبِ صنع الرجال.

الإيمانُ إذا ملأَ القلوبُ دفعَ أصحابها إلى كل خيرٍ ومنعهم عن كل شر.

قال تعالى: ﴿ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ ﴾ [يس:٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ ﴾ [القصص:٢٠].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ ﴾ [غافر:٢٨].

وقال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِ ﴾ [الأحزاب:٢٣].

وقال تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ١٠٨﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ٣٦ رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ٣٧﴾ [النور].

فالإيمانُ يا عباد الله! يصنعُ الرجال، ولا يعرفُ قدر الرجال إلا الرجال .

عباد الله! بينما المواجهة قائمةٌ بين رسل الله وأصحاب القرية، جاء رجلٌ مؤمنٌ من أقصا المدينة يسعى وقد دفعه إيمانُهُ إلى الأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله.

فأخذ هذا الرجل يدعو قومه بلطفٍ إلى الإيمان بالله والاستجابة لرسل الله ويحذرهم من عقاب الله.

عباد الله! والله -عز وجل- يخبرنا عن هذا الرجل المؤمن لنقتدي به في دعوتنا.

قال تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [يس].

نعم يا **عباد الله!** لقد قالها بأعلى صوته: ﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾﴾.

قالها لقومه ليتبعوه وقالها للرسل ليشهدوا له بها عند الله يوم القيامة.

عباد الله! ما أن قال ذلك إلا ووثب عليه قومه فقتلوه!

قال قتادة: (جعلوا يرجمونه بالحجارةِ وهو يقول: اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون فلم يزل يقلها حتى لفظ أنفاسه رضي الله عنه وأرضاه)[١].

وعن ابن مسعود: (أنهم وطئوه بأرجلهم حتى خرجت أمعاؤه من دبره)[٢].

هكذا الكفار لا يرقبون في مؤمنٍ إلًّا ولا ذمة!! هكذا الكفار يرضونكم بأفواههم وتأبى قوهلم!!

---

(١) «مختصر تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٦٥).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٧٦٨).

العنصر الثالث: نتيجة الكفر والإيمان.

عباد الله! أمّا نتيجة الإيمان فهي سعادة الدنيا والآخرة.

ففي الدنيا يكون لأهل الإيمان:

١- النصر والتمكين.

قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر].

٢- أن يدافع الله عنهم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ [الحج:٣٨].

وأما في الآخرة فالفوز بالجنة.

قال تعالى: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَـٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [يس].

الله أكبر! هكذا يفعل الإيمان بأهله فها هو قد نصح قومه حياً وميتاً.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: نصح قومه في حياته بقوله: ﴿يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [يس] وبعد مماته في قوله: ﴿يَـٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

ومقصودُهُ: (أنهم لو اطّلعوا على ما حصل لي من الثواب والجزاء والنعيم المقيم لقادهم ذلك إلى اتباع الرسل، فرحمهُ الله، ورضي عنه فلقد كان حريصاً على هداية قومه)(١).

(١) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٣٦٥).

عباد الله! وهكذا المؤمن الصادق في إيمانه لا يريد من الناس إلا أن يؤمنوا بالله وحده ليفوزوا بالجنة وينجوا من عذاب الله.

هكذ المؤمن دائماً يعرف الحق ويرحم الخلق.

هكذا المؤمن دائماً لا يتطلعُ إلى الدنيا الفانية وإنما يرجو ما عند الله لأن الله يقول: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل:٩٦].

ويقول سبحانه: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت].

عباد الله! أما نتيجة أهل الكفر فهي الشقاءُ في الدنيا والآخرة.

أما في الدنيا: فالهلاك والدمار والعذاب كما فُعل بأصحاب القرية.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود].

وقال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [فصلت].

عباد الله! أما نتيجة أهل الكفر في الآخرة فالعذاب الأليم في دار الجحيم.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾ [فاطر].

وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [القلم].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب].

عباد الله! ويختم ربنا -جل وعلا- قصة أصحاب القرية بآيات فيها تحذير وتذكير؛ قال تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يس].

٧

ثانياً: الدروس والعظات والعبرُ التي تؤخذ من قصةِ أصحاب القرية

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ۗ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ المواعظِ التي بعنوان: **الفرقانُ مِنْ قصصَ القرآن دروسٌ وعظاتٌ وعبر.**

عباد الله! أتدرون ما هي؟

إنها: **الدروس والعظاتُ والعبرُ التي تؤخذ من قصةِ أصحابِ القريةِ.**

عباد الله! قصة أصحاب القرية التي تكلمنا عنها في الجمعةِ الماضيةِ فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: الداعي إلى الله يتقوى بإخوانه الدعاةِ.

ونأخذ هذا من قصة أصحابِ القريةِ من قوله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا﴾ -أي: فقوينا- ﴿بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [يس].

ويؤخذ هذا أيضاً مما يلي:

عندما أمر اللهُ موسى أن يذهبَ إلى فرعون سأل موسى ربه أن يقويه ويعينهُ بأخيهِ هارون فاستجاب الله له.

قال تعالى: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾﴾ [طه] إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [طه].

وفي موضع آخر قال موسى لربه: ﴿وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا﴾ -أي: معيناً- ﴿يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾ [القصص].

فاستجاب الله له وأعطاه طلبه فقال تعالى: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ [القصص:٣٥] -أي: سنقويك ونُعينُكَ به-.

عباد الله! فمن هذه الأدلة يظهر لنا أن الداعي إلى الله يتقوى بإخوانه الدعاةِ فعلى الدعاة أن يتحدوا لأن الإتحاد قوةٌ والتفرق ضعفٌ.

ولذلك عندما أرسلَ رسول الله ﷺ معاذاً وأبا موسى الأشعري إلى اليمن للدعوة إلى الله قال لهما: «**يَسِّرا ولا تُعَسِّرا، وبشرا ولا تُنفِّرا، وتطاوعا ولا تختلِفا**»[1].

ثانياً: التكذيب بالرسل والدعاةِ أسلوبٌ قديمٌ للكفارِ ليدفعوا بذلك الحق الذي جاءت به الرسل.

ونأخذُ هذا من قصةِ أصحابِ القريةِ من قوله تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [يس].

عباد الله! إن تكذيب الرسل أسلوبٌ قديمٌ أخذت به الأممُ الكافرة لرد دعوة الرسل.

قال تعالى: ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾﴾ [ص].

وقوم نوح قال الله عنهم: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا وَقَالُواْ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾﴾ [القمر].

وقال نوحٌ عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾﴾ [الشعراء].

وها هم كفارُ مكة يرمون رسول الله ﷺ بالكذب.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٠٣٨)، ومسلم (١٧٣٣).

قال تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾﴾ [ص].

عباد الله! والله -عز وجل- يقول لرسوله ﷺ مطمئناً قلبه: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأنعام]

ويقول له أيضاً: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾ [النمل].

عباد الله! فالكفار قديماً وحديثاً يكذبون الرسل ودعاة الإسلام ليردوا الحق الذي جاءوا به مع أنهم يعلمون أن الرسلَ ودعاة الحق جاءوا بالحق من عند ربهم.

قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل].

ثالثاً: التطّيرُ -وهو التشاؤمُ- خلقٌ ذميمٌ من أخلاق الجاهلية وهو شِركٌ وحرام.

عباد الله! ويؤخذُ هذا من قصةِ أصحابِ القريةِ من قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ [يس].

وهذا ما قالتهُ ثمودُ لنبيهم صالح عليه السلام: ﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ [النمل:٤٧].

وهذا ما فعلهُ فرعون وقومهُ مع موسى عليه السلام.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ [الأعراف:١٣١].

وهذا ما فعلهُ كفارُ مكة مع رسول الله ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾ [النساء:٧٨].

عباد الله! والتطير وهو -التشاؤم- شركٌ وحرامٌ.

قال ﷺ: «**الطِّيرةُ شِركٌ، وما منا إلا، ولكنَّ الله يُذهبُه بالتوكل**»(١).

وقال ﷺ: «**ليس منا من تطيَّرَ ولا مَنْ تُطيِّرَ له، أو تَكَهَّن أو تُكُهِّنَ له، أو تَسَحَّرَ أو تُسِحِّرَ له**»(٢).

وقال ﷺ: «**لا عدوى ولا طيرة ولا غُولَ**»(٣).

عباد الله! فالتطيَّرُ -وهو التشاؤم- خلقٌ من أخلاق الجاهلية وهو شركٌ وحرامٌ وليس من أخلاق المؤمنين، فيجب على المسلم إذا مضى إلى أمرٍ ما فتشاءم من شيءٍ ما فعليه أن يمضي متوكلاً على الله لأنه إذا رجع عنه متشائماً فقد أشرك.

قال ﷺ: «**من ردته الطِّيرةُ من حاجةٍ فقد أشرك**».

قالوا: يا رسول الله ما كفارةُ ذلك؟

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٣٩١٠)، والترمذي (١٦١٤)، وابن ماجه (٣٥٣٨)، وأحمد (١/ ٣٨٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٩٠٩)، [«الصحيحة» (٤٢٩)].

(٢) **صحيح**: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ١٦٢)، [« صحيح الجامع » (٥٤٣٥)].

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٢٢٢).

قال: «**أن يقول أحدهم: اللهم لا خيرَ إلا خيرُك، ولا طيرَ إلا طيرُك، ولا إله غيرُك**»(١).

رابعاً: طريقُ المرسلين هو الطريقُ الوحيدُ للوصول إلى رضا رب العالمين وإلى جنات النعيم.

يُؤخذ هذا من قصة أصحابِ القريةِ من قول الرجل المؤمن الذي جاء من أقصا المدينة يسعى فقال لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يس].

عباد الله! الطريق الوحيد الذي يوصلُ إلى رضا رب العالمين وإلى جنات النعيم وإلى الفوز العظيم هو طريق المرسلين وذلك لأنّ دعوة الرسلِ تمتازُ بمزايا كثيرة منها:

١ - أنها دعوة ربانية.

أي: ليست من عند أنفسهم، ولا من هواهم، ولا من عقولهم وإنما هي وحيٌ من الله.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء].

وإذا أوحى الله إلى رسوله وحياً أمرهُ أن يبلغهُ إلى الناس كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة].

---

(١) **صحيح**: أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٢٠)، وابن السني «في عمل اليوم والليلة» (٢٩٢)، [«الصحيحة» (٣/ ٥٤/ ١٠٦٥)].

وقال تعالى عن رسوله ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم].

ولذلك عندما طلب كفار مكة من رسول الله ﷺ أن يأتي لهم بقرآنٍ غير هذا القرآن أو يُبدله قال لهم: ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ۖ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٥﴾ [الزّمر].

ولما طلبوا منه حلا يُرضي الطرفين فقالوا: نعبد إلهك يوماً وتعبد آلهتنا يوماً فأمرهُ الله أن يقول لهم: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ۝٦٤ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝٦٥﴾ [الزّمر].

عباد الله! فدعوةُ الرسلِ دعوةٌ ربانيةٌ معصومةٌ، لأنها تقوم على الوحي أمّا الدعوات التي تقومُ على الهوى والأفكار الخَرِبة فهي دعواتٌ باطلةٌ كاذبةٌ سرعان ما تزول، فعليكم يا عباد الله! بدعوة الرسل وبمنهج الرسل وبطريق الرسل فإنه يوصلكم إلى سعادة الدنيا والآخرة.

٢- أنّ أصحابها لا يطلبون أجراً على دعوتهم.

ولذلك قال الرجلُ الذي جاء من أقصا المدينة يسعى لقومه: ﴿اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ۝٢٠ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٢١﴾ [يس].

عباد الله! الأنبياءُ جميعاً لا يطلبون من الناسِ أجراً على دعوتهم، ولا يتطلعون إلى دنياهم الفانية، ولا إلى مناصبهم الزائلة.

فهذا نوحٌ عليه السلام يقول لقومه: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ [هود:٢٩].

وهذا هودٌ عليه السلام يقول لقومهِ: ﴿يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝٥١﴾ [هود].

وهذا رسولُنا ﷺ يأمرهُ الله أن يقول لقومه: ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ۝٥٧﴾ [الفرقان].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ۝٨٦﴾ [ص].

عباد الله! فدعاةِ الحقِ لا يسألون الناس أجراً على دعوتهم ولا يتطلعون إلى الدنيا الفانية، وإنما همهم أن يدخل الناس في دين الله أفواجاً، وأن يعبدوا الله وحدهُ ليفوزوا بجنة عرضها السموات والأرض، فهم أعلمُ الناس بالحق وأرحمُ الناس بالخلق.

ويظهر ذلك من قصة أصحاب القرية من الرجل الذي جاء من أقصا المدينة يسعى يقول لقومه: ﴿ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٢٠﴾ وحتى بعدما قتلوه قال: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ۝٢٧﴾ [يس] فنصحهم حياً وميتاً، ورحمهم حياً وميتاً.

٣- إنها دعوةٌ قائمةٌ على العلمِ والفهمِ والحكمةِ والرحمةِ والبساطةِ، وهذا يظهرُ من دعوة الرجل المؤمن الذي جاء من أقصا المدينة يسعى ويقول لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ۝٢١ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝٢٢﴾ [يس] إلى آخر الآيات.

والله -عز وجل- يقولُ لرسوله ﷺ: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ۝١٢٥﴾ [النحل].

ويقولُ له أيضاً: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾ [ق].

فكان رسولُ الله ﷺ إذا جاءهُ الرجل من الكفار يقرأ عليه القرآن فيُسلِم.

فدعوةُ الرسلِ دعوةٌ فطريةٌ تقبلُها الفطرةُ السليمة والعقل السليم.

٤- إنها دعوةٌ واضحةٌ لا غموض فيها، وهذا يظهر من دعوة الرجل المؤمن لأصحاب القرية.

وقد قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت].

عباد الله! ولما أرسل رسولُ الله ﷺ معاذاً إلى اليمن قال له: «**إنك ستأتي قوماً أهلَ كتاب، فإذا جئتهم فادعهُم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله، فإن هُم أطاعُوا لكَ بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلواتٍ في كلِّ يومٍ وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم فتُردُّ على فقرائهم، فإن هم أطاعُوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينهُ وبين الله حجاب**»[1].

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري(١٤٩٦)، ومسلم (١٩).

عباد الله! أمّا الدعوات التي تقومُ على اللفّ والدوران والتعقيد والتكفير والتفجير فالإسلام منها بريء.

٥- إنها دعوةٌ تهتمُّ بالتوحيد أولاً والتحذير من الشرك وهذا يظهرُ جلياً من دعوةِ الرجل الذي جاء من أقصا المدينة يسعى يقول لقومه: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرࣲّ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـࣰٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ إِذࣰا لَّفِي ضَلَٰلࣲ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [يس].

عباد الله! وما من نبي جاء إلى قومه إلا وقال لهم: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةࣲ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

فهذا إبراهيم عليه السلام يقول لقومه: ﴿مَا تَعۡبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامࣰا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمۡ عَدُوࣱّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمࣰا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الشعراء].

وهذا يوسفُ عليه السلام حتى في داخل السجن كان يدعو المساجين إلى عقيدة التوحيد ويحذرهم من الشرك.

قال تعالى على لسانه: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابࣱ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءࣰ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف].

عباد الله! وهذا رسولنا ﷺ يدعو إلى التوحيد ويحذر من الشرك من أول بعثته إلى أن لقي ربه.

فعن ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال وهو في أنفاسه الأخيرة: «**لعنةُ الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يحذر ما صنعوا**(١).

وكان ﷺ يهتم بالتوحيد حتى مع الصبيان.

فيقول ﷺ لابن عباس يوماً: «**يا غلام إني أُعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله**(٢)».

عباد الله! فالتوحيد سببٌ لسعادة الدنيا والآخرة، والشركُ سبب لشقاء الدنيا والآخرة.

قال الله -عز وجل- في الحديث القدسيّ: «**يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أُبالي، يا ابن آدم! لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أُبالي، يا ابن آدم! إنك لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة**(٣)».

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٣٥)، (٤٣٦)، ومسلم (٥٣١).

(٢) **صحيح**: وهو جزء من حديث أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (١/ ٢٩٣)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٥/ ٣١٦)، [«صحيح الجامع» (٧٩٥٧)].

(٣) **حسن**: أخرجه الترمذي (٣٥٤٠)، وأحمد (٥/ ١٦٧)، والدارمي (٢٧٨٤)، [«الصحيحة» (١٢٧)].

عباد الله! دعوةُ الرسلِ دعوةٌ معصومةٌ، وطريق الرسل طريقٌ يوصل إلى رضا الله والجنة ولذلك بعد أن ذكر الله أنبياءه ورسله لرسوله ﷺ قال: ﴿**أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠**﴾ [الأنعام].

وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿**ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٣**﴾ [النحل].

عباد الله! واللهُ -عز وجل- يقول لنا: ﴿**لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١**﴾ [الأحزاب].

عباد الله! وخط النبي ﷺ خطاً قال: «**هذا سبيل الله**» ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله وقال: «**هذه سُبل على كل سبيلٍ منها شيطان يدعو إليه**[1]».

فعلينا جميعاً عباد الله أن نسلُكَ سبيلَ اللهِ وهو سبيلُ المؤمنين الصادقين من الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، ومن سلك سبيلاً غير سبيل المؤمنين خسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين!

قال تعالى: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥**﴾ [النساء].

---

(١) **حسن**: أخرجه أحمد (١/ ٤٣٥)، والدارمي (٢٠٧)، والحاكم (٢/ ٣٤٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٦/ ٣٤٣)، [«مشكاة المصابيح» (١٦٦)].

خامساً: ومن الدروس والعظاتِ والعبر التي تُؤخذ من قصةِ أصحاب القرية: غداً عند اللهِ تجتمعُ الخصوم.

وهذا يؤخذ من قصة أصحاب القرية من قوله تعالى: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٨٣﴾. ومن قوله تعالى: ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ۝٣٢﴾.

عباد الله! الموتُ حقٌّ كتبهُ الله على الجميع، على المؤمن وعلى الكافر.

فالمؤمن ينتقلُ بالموتِ إلى جنة القبر ثم إلى جنةِ الخلدِ.

والكافرُ ينتقلُ بالموتِ من عذاب الدنيا إلى عذاب القبر ثم إلى عذاب جهنم.

قال تعالى عن الرجل المؤمن الذي جاء من أقصا المدينة يسعى بعد أن قتله قومه: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ۝٢٧﴾ [يس].

وقال تعالى عن أصحاب القرية الكفار الذين قتلوا ذلك الرجل وكذبوا برسل الله: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ۝٢٩ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٣٠﴾ [يس].

وقال تعالى عن قوم نوح عليه السلام: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ۝٢٥﴾ [نوح].

عباد الله! ويوم القيامة وعند الله تجتمع الخصوم.

يجتمع القاتل مع المقتول، والظالم مع المظلوم، وهناك تُرَدُّ الحقوق إلى أصحابها.

هناك يجتمع الفاروق عمر رضي الله عنه مع الكلب الذي قتله.

ويلتقي عثمان بن عفان رضي الله عنه مع قاتله.

ويجتمع علي بن أبي طالب رضي الله عنه مع قاتله.

ويجتمع أهل السنةِ مع الذين يتفننون في تعذيبهم وقتلهم من أهل البدع والضلال والكفار والمجرمين.

هناك يقتص للشاةِ الجلحاء -التي لا قرون لها- من الشاة القرناء -التي لها قرون-.

هناك يأخذُ المقتولُ بتلابيب القاتل ويجرهُ عند الله ويقول المقتول: يا رب! سل هذا لما قتلني؟!

عباد الله! هناك تُنصبُ الموازين للقضاء.

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء].

عباد الله! هناك يعضُّ الظالم على يديهِ ويندمُ، وهناك يتحسرُ المجرم في وقت لا ينفع فيه ندمٌ ولا حسرةٌ.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ

عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَـٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سبأ].

وقال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنعام].

ابن آدم!

مثل وقوفك يوم العـرض عريانـاً — مستوحشاً قلـق الأحـشاء حيرانـا
والنار تلهبُ من غيظٍ ومـن حنـق — على العصاة وربُّ العرش غضبانا
اقرأ كتابك يـا عبـدي عـلى مهـل — فهل ترى فيه حرفـاً غـير مـا كانـا
لمـــا قـــرأت ولم تُنكـــر قراءتـــه — إقرار مـن عـرف الأشـياء عرفانـا
نادى الجليل: خذوه يـا ملائكتـي — وامضوا بعبدٍ عصى للنار عطـشانا
المجرمـون غـداً في النـار يلتهبـوا — والمؤمنـون في دار الخلـد سـكاناً

٨

ثالثاً: قصة مؤمن آل فرعون

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم:٤٧].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ المواعظِ التي بعنوان: **الفرقانُ مِنْ قصصَ القرآن دروسٌ وعظاتٌ وعبر.**

أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **قصة مؤمنِ آل فرعون.**

وهذه القصة مظهر من مظاهر الإيمان يتبين لنا فيها كيف يصنع الإيمان الرجال!

عباد الله! يخبرُنا ربُنا -جل وعلا- عن قصة مؤمن آل فرعون في سورة غافر أو سورة المؤمن، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا ۖ وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر]

عباد الله! وكلامنا عن قصةِ مؤمنِ آل فرعون سيكون حولَ العناصر التالية:

العنصر الأول: قصة الصراعُ بين الإيمان والكفرِ واحدةٌ في كل زمانٍ ومكانٍ.

العنصر الثاني: موازين أهل الباطل مقلوبةٌ معكوسةٌ قديماً وحديثاً.

العنصر الثالث: نصيحةُ مؤمنٍ فيها تذكيرٌ وتحذيرٌ.

العنصر الأولُ: قصة الصراعُ بين الإيمان والكفر واحدةً في كل زمان ومكانٍ.

عباد الله! الصراعُ بين الإيمان والكفر، والحق والباطل، والهدى والضلال، قصتُهُ واحدةٌ في كل زمانٍ ومكانٍ، وإن اختلف الأشخاصُ والأفرادُ والأماكن.

ففي قصة أصحاب القرية كان الإيمان يتمثلُ في رسلِ الله والرجل المؤمن الذي جاء من أقصا المدينة يسعى وكان الكفر يتمثلُ في أصحاب القرية.

فقابل أصحاب القرية -الكفار- الحق الذي جاءت به الرسلُ بالتكذيب والتهديد والقتل.

وفي قصة مؤمن آل فرعون يتمثلُ الإيمانُ في موسى وفي هذا الرجلِ الذي كان يكتم إيمانهُ.

ويتمثل الكفرُ في فرعون وملئه.

فقابل الكفار -فرعون وقومه- الحقّ الذي جاء به موسى بالتكذيب والتهديد والقتل.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾﴾ [غافر].

عباد الله! الصراعُ بين الإيمان والكفر قصتُهُ واحدةٌ وإن اختلف الأفراد من الطغاة والجبابرة أو من المؤمنين، فالصراع واحدٌ، وأدلةُ أهل الإيمان على إيمانهم واحدةٌ، وشبهاتُ الطغاةِ والجبابرة واحدةٌ، كما أن النهاية تكون كذلك واحدةٌ.

فالباطل ينتفشُ ويستعرضُ بعضلاته وأسلحته ويبدو بأسبابه الأرضية كأنه على كل شيء قدير، يبدو وكأن أحداً لا يقدرُ عليه، ولكن عندما يواجه بالحقّ الذي يستمد قوته من الله -عز وجل- إلا وتكون العاقبة للمتقين، والهلاك والعذابُ للطغاة والمتكبرين.

عباد الله! ويظهرُ ذلك من قصةِ أصحاب القرية التي مرت معنا، ومن قصة موسى مع فرعون، وهناك في سورة الشعراء نبهنا ربنا -جل وعلا- إلى الصراع بين الحق والباطل، والإيمان والكفر وبين لنا أن العاقبة للحق وأهله دائماً، وأن الهلاك للباطل وأهله دائماً.

ففي نهاية كلِّ قصةٍ يقول الله -عز وجل-: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩)﴾ [الشعراء].

العنصر الثاني: موازين أهلِ الباطلِ مقلوبةٌ معكوسةٌ قديماً وحديثاً.

عباد الله! تأملوا موازين أهل الباطل قديماً وحديثاً لتروا أنها معكوسةٌ مقلوبةٌ.

فهذا فرعون الذي قال لقومه: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٤)﴾ [النازعات]، وقال لهم: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص:٣٨].

فرعون المفسدُ في الأرض بنص القرآن الذي قال الله تعالى عنه: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤)﴾ [القصص] أصبح غيوراً على الدين، حارساً له من التغير والتبديل الذي يتهدده على يدي موسى! وأصبح فرعون داعية إصلاحٍ وخيرٍ وأمن! حتى إنه يتهم موسى عليه السلام بتغير الدين والإفساد في الأرض!

قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ (٢٦)﴾ [غافر].

وقال في موضعٍ آخر: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٢٩﴾ [غافر].

وقال تعالى عن قوم فرعون: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ ١٢٧﴾ [الأعراف].

إنها موازين الباطل المعكوسة والتي ينخدع بها من لا عقل له، فهذا فرعون الذي يقول لقومه: ﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٢٩﴾.

يقول الله -عز وجل- مكذباً له: ﴿وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ٧٩﴾ [طه].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ٩٦ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ٩٧ يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ ٩٨﴾ [هود].

فها هم كل الذين انخدعوا بموازين أهل الباطل المقلوبة واتبعوهم يدخلون معهم النار، ويندمون في وقتٍ لا ينفع فيه الندم.

قال تعالى: ﴿يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ٦٦ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ٦٧ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ٦٨﴾ [الأحزاب].

وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ٤٧ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ٤٨﴾ [غافر].

عباد الله! تعالوا بنا لننظر إلى موازين أهل الباطل في العصر الحديث:

فها هم النصارى الذين يقولون: إن الله هو المسيح ابنُ مريم، ويقولون: المسيحُ ابن الله، ويقولون: إن الله ثالثُ ثلاثة، ويقتلون الأبرياء من المسلمين هنا وهناك في بلاد العالم.

وها هم اليهود الذين قالوا: إن عزير ابن الله، وقالوا: يدُ الله مغلولة وقالوا: إن الله فقير ونحن أغنياء، وهم يحاربون الإسلام بكل ما يملكون من قوة، ويحتلون المسجد الأقصى وبلاد المسلمين.

وها هم الخوارج الذين يكفرون المسلمين ويستحلون دماءهم، وهم الذين قتلوا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، ويدعون أنهم وحدهم الذين يرفعون راية الجهاد في سبيل الله.

وها هم الروافض الذين يتهمون أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالزنى، ويكفرون أصحاب محمدٍ صلى الله عليه وسلم، ويلعنون أبا بكرٍ وعمر رضي الله عنهما ويتفننون في تعذيب وقتل أهل السنة.

فهؤلاء في ميزان أهل الباطل: حُرَّاس الدين والمحافظون على الأمن والأمان، والمجاهدون في سبيل الله، ويطلقون على أنفسهم «حزب الله»، ويخدعون الناس أنهم هم الذين ينصرون الإسلام.

عباد الله! وإذا وزنا هؤلاء جميعاً في ميزان الكتاب والسنة وهو ميزان الحق تبين للجميع أنهم هم المفسدون في الأرض وهم السفهاء.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [البقرة].

فاحذروا أن تنخدعوا بموازين أهل الباطل المقلوبة المعكوسة.

العنصرُ الثالثُ: نصحية مؤمنٍ فيها تذكيرٌ وتحذيرٌ

عباد الله! وهذا الرجل هو المؤمن من آل فرعون.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لم يؤمن من آل فرعون سوى هذا الرجل؛ وامرأة فرعون، وهو الذي قال: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [القصص] وقد كان يكتم إيمانه عن قومه فلم يُظهر إلا هذا اليومَ حين قال فرعون: ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ﴾ [غافر:٢٦] فأخذت الرجل غضبةٌ لله -عز وجل- كما ثبت بذلك الحديث: «**أفضل الجهادِ كلمةُ عدلٍ (وفي رواية: حقٍّ) عند سلطانٍ جائر**»[(١)].

ولا أعظم من هذه الكلمة عند فرعون وهي قوله: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر:٢٨] أي: كيف تقتلون رجلاً لكونه يقول ربي الله وقد أقام لكم البرهان تلو البرهان على صدق ما جاءكم به من الحق؟![(٢)].

عباد الله! الإيمانُ إذا ملأ القلوب صنع الرجال ودفعهم إلى كلِّ خيرٍ ومنعهم من كلِّ شرٍ.

فهذا الرجل المؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه مع ذلك عندما سمع بقرار فرعون الجائر تقدم إلى قومه بنصيحة فيها تذكيرٌ وتحذير.

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٣٤٤)، والترمذي (٢١٧٤)، وابن ماجه (٤٠١١)، وابن الجعد (٣٣٢٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٩٣)، [«الصحيحة» (٤٩١)].

(٢) «مختصر تفسير ابن كثير» (٤/ ٧٥).

فقال تعالى على لسانه: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾ [غافر].

أي: كيف تقتلون رجلاً لكونه يقول: ربي الله وقد جاءكم بالبينات العظيمة التي عهدتموها وشهدتموها وهي دليل ساطع على أنه رسول من عند الله.

ثم ذكّرهم ببأس اللهِ الذي ينزلُ بالظلمةِ الذين يقفون في وجه رسل الله ودعوتهم إلى الله، فقال: ﴿يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾ [غافر:٢٩].

فهو يحذرهم أن يُسلبوا ما هم فيه من الملك، فإنه ما تعرضت دولةٌ للدين إلا وسُلب أهلها ملكهم، وذلوا من بعد عزهم.

نعم يا عباد الله إن الإيمان يصنع الرجال.

فهذا رجلٌ يكتم إيمانه لكنه يدافع بكل شجاعة عن موسى عليه السلام! فتعالوا بنا لنعيش مع هذا الرجل المؤمن من أصحاب محمد ﷺ الذي يظهرُ إيمانهُ وهو يدافع عن رسول الله ﷺ في الوقت الذي لم يستطع فيه أحدٌ أن يدافع عنه.

أتدرون من هو هذا الرجل يا عباد الله؟

إنه: أبو بكر الصديق رضي الله عنه أفضلُ هذه الأمة بعد نبيها وأحب الناس إلى رسول الله ﷺ، وصاحبه في الغار.

عباد الله! قارن الإمام البخاري -رحمه الله- بين مؤمن آل فرعون في نصرته لموسى عليه السلام وبين أبي بكر الصديق رضي الله عنه في نصرته لرسول الله ﷺ في مكة ففضل أبا بكر الصديق على مؤمن آل فرعون.

ففي «كتاب التفسير» من «جامعه الصحيح» أورد حديث عروة بن الزبير قال: قلتُ لعبد الله بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشدِّ ما صنع المشركون برسول الله ﷺ.

قال: بينا رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي مُعيط، فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه، فخنقه به خنقاً شديداً فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه، ودفع عن رسول الله ﷺ وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾[1].

عباد الله! وقد قارن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بين أبي بكر الصديق ومؤمن آل فرعون، وفضَّل أبا بكر على مؤمن آل فرعون أورد الإمام ابن كثير في «تاريخه» -نقلاً عن البزّار- عن محمد بن عقيل، أن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه خطب الناس يوماً فقال: يا أيها الناس! من أشجعُ الناس؟ قالوا: أنت يا أمير المؤمنين فقال: أما إني ما بارزني أحدٌ إلا انتصفت منه!

ولكنه أبو بكر. إنا جعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً. فقلنا: من يكون مع رسول الله ؟ فوالله ما دنا منا أحدٌ إلا أبا بكر، شاهراً بالسيف على رأس رسول الله ﷺ، لا يهوي إليه أحدٌ إلا أهوى إليه، فهذا أشجعُ الناس ثم قال: ولقد رأيتُ رسول الله ﷺ وقد أخذتهُ قريشٌ، فهذا يحادُّهُ، وهذا يُتلْتِلُه -أي يحركه ويزعزعه من مكانه-.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٨١٥).

ويقولون: أنت الذي جعلت الآلهة إلهاً واحداً؟

يقول عليّ ﷺ: فوالله ما دنا منا أحدٌ إلا أبو بكرٍ، يضربُ هذا، ويجاهدُ هذا، ويتلتِل هذا، وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟

ثم ردَّ -أي: رفع- عليٌّ بُردةً كانت عليه، فبكى حتى اخضلَّت -أي: ابتلت- لحيته ثم قال: أُنشدكم الله: أمؤمن آل فرعون خيرٌ أم هو؟ فسكت القوم.

فقال علي: فوالله لساعةٌ مع أبي بكر خيرٌ من ملء الأرض من مؤمن آل فرعون! ذاك رجلٌ يكتم إيمانه، وهذا رجلٌ أعلن إيمانه»[١].

اللهُ أكبر! الله أكبر! هذه شهادةٌ من علي بن أبي طالب ﷺ لأبي بكر الصديق بأنه أفضل الأمة بعد رسولها ﷺ وأنه أشجع الناس بعد رسول الله ﷺ ثم يأتي الرافضي الخبيث يلعنُ أبا بكرٍ صباحاً ومساءاً!! قاتلهم الله أنى يؤفكون.

عباد الله! الرجل المؤمن الذي يكتم إيمانه نصح قومه برفقٍ ولينٍ وذكرهم ولم يكشف بعدُ عن إيمانه.

فعقب فرعون على كلام هذا الرجل.

قال تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾ [غافر] أي: إن الذي أدعوكم إليه من قتل موسى هو سبيلُ الرشاد، وهو السبيلُ للحفاظ على الدين والأمنِ.

---

(١) «البداية والنهاية لابن كثير» (٣/ ٢٧١-٢٧٢).

عباد الله! بدأ الرجل المؤمن الذي يكتم إيمانه يتكلم، ولكنه في هذه المرة يُحذِّرُ ويُخوِّف ويُذكِّر قومه بالأمم الظالمة التي كانت قبلهم.

أممٌ علت فسقطت، وظلمت فهلكت، وسادت فبادت، وكأنه يقول لهم العاقل من اتعظ بغيره.

عباد الله! تعالوا بنا لنستمع إلى هذا الرجل المؤمن وهو يتكلم أمام فرعون بشجاعة المؤمن الذي لا يخاف إلا من الله ولا يتوكل إلا على الله.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴿٣٥﴾﴾ [غافر].

عباد الله! بعدما خوّف هذا الرجل المؤمن قومه وذكَّرهم بعذاب الدنيا الذي يحل بالظلمة الذين يعتدون على أولياء الله، وذكرهم بعذاب الآخرة، قام فرعون يتكلم ولكنه في هذه المرة أخذ يستهزئُ ويسخر من موسى عليه السلام وأخذ الخبيث يعرض حيلة خبيثة يُشغل الناس بها عن الإيمان بموسى عليه السلام.

قال تعالى على لسانه: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ ﴿٣٧﴾﴾ [غافر].

عباد الله! لما تكلم فرعون وعرض فكرته الخبيثة على الناس قام الرجل المؤمن يتكلم ولكنه في هذه المرة أظهر إيمانه وأخذ يبين سبيل الرشاد للناس بكل شجاعةٍ.

قال تعالى على لسانه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٤٠﴾﴾ [غافر].

عباد الله: الرجل المؤمن بينَّ للناس سبيلَ الرشاد، وبينَّ الأسباب التي تساعد عل سلوكه وهي معرفة حقيقة الدنيا والآخرة، فمن زهد في الدنيا ورغب في الآخرة ثبت على هذا السبيل، ومن ركن إلى الدنيا وأحبها ونسي الآخرة حُرم هذا السبيل، ثم ذكَّرهم بما أُعد للصالحين والطالحين من النعيم والعذاب عند الله يوم القيامة.

ثم قال لهم: ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدۡعُونَنِي لِأَكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشۡرِكَ بِهِۦ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞ وَأَنَا۠ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذۡكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمۡۚ وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾ [غافر].

عباد الله! فلما تبين لفرعون وقومه أن هذا الرجل قد آمن بموسى واتبع سبيله مكروا به وكادوا له.

قال تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر].

عباد الله! هذه هي نهاية الكفر العذاب في الدنيا -كان هنا الغرق- ثم منه إلى عذاب القبر ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا﴾ [غافر:٤٦] ثم منه إلى عذاب جهنم وبئس المصير ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾.

وفي جهنم يلعن الكفار بعضهم بعضاً، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ (٣٨)﴾ [الأعراف].

٩

رابعاً: الدروسُ والعظات والعبر التي تؤخذ من قصة مؤمن آل فرعون

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ المواعظِ التي بعنوان: **الفرقانُ مِنْ قصصَ القرآن دروسٌ وعظاتٌ وعبر**.

وهي **الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من قصة مؤمن آل فرعون**

عباد الله! قصةُ مؤمن آل فرعون التي تكلمنا عنها في الجمعة الماضية فيها دروس وعظات وعبرٌ كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: ومن يتوكل على الله فهو حسبُهُ.

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٢-٣].

أي: فهو كافيه وناصره وحافظه.

وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ۝٣٦ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ۝٣٧﴾ [الزمر]

عباد الله! لـمّا أصدرَ فرعونُ قراره الجائر بقتل موسى فقال: ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ﴾ [غافر:٢٦] وصل الخبر إلى موسى عليه السلام فاستعاذ موسى بربه وتوكل عليه.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ۝٢٧﴾ [غافر]

عباد الله! من توكل على الله فهو حسبه، ومن استعاذ بالله أعاذه، ومن احتمى بالله حماه، ومن استنصر بالله نصره، ومن اعتز بالله أعزه.

فلما استعاذ موسى بربه ولجأ إليه وتوكل عليه كفاه شرَّ فرعون.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ۝٦٢ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ۝٦٣ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ۝٦٤ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ۝٦٥ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ۝٦٦ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٦٧ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦٨﴾ [الشعراء]

وهذا هود عليه السلام عندما هدده قومه توكل على الله والتجأ إليه.

قال تعالى على لسان هود - عليه السلام -: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦﴾ [هود]

عباد لله! لما توكل هودٌ عليه السلام على الله كفاه الله شرَّ قومه ونجاهُ.

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ٥٨﴾ [هود]

عباد الله! وهذا إبراهيم عليه السلام توكل على ربه عندما ألقاه قومُه في النار فأنجاه الله منها.

قال تعالى عن إبراهيم - عليه السلام -: ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ٧١﴾ [الأنبياء]، فأنجاه الله منها.

ومحمدٌ صلى الله عليه وسلم عندما كاد به المشركون وجمع له الناسُ توكل على الله.

قال تعالى عن محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ﴾ [آل عمران:١٧٣-١٧٤]

يقول ابنُ عباس رضي الله عنهما (﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار، وقالها محمدٌ صلى الله عليه وسلم حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾)[1] [آل عمران].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٥٦٣).

ونحن في هذا الوقت الذي يكيد فيه أعداء الإسلام للمسلمين علينا أن نقول: حسبنا الله ونعم الوكيل.

ثانياً: نصرة المظلوم واجبةٌ.

عباد الله! وهذا نأخذه من موقف مؤمن آل فرعون في نصرته لموسى عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر:٢٨].

عباد الله! نصرةُ المسلم المظلوم حق من حقوق المسلم على أخيه المسلم.

قال ﷺ: «**المسلمُ أخو المسلمُ، لا يَظْلِمُهُ ولا يُسْلِمُهُ**»(١).

لا يُسلمُهُ: أي: لا يسلمهُ إلى عدوه.

وقال ﷺ: «**انصرْ أخاك ظالماً أو مظلوماً**».

فقال رجلٌ: يا رسول الله! أنصرهُ إذا كان مظلوماً أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصرُهُ؟!

قال: «**تَحْجُزُهُ -أو تمنعهُ- من الظلم فإن ذلك نصرُهُ**»(٢).

وقال ﷺ: «**أُمِرَ بعبدٍ من عباد الله أن يُضرب في قبره مائة جلدةٍ، فلم يزلْ يسألُ ويدعو حتى صارت جلدةً واحدةً فجلد جلدة واحدة، فامتلأ قبرُهُ عليه ناراً، فلما ارتفع عنه وأفاق قال: على ما جلدتموني؟**

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٩٥٢).

قالوا: إنك صليت صلاةً واحدة بغير طهورٍ، ومررتَ على مظلومٍ فلم تنصرهُ»(١).

عباد الله! الإسلامُ دينُ الله أمر بنصرةِ المظلوم وحرّم الظلم.

قال تعالى في الحديث القدسي: «يا عبادي! إني حرمتُ الظلم على نفسي وجعلتهُ بينكم محرماً فلا تظالموا»(٢).

وقال ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه عندما أرسله إلى اليمن: «**اتق دعوةَ المظلوم، فإنها ليس بينها وبين الله حجابٌ**»(٣).

وقال ﷺ: «**اتقوا دعوة المظلومِ، فإنها تصعدُ إلى السماءِ كأنها شرارةٌ**»(٤).

وقال ﷺ: «**اتقوا دعوة المظلوم، فإنها تُحمل على الغمامِ يقول الله** -عز وجل-: **وعزتي وجلالي لأنصرنَكِ ولو بعد حين**»(٥).

ابن آدم:

لا تظلمــن إذا مــا كنــت مقتــدراً ... فــالظلمُ يرجــعُ عقبــاهُ إلى النــدم

تنـــامُ عينـــاك والمظلـــومُ مُنتبـــهٌ ... يــدعو عليــك وعــينُ الله لم تــنم

---

(١) إسناده جيد: [«الصحيحة» (٢٧٧٤)].

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٤٤٨)، ومسلم(١٩).

(٤) **صحيح**: أخرجه الحاكم (١/ ٨٣)، [« صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٢٨)].

(٥) **صحيح**: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤/ ٨٤)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٧٣٣)، [«صحيح الجامع» (١١٧)].

ثالثاً: أن يومَ القيامة هو يومُ التناد والحسرةِ والندامةِ.

وهذا نأخذهُ من نصيحة مؤمنِ آلِ فرعون من قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾﴾ [غافر].

عباد الله! يقوم القيامة هو يومُ التناد.

حيث ينادي الكفار على أنفسهم بالويل قال تعالى عنهم: ﴿يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا﴾ [الأنبياء:٩٧].

وينادي مَنْ أخذ كتابه بيمينه فيقول: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ﴿٢٠﴾﴾ [الحاقة]

وينادي مَنْ أخذ كتابه بشماله فيقول: ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ﴿٢٥﴾ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾﴾ [الحاقة].

وينادي أصحابُ الجنة أصحابَ النار: ﴿أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ﴾ [الأعراف:٤٤].

وينادي أصحاب النار أصحابَ الجنةِ: ﴿أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأعراف].

عباد الله! يومُ القيامة هو يومُ الحسرةِ والندامة.

قال تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الزمر].

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ قَالُواْ يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنعام].

عباد الله! يوم القيامة ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾

قال تعالى: ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سبأ].

عباد الله! يوم القيامة ﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾

قال تعالى: ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾﴾ [القيامة].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس].

رابعاً: أين الله؟

عباد الله! أين الله؟ سؤالٌ مشروعٌ سألهُ رسولُ الله ﷺ للجارية التي كانت ترعى الغنم.

فقالت الجارية: في السماء.

فقال النبي ﷺ لسيدها: «**اعتقها فإنها مؤمنةٌ**[(١)]».

عباد الله! ولما أخبر موسى عليه السلام فرعون أن ربه الذي أرسله في السماء مستوٍ على عرشه استواءً يليق بجلاله رد عليه فرعون رداً ذكره الله تعالى.

فقال سبحانه وتعالى على لسان فرعون: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [القصص].

---

(١) صحيح: إشارة إلى حديث عند مسلم (٥٣٧).

عباد الله! ولما قام مؤمن فرعون ينصحُ قومه ويحذرهم، ويذكرهم قام فرعون معقباً على كلامه فقال: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗا﴾ [غافر:٣٦-٣٧].

عباد الله! فعقيدتنا في الله -عز وجل- أنه في السماء مستوٍ على عرشه استواءً يليق بجلاله ليس كاستواء المخلوقين وهو غنيٌّ عن العرش وما دونه. **وقد جاءت الأدلة في الكتاب والسنةِ والعقلِ والفطرةِ تُثبت ذلك.**

أما في كتاب الله فالأدلة كثيرةٌ جداً، منها:

قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾ [طه].

وقال تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ١٦﴾ [الملك].

وأما في السنة فالأدلة كثيرةٌ جداً، منها:

قال ﷺ: «**ألا تأمنوني وأنا أمينُ من في السماء؟ يأتيني خبرُ السماء صباحاً ومساء**(١)» .

وقال ﷺ: «**الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى: ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**(٢)» .

---

(١) **صحيح**:وهو جزء من حديث أخرجه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤).

(٢) **صحيح**:أخرجه أبو داود (٤٩٤١)، والترمذي(١٩٢٤)، وأحمد (٢/ ١٦٠)، والحاكم (٤/ ١٧٥)، [«صحيح الجامع» (٣٥٢٢)].

والفطرة السليمة والعقلُ السليم يشهدان بأن الله على عرشه استوى، فالصغير والكبير والذكر والأنثى إذا دعا الله رفع يديه إلى السماء واتجه بقلبه إلى أعلى.

عباد الله! فإذا سُئلنا أين الله؟ قلنا: في السماء على عرشه استوى، وإذا سألنا مبتدعٌ فقال: كيف استوى على عرشه؟ نقول له كما قال الإمام مالك: (الاستواءُ معلومٌ، والكيفُ مجهولٌ، والإيمان به واجبٌ، والسؤال عنه بدعة).

خامساً: الدنيا دارُ مَنْ لا دار له، والآخرةُ هي دارُ القرار.

عباد الله! وهذا نأخذُهُ من نصيحة مؤمنِ آل فرعون، قال تعالى على لسانه: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾ [غافر].

عباد الله! الدنيا دارُ من لا دار له وإليها يركنُ من لا عقل له! كيف لا؟ والله – عز وجل – يحذر منها.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٥﴾﴾ [فاطر].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النازعات].

والله -عز وجل- يصفها لعباده حتى لا يغتروا بها.

قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ۖ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد].

وقال ﷺ: «**إن الدنيا حُلوةٌ خَضِرةٌ وإن الله مُستَخْلِفُكُم فيها، فينظُرُ كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء**(١)» .

وقال ﷺ: «**فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تُبْسَط عليكم الدنيا كما بُسِطَتْ على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافَسُوها وتُهلِكُكُمْ كما أهلكتهُم**(٢)» .

وقال ﷺ: «**ألا إن الدنيا ملعونةٌ معلونٌ ما فيها، إلا ذكر الله، وما والاهُ، وعالم أو مُتَعَلِّم**(٣)» .

ابن آدم:

تــزود مــن معاشــك للمعــاد ... وقـــم لله واجمـــع خـــير زاد
ولا تجمــع مــن الــدنيا كثـيراً ... فـــإن المـــال يجمـــع للنفـــاد
أتــرضى أن تكــون رفيــق قــومٍ ... لهـــم زاد وأنـــت بغـــير زاد

ابن آدم:

لا شيء ممــا تــرى تبقــى بــشاشتهُ ... يبقـى الإلـه ويفنـى المـال والولـد
لم تغـن عـن هرمـزٍ يومـاً خزائنـه ... والخلدَ قد حاولت عادٌ فما خلـدوا

---

(١) **صحيح**:أخرجه مسلم (٢٧٤٢).

(٢) **صحيح**:أخرجه البخاري (٤٠١٥)، ومسلم (٢٩٦١).

(٣) **حسن**:أخرجه الترمذي (٢٣٢٢)، وابن ماجه (٤١١٢)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٤/ ٢٣٦)، [«الصحيحة» (٢٧٩٧)].

ولا سليمان إذ تجري الرياح له ... والإنسُ والجنُ فيما بينها تردُ
أين الملوك التي كانت لعزتها ... من كل أوبٍ إليها وافد يفدُ
حوضٌ هنالكَ مورودٌ بلا كذبٍ ... لا بدَّ من وِرده يوماً كما وردوا

عباد الله! فها هو فرعون اغتر بدنياهُ فقال لقومه: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الزخرف] فمات يومَ مات والأنهارُ تجري من فوقِ رأسهِ جزاءً وفاقاً ولا يظلم ربك أحداً، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

عباد الله! ليس للمرء بعد هذه الدنيا مِنَ دارٍ إلا الجنة أو النار، والنعيمُ في الجنة دائمٌ لا ينقطع والعذاب في النارِ أيضاً دائمٌ لا ينقطع. فالآخرة هي دارُ القرار.

فيا عباد الله! قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الجاثية].

وقال تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النمل].

وقال سبحانه وتعالى في الحديث القدسي: «**يا عبادي! إنما هي أعمالكم أُحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمدِ الله، ومَنْ وجدَ غيرَ ذلك فلا يلومن إلا نفسه**[1]».

سادساً: المكرُ السيءُ لا يحيقُ إلا بأهلِهِ.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر:٤٢-٤٣].

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

عباد الله! لما نصحَ مؤمنٌ آل فرعون قومه كادَّ له فرعونُ وقومهُ ومكروا به فنجاهُ الله من مكرهم وحاقَ المكرُ السيءُ بهم.

قال تعالى: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ﴾ [غافر].

وقال تعالى: ﴿ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [القصص]

وقال تعالى: ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [يونس].

عباد الله! اعلموا أن من سنن الله التي لا تتغيرُ ولا تتحولُ ولا تتبدلُ أن المكرَ السيء لا يحيق إلا بأهله.

قال تعالى: ﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [النمل].

فنقول للذين يمكرون بالمسلمين من أهل السنةِ من الكفار والمجرمين ﴿ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [فصلت]، وامكروا ما شئتم بالليل والنهار فالمكرُ السيء لا يحيق إلا بأهله.

قال بعض الصالحين:

عجبتُ لمن مُكِرَ به، كيفَ لا يفزع إلى قوله سبحانه: ﴿ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ ﴾ فإني سمعتُ الله يقول بعدها: ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ﴾ [غافر:٤٤، ٤٥].

سابعاً: عذابُ القبرِ ونعيمهُ حقٌّ لا مرية فيه.

وهذا نأخذه من قوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر].

عباد الله! ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾.

أي: ونزل بفرعون وقومهِ أسوأ العذاب، وهو الغرقُ في الدنيا ثم ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾، أي: النارُ يحرقون بها صباحاً ومساءً.

قال المفسرون: المرادُ بالنار هنا نار القبر وعذابهم في القبور، بدليل قوله تعالى بعده: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾.

عباد الله! فالعذاب الذي انتقل إليه فرعون وقومه بعد الغرق هو عذاب القبر قال تعالى عن قوم نوح عليه السلام: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾ [نوح:٢٥].

عباد الله! عذاب القبر ونعيمهُ حقٌّ لا يُنْكِرُهُ إلا مبتدعٌ ضالٌّ هالكٌ؛ وذلك لأنّ عذابَ القبرِ ونعيمه ثابتٌ بالكتاب والسنة.

أما في كتاب الله، ففي قوله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر] وهذا هو عذابُ القبر.

وقال تعالى: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَـٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [يس] وهذه الجنة التي دخلها ذلك الرجل بعد موته هي جنة القبر.

أما في السنة: فعن عائشة رضي الله عنها: (أن يهوديةً دخلت عليها فذكرت عذاب القبر فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشةُ رضي الله عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عذابِ القبر فقال صلى الله عليه وسلم: «**عذابُ القبر حقٌّ**».

قالت عائشة رضي الله عنها: فما رأيتُ رسول الله ﷺ بعدُ، صلى صلاةً إلا تعوَّذ من عذاب القبر[١] .

وقال ﷺ لأصحابه: «**تعوذوا بالله من عذاب القبر**»، فقالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر[٢] .

وكان ﷺ يدعو في صلاته فيقول: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر...**»[٣] .

وأمر أصحابَهُ وأُمتهُ أن يستعيذوا بالله من عذاب القبر في صلاتهم.

فقال ﷺ: «**إذا فرغ أحدُكم من التشهد الأخير، فليتعوذْ بالله من أربع: يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال**[٤]» .

ومر ﷺ بقبرين فقال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، ثم قال:** «**بلى، أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما أحدهما** -أي: الآخر- **فكان لا يستتر من بوله**[٥]» .

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٣٧٢).

(٢) **صحيح**: وهو جزء من حديث طويل عند مسلم (٢٨٦٧).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٨٣٢)، ومسلم (٥٨٩).

(٤) **صحيح**: أخرجه مسلم (٥٨٨)، وأبو داود (٩٨٣)، والنسائي (١٣١٠)، وابن ماجه (٩٠٩)، [«صحيح الجامع» (٦٩٩)].

(٥) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٣٧٨)، ومسلم (٢٩٢).

ثامناً: فاعتبروا يا أولي الأبصار، والعاقلُ مَنْ اتعظَ بغيره.

عباد الله! على العاقل أن يعتبر ويتعظ بهلاك ومصرع المجرمين، وهذا نأخذه من قوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦)﴾ [غافر].

وقال تعالى: ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (٦٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٦٧) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦٨)﴾ [الشعراء].

وقال تعالى: ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (٢)﴾ [الحشر].

وقال تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (٦)﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠)﴾ [العنكبوت].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤)﴾ [الفجر].

وقال تعالى عن هلاك قوم لوط: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (٨٢) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ (٨٣)﴾ [هود].

وقال تعالى لكفار مكة ليعتبروا بهلاك قوم لوط: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ (١٣٧) وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٣٨)﴾ [الصافات].

عباد الله! جعل الله هلاك القرى الظالمة والمجرمين آيةً ليعتبر بها أولوا الألباب.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [العنكبوت].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً﴾ [هود:١٠٠-١٠٣].

وقال تعالى عن هلاك فرعون: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ [يونس:٩٢].

١٠

خامساً: قصة أصحاب الأخدود

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ ۚ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾﴾ [آل عمران].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ المواعظِ التي بعنوان: **الفرقانُ مِنْ قصصَ القرآن دروسٌ وعظاتٌ وعبر**.

أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها قصة أصحاب الأخدود.

عباد الله! قصة أصحابِ الأخدود صراع بين الإيمان والكفر، وبين الحق والباطل، وبين الهدى والضلال.

أخبرنا الله -عز وجل- عن خاتمتها في كتابه، وأخبرنا النبيُّ ﷺ عن بدايتها وسياقها في سنته، وهي مظهر من مظاهر الإيمان.

يقول الله -عز وجل- في كتابه عن قصة أصحاب الأخدود: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج].

عباد الله! كما قلنا: الكفرُ ملةٌ واحدةٌ، والصراع بين الإيمان والكفرِ قصتهُ قصة واحدةٌ.

ففي قصة أصحاب القرية قتل أصحاب القرية الكفارُ الرجل المؤمن الذي جاء من أقصا المدينة يسعى لأنه آمن باللهِ ودعاهم إلى الإيمان بالله.

وفرعونُ وقومُهُ الكفارُ قرروا قتل موسى عليه السلام لأنه قال: ربي الله ودعاهم إلى الإيمان بالله، كما قال الرجل المؤمن في نصيحته لهم ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ [غافر:٢٨].

وها هم أصحاب الأخدود الكفار يقتلون المؤمنين ويحرقونهم بالنار لأنهم آمنوا بالله العزيز الحميد. كما قال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾ [البروج].

وها هم كفار مكة يعذبون المؤمنين لأنهم آمنوا بالله ربِّ العالمين ولذلك قصَّ النبيُّ ﷺ قصة أصحاب الأخدود على أصحابه وقد كانوا يعذبون في مكة ليثبتوا على إيمانهم ويصبروا كما صبر الراهبُ على إيمانه، وكما صبر جليسُ الملكِ على إيمانه، وكما صبر الغلام على إيمانه وكما صبر المؤمنون الذي حُرقوا بالنار على إيمانهم.

عباد الله! تعالوا بنا لنستمع إلى رسول الله ﷺ وهو يخبرنا بقصة أصحاب الأخدود.

الغلام بين الراهب والساحر.

قال ﷺ: «**كان ملكٌ فيمنَ كان قبلكم، وكان له ساحرٌ، فلَمَّا كبر قال للملك: إني قد كبِرتُ فابعثْ إليّ غلاماً أعلمهُ السحر، فبعث إليه غلاماً يُعلمُهُ**[1]» .

عباد الله! هكذا كان بعض الحكام قديماً وحديثاً يستخدمون السحرةَ في بعض أمورهم وفعلهم هذا حرامٌ لأن السحرة من المفسدين في الأرض كما قال تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿ **فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾** ﴾ [يونس].

عجباً لأمر هذا الساحر الذي عاش حياته كلّها كافراً بالله -عز وجل- واقعاً في الموبقات وعلى الرغم من ذلك بدلاً من أن يُفكر في التوبة قبل أن يموت -فقد اقترب أجله- وإذا به يفكر كيف يستمرُ هذا الشرُّ من بعد ليكون ذلك في ميزان

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٣٠٠٥)، وسيأتي لفظه مفصلا في طيات الخطبة.

سيئاته من بعده كما قال ﷺ: «**من سنَّ في الإسلام سُنةً سيئةً كان عليه وزرُها ووزرُ من عمل بها من بعده، من غير أن يُنقَصُ من أوزارهم شيءٌ**»[1].

وكما قال تعالى: ﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [النحل].

عباد الله! ثم قال ﷺ: «**فكان في طريقه، إذا سلكَ، راهبٌ، فقَعَدَ إليه وسمعَ كلامهُ، فأعجبهُ، فكان إذا أتى الساحرَ مرّ بالراهبِ وقعدَ إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلكَ فقُلْ: حبسني الساحرُ**».

عباد الله! أرادوا للغلام أن يكون ساحراً ولياً من أولياء الشيطان، وأراد الله له أن يكون من أوليائه، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، لتعلموا يا عباد الله! أن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يهدي من يشاء ويضل من يشاء فقد اهتدى الغلام للحق وهو في أحضان الساحر تحت إشراف الملك .

عباد الله! ولما اشتكى الغلام الساحر للراهب لقنه الراهب أمراً يتخلص به من ضرب الساحر - وهذا جائز عند المصلحة- وهو ما يسمى بالتورية.

عباد الله! ثم قال ﷺ: «**فبينما هو كذلك إذ أتى على دابةٍ عظيمةٍ قد حَبست الناس، فقال: اليوم أعلم الساحرُ أفضلُ أم الراهبُ أفضل؟ فأخذ حجراً فقال:**

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٠١٧).

اللهمَّ! إن كان أمر الراهب أحبَّ إليك من أمر الساحر فاقتُل هذه الدَّابة، حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها، ومضى الناسُ، فأتى الراهبَ فأخبره، فقال له الراهب: أي بُنيّ! أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرِك ما أرى، وإنك ستُبتلى، فإن ابتُليتَ فلا تَدُلّ عليّ».

عباد الله! ظهرَ الحق للغلام وأكرمه الله بكرامةٍ لِيَثْبُتَ على الحق، وأخبره الراهب بعد ذلك أنه سيُبتلى لأن الابتلاء سنة الله في عباده.

قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت].

الغلام يداوي الناسَ من الأمراض ويدعوهم إلى الله.

ثم قال ﷺ: «**وكان الغلامُ يبرئُ الأكمهَ والأبرصَ، ويداوي الناسَ من سائر الأدواء، فسمع جليسٌ للملكِ كان قدْ عمِيَ ، فأتاهُ بهدايا كثيرة، فقال: ما ههُنا لك أجمعُ، إن أنت شفيتني، فقال: إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله فإن أنت آمنتَ بالله دعوتُ الله فشفاكَ، فآمن بالله فشفاه الله**».

عباد الله! استغل الغلامُ المؤمنُ حاجة الناس إليه في الدعوة إلى الله تعالى فبدأ معهم أولاً بالتوحيد وبتصحيح العقيدة حيث ربط قلوبهم بالله -عز وجل- فقال: «إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله تعالى فإن آمنت بالله تعالى دعوت الله فشفاك».

عباد الله! ولم يلتفتْ الغلامُ أبداً في دعوته إلى حُطام الدنيا الفانية مما هو في أيدي الناس أو مما عند الملكِ مع أنه يتربى تحتَ إشراف الملك.

ولم يحاول أن يستخدم جليسَ الملك الذي جاء وهو في حاجة إليه في التخطيط لقلب نظام الحكم على الملك وإنما كان الغلام المؤمن يخطط لإخرج الناس من عبادة العبادِ إلى عبادة ربِّ العبادِ.

الابتلاءُ سنةُ الله في خلقه.

ثم قال ﷺ: «**فأتى** -أي: جليسُ الملكِ- **المَلِكَ فجلسَ إليه كما كان يجلسُ، فقال له الملكُ: من ردَّ عليك بصرك؟ قال: ربي، قال: أولك ربٌّ غيري؟ قال: ربي وربُّكَ الله، فأخذهُ فلم يزلْ يُعذِّبُهُ حتى دلّ على الغلام، فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بُنيّ! قد بلغَ من سحركِ ما تبرئُ الأكمهَ والأبرص وتفعلُ وتفعلُ، فقال: إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله**».

عباد الله! الكلام هو هو فإن الغلامُ المؤمن قال للناس: «إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله تعالى» وأعاد أمام الملكِ نفس الكلام فقال: «إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله تعالى» إنها العقيدةُ الصحيحةُ، إنه الإيمانُ الصادقُ، إنها دعوةُ الذين يريدون رضا الله والجنة ولا يتطلعون إلى دنيا الناس الفانية.

أما دعاة الدنيا الذين لا يريدون بدعوتهم إلا الدنيا الفانية والمناصبَ الزائلة فإنك تراهم أمامَ الناس ومن على المنابرِ يقولون شيئاً وأمامَ الحكامِ يقولون شيئاً آخر وهذا هو النفاقُ بعينه.

ثم قال ﷺ: «**فأخذه فلم يزل يعذبُهُ حتى دلّ على الراهب، فجيء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى فدعا بالمِئشار** -أي: المنشار- **فوضع المئشارُ في**

مفرقِ رأسِهِ، فشقه به حتى وقع شقّاهُ، ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينكَ فأبى، فوضع المئشارُ في مفرق رأسِهِ فشقه به حتى وقع شقاه».

عباد الله! هكذا لا يعرفُ الكفارُ إلا لغةَ القتل والبطش والتعذيب والنشر بالمناشير وهذا عين ما فعلهُ فرعون مع السحرة لما آمنوا قال الله عز وجل عنه: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾ [طه].

عباد الله! فالكفار في كل زمان ومكان يهددون بالقتل، وأهلُ الإيمان يثبتون على الحق ولذلك لما اشتكى خباب بن الأرت رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ ما يفعلهُ كفارُ مكة بهم فقال: ألا تستنصرُ لنا -يا رسول الله-؟ ألا تدعو لنا؟ -يا رسول الله- فقال -له ﷺ-: **«قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيُجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويُمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمّنّ هذا الأمر حتى يسيرَ الراكبُ من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»**(١).

فانظروا يا عباد الله**!** كيف ربى النبيُّ ﷺ أصحابَهُ على الصبر على البلاءِ وحذرهم من الاستعجال.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٩٤٣).

الغلامُ والملك.

عباد الله! الغلامُ المؤمن يتوكل على الله وحده، والملك يتفننُ في طريقة التخلص من الغلام، قال ﷺ: «**ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجعْ عن دينك، فأبى، فدفعه إلى نفرٍ من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا، فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتُم ذُروته، فإن رجع عن دينه، وإلا فاطرحوه، فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم! اكفنِيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال كفانيهم الله، فدفعه إلى نفرٍ من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قُرقُور فتوسَّطوا به البحرَ، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه، فذهبوا به، فقال: اللهم! اكفنيهم بِمَ شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله**».

عباد الله! كيف لا، والله -عز وجل- قد قال: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾؟! [البقرة:١٣٧].

وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر:٣٦].

وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾ [النمل].

وقال له أيضاً: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [الحجر].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق:٣] -أي: كافيه وحافظه.

ولقد قال ﷺ: «**يا غلام! احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن**

ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف[1]» .

عباد الله! وهنا يرد سؤالٌ مهم لماذا رجع الغلامُ إلى الملكِ مرةً أخرى ولم يهرب مع أنه على يقين بأن الملك يريدُ أن يقتله؟!

هل كان الغلام يريد أن يصلَ إلى منصبٍ من مناصب الدنيا؟!

هل كان الغلامُ يخطط لقلب نظام الحكم؟!

الجواب: لا... لا ...

وإنما أراد الغلام أن يثبت للملكِ أن الله وحده هو رب العالمين وأن الأمور كلّها بيديه، وأنه هو النافعُ وهو الضار، بل وأراد أن يثبت لهذا الملك أنه لا يملك نفعاً ولا خيراً.

كما أراد الغلام أن يؤمن الناسُ برب العالمين ليخرجوا من الظلمات إلى النور.

الغلامُ يأمر الملك.

ثم قال ﷺ: «**فقال** -أي: الغلام- **للملك: إنك لستَ بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، قال: وما هو؟ قال: تجمعُ الناسَ في صعيدٍ واحدٍ، وتصلُبُني على جذعٍ، ثم خُذ سهماً من كِنانتي، ثم ضعْ السهم في كَبِدِ القوس ثم قل: بِاسْمِ الله، ربِّ**

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (١/ ٢٩٣)، [«المشكاة» (٥٣٠٢)].

الغلام، ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناسُ في صعيدٍ واحدٍ، وصلبه على جذعٍ، ثم أخذ سهماً من كنانته، ثم وضع السهم في كبدِ القوس، ثم قال: بِاسْمِ الله ربِّ الغلام، ثم رماه فوضع السهم في صُدغهِ، فوضع يده في صُدغه في موضع السَّهم فمات.

فقال الناس: آمنا بربِّ الغلام، آمنا بربِّ الغلام، آمنا بربِّ الغلام.

فأُتي الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر؟ قد والله! نزل بك حذركُ، قد آمن الناس».

عباد الله! أعرفتم لماذا رجع الغلامُ أكثر من مرة إلى الملك ولم يهرب؟

إن الغلام كان يخطط ليؤمن الناس بالله وحده، ونجح الغلام فيما خطط له ولو أنه قَدّم روحه في سبيل ذلك.

فما أن مات الغلام حتى قال الناس: آمنا برب الغلام.

عباد الله! لقد صدق الغلامُ مع ربه فصدقه.

المشهد الأخير في القصة وهو مشهدٌ مؤلمٌ:

قال ﷺ: «**فأمر** -أي: الملك- **بالأخدود بأفواه السكك فخدَّت وأضرم فيها النيران، وقال: مَنْ لمْ يرجعْ عن دينه فاحْمُوهُ فيها، أو قيل له: اقتحم، ففعلوا حتى جاءت امرأةٌ ومعها صبيٌّ لها، فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أُمَّهِ! اصبري فإنك على الحق**»[1].

---

(١) نهاية حديث مسلم الذي اشرنا إليه في بداية الخطبة.

عباد الله! ولكن ما هي الجريمة التي ارتكبها هؤلاء؟

إن جريمتهم في نظر الكفار والمجرمين أنهم آمنوا بالله ربِّ الغلام رب العالمين.

عباد الله! وهل الإيمان بالله جريمةٌ يُحرَّقُ صاحبُها بالنار؟!

إنه الصراعُ بين الإيمان والكفر في كلّ زمان ومكان.

أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟!

أتقتلون غلاماً قالَ ربي الله؟!

أتحرقون قوماً قالوا آمنا برب الغلام؟!

قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة:٢١٧].

وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا﴾ [البقرة:١٠٩]

عباد الله! يخبرنا ربنا -جلا وعلا- في كتابه عن هذا المشهد الأخير وحيث أخذ الكفارُ يحرقون المؤمنين بالنار.

قال تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾ [البروج].

عباد الله! غضب الله على الكفار المجرمين الذين تلذذوا بحرق المؤمنين في النار فقال تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾﴾ -أي: لُعِنَ أصحاب الأخدود- وتوعدهم

الله عز وجل بالعذاب الأليم في جهنم لكفرهم، وتوعدهم بالتحريق لأنهم حرقوا المؤمنين في الدنيا جزاءً وفاقاً ولا يظلم ربك أحداً، والجزاء من جنس العمل ولكن أين هذا الحريق من ذاك الحريق؟! أين هو في شدته أو في مدتهِ؟! فحريق الدنيا بنارٍ يوقدها الخلق، وحريقُ الآخرة بنار يوقدها الخالق! حريق الدنيا لحظاتٌ وينتهي، وحريق الآخرة دائمٌ لا ينقطع! حريقُ المؤمنين في الدنيا فيه رضا رب العالمين على عباده المؤمنين.

ومع حريق الآخرة غضب رب العالمين على الكافرين المجرمين.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾ [الأحزاب].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر:٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾ [غافر].

وقال تعالى: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف].

عباد الله! حرقّ الكفار المؤمنين بالنار وظنوا أنهم قد انتصروا لكفرهم ولكن انظر إلى النهاية.

تحصلَّ المؤمنون بثباتهم على إيمانهم على الفوز الكبير.

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾ [البروج]

وأحلّ بالكفار المجرمين الخزي والعار والهلاك في الدنيا، ويوم القيامة لهم العذاب الأليم.

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾ [البروج].

فعلى الدعاة إلى الله أن يثبتوا على الحق ويدعوا الناس إلى الحق وليعلموا أن الله معهم وأنه ناصرهم وحافظهم.

قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾﴾ [النمل].

وهذا الغلام المؤمن الصادق في إيمانه وفي حرصه على إيمان الناس نجح في دعوته وهكذا يفعلُ الإيمان بأهله. وهكذا يصنع الإيمان الرجال.

عباد الله! أما الدروس والعظاتُ والعبر التي تؤخذ من قصة أصحاب الأخدود هذا ما سنعرفه في الجمعة القادمة ونسأل الله أن يثبتنا على الحق حتى نلقاهُ -إن شاء الله تعالى-.

١١

سادساً: الدروس والعظات والعبرُ التي تؤخذ من قصةِ أصحاب الأخدود (أ)

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلةِ المواعظِ التي بعنوان: **الفرقانُ مِنْ قصصَ القرآن دروسٌ وعظاتٌ وعبر.**

أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **الدروس والعظاتُ والعبرُ التي تؤخذُ من قصةِ أصحاب الأخدود.**

عباد الله! قصة أصحاب الأخدودِ التي أخبرنا الله عن خاتمتها في كتابهِ، وأخبرنا رسول الله ﷺ عن بدايتها وسياقها في سنته فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: السحرُ حرامٌ، لا يحبهُ اللهُ، ويدفعُ صاحِبَهُ إلى كلِّ شرٍّ.

عباد الله! السحر لا يحبهُ الله -عز وجل- وهذا يؤخذ من قوله ﷺ: «**فبينما هو على ذلك إذ أتى على دابةٍ عظيمةٍ قد حبستْ الناسَ فقال: -أي: الغلام- اليومَ أعلمُ الساحرُ أفضل أم الراهبُ أفضل؟ فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمرُ الراهبِ أحبَّ إليك من أمرِ الساحرِ فاقتُلْ هذه الدابة حتى يمضي الناسُ، فرماها فقتلها ومضى الناس**[1]».

ففي هذا دليلٌ على أنّ الله -عز وجل- لا يُحُبُّ السِحرَ ولا السَّحرة.

واعلموا أن السحرةُ من المفسدين في الأرض والله لا يحب المفسدين كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [يونس].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص]

عباد الله! السحرُ حرامٌ وتأملوا كيف ذكره الله عز وجل في كتابه في موضعِ الذم.

---

(١) تقدم تخريجه في الخطبة السابقة.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة:١٠٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة:١٠٢].

وقال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة].

وقال ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**». قالوا: يا رسول الله! وما هنَّ؟ قال: «**الشركُ بالله، والسحرُ ...**» الحديث[(١)].

وقال ﷺ: «**لا يدخلُ الجنة مدمِنُ خمرٍ، ولا مؤمنٌ بسحرٍ، ولا قاطع رحم**»[(٢)].

وقال ﷺ: «**ليس منا من تَطيَّر أو تُطُيِّر لَهُ، أو تَكَهَّنَ أو تُكُهِّنَ له، أو سَحَر أو سُحِرَ لهُ، ومن أتى كاهناً فصدّقهُ بما يقولُ؛ فقد كفر بما أُنزِلَ على محمدٍ ﷺ**»[(٣)].

وقال ﷺ: «**وإن أكبرَ الكبائر عندَ الله يومَ القيامةِ: الإشراكُ بالله، وقتل النفسِ المؤمنةِ بغير الحقِ**»-إلى أن قال ﷺ:- «**وتعلمُ السِحر، وأكلُ الربا، وأكلُ مالِ اليتيم**»[(٤)].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم(٨٩).

(٢) **حسن**: أخرجه ابن حبان في صحيحه (٦١٠٤)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٣/ ١٨١)، [«الصحيحة» (٦٧٨)].

(٣) **صحيح لغيره**: [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠٤١)].

(٤)**صحيح لغيره**: أخرجه ابن حبان في صحيحه (٦٥٢٥)، والحاكم (١/ ٥٥٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٨٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٣٤١)].

وقال ﷺ: «مَنْ اقْتَبَسَ عِلماً من النجومِ؛ اقتبسَ شُعْبَةً من السحرِ زادَ ما زادَ»(١).

وقال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: (من أتى عَرَّافاً أو ساحراً أو كاهناً، فسأله فصدَّقَهُ بما يقولُ؛ فقد كفرَ بما أُنزلَ على محمدٍ ﷺ)(٢).

عباد الله! أدلةٌ من كتاب ربنا ومن سنةِ نبينا ﷺ تدل على حرمةِ السحرِ وعلى حرمةِ تَعَلُّمِهِ أو تعلِيمَهُ وعلى حرمةِ الذهاب إلى السحرةِ.

عباد الله! احذروا من الذهاب إلى السَحَرَة وذلك:

١- لأنّ الساحرَ مجرمٌ.

قال تعالى عن سحرة فرعون لما آمنوا: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ (٧٠)﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ (٧٤)﴾ [طه].

ففي الآية دليلٌ على أن من مات ساحراً كافراً لقيَ الله يومَ القيامة مجرماً.

٢- لأن الساحرَ شيطانٌ.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة:١٠٢]

٣- لأن الساحر أفاكٌ (أي: يتفننُ في الكذب) **أثيمٌ** (أي: يتفنن في معصية الله).

قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٢٢٢)﴾ [الشعراء].

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٣٩٠٥)، وابن ماجه (٣٧٢٦)، وأحمد (١/ ٣١١)، والبيهقي في «السنن» (٨/ ١٣٨)، [«صحيح الجامع» (٦٠٧٤)].

(٢) **صحيح موقوف**: أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٩/ ٢٨٠)، والبزار (٥/ ٢٥٦،٣١٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٢٠)، وابن الجعد (١٩٤١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠٤٨)].

٤- الساحرُ لا يفلحُ أبداً.

قال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [طه].

وقال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [يونس].

٥- الساحرُ لا خلاق له في الآخرة (أي: لا نصيب له ولا أجر له عند الله يوم القيامة).

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة:١٠٢].

٦- الساحرُ حدُه في الإسلام القتلُ، أتردون لم يا عباد الله؟

لأنه جرثومة في المجتمع المسلم يؤذي المؤمنين والمؤمنات، يدعي الغيب، يُفرِقُ بين المرءِ وزوجه، يكذبُ على الناسِ، يُفرق بين الأحبة، ولذلك كان حده في الإسلامِ أن يُضرَبَ بالسيفِ ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

أولاً: أن عمر رضي الله عنه أرسل إلى الأمصارِ: (أن اقتلوا كلّ ساحرٍ وساحرة) فقتلوا ثلاث سواحر[(١)].

ثانياً: قال جندبٌ رضي الله عنه (حد الساحر: ضربةٌ بالسيف)[(٢)].

ثالثاً: أن حفصة رضي الله عنها سَحَرَتْهَا جاريةٌ لها فأمرتْ بها فقُتلت[(٣)].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ٢٦٢)، والبيهقي في «السنن» (٨/ ١٣٦)، والشافعي في «مسنده» (١٧٦١).

(٢) **صحيح موقوف**:أخرجه الترمذي (١٤٦٠)، والحاكم (٤/ ٤٠١)، والدارقطني (٣/ ١١٤)، والطبراني في «الكبير» (٢/ ١٦١)، [«الضعيفة» (١٤٤٦)].

(٣) أخرج الإمام مالك في الموطأ (رواية- يحيى الليثي) (١٥٨١)، والشافعي في «مسنده» (١٧٦١).

قال الإمامُ مالكٍ رحمه الله: (الساحرُ الذي يعملُ السحرَ أرى أن يُقتل).

وقال ابن حجر رحمه الله: (حكمُ الساحر حكم الزنديق فلا تقبل توبته، ويقتل حداً إذا ثبت عليه ذلك) وبهذا قال الإمام أحمد ومالك.

عباد الله! ما هو علاجُ السحر؟

إذا كان هنالك رجلٌ مسحورٌ، أو امراةٌ مسحورةٌ فما هوالعلاج؟

عباد الله! علاجُ السحر علاجان: علاجٌ حرامٌ، وعلاجٌ حلال، أمّا العلاجُ الحرامُ فهو الذهاب إلى ساحرٍ لفك السحر وهذا لا يجوز لأنّ الله عز وجل حرّمَ السحرَ وحرم الذهاب إلى السحرة.

أما العلاجُ الحلاُل فإنما يكون بالعقيدة الصحيحة، بالإيمان الصادق، بالقرآن الكريم، بالرقية الشرعية، وبالدعاء.

فالرجوع إلى الله والالتجاء إليه وحده سبحانه هو العلاجُ الحلال الوحيدُ لفك السحر فإن الذي يقدر على إبطال السحرَ هو الله وحده كما قال تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ﴾ [يونس:٨١].

عباد الله! السحرُ حرام وتعلُمَهُ وتعلِيمه حرام والذهاب إلى السحرة حرام فاحذروا السحر واحذروا الذهاب إلى السحرة.

قال الإمام النووي: (عمل السحرَ حرامٌ، وهو من الكبائر بالإجماعِ، وقد عدّهُ النبيُّ ﷺ من السبعِ الموبقاتِ ومنه ما يكونُ كفراً ومنه ما لا يكونُ كفراً، بل

معصيةً كبيرة، فإن كان فيه قولٌ أو فعلٌ يقتضي الكفر فهو كفر، وإلا فلا، وأما تَعَلّمُهُ وتعْلِيمَه فحرامٌ) ا.هـ.

ثانياً: من الدروس والعظاتِ والعبر التي تؤخذ من قصةِ أصحاب الأخدود: أنّ الإيمان يحبُهُ اللهُ وهو سببٌ لكلِّ خيرٍ.

عباد الله! الإيمان يحبهُ اللهُ ويريدهُ من عباده جميعاً.

وهذا يؤخذ من قصة أصحاب الأخدود من قوله ﷺ على لسان الغلام: «**اللهم إن كان أمرُ الراهب** (وهو الإيمان بالله) **أحبَّ إليك من أمر الساحر فاقتل هذه دالدابة، فرماها فقتلها ومضى الناس**».

وهذا يدل على أنّ الله -عز وجل- يحبُ أمرَ الراهب وهو الإيمانُ.

عباد الله! الإيمانُ يدفعُ صاحبهُ إلى كلِّ خيرٍ.

فهذا الغلامُ المؤمن هو الذي فتح الطريق أمامَ الناس بقتله للدابة التي حبست الناس، وهو نفسهُ الذي فتح الطريق أمام الناس إلى الجنة فدعاهم إلى الإيمان فتحصلوا بإيمانهم على الفوز الكبير.

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾ [البروج].

هذا الغلامُ المؤمنُ دفعه إيمانهُ إلى تقديم العلاج لجميع الناس، فكان الغلامُ يبرئُ الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء -أي: يُعالجهم من كل الأمراض-.

وهذا الغلامُ المؤمن دعا جليسَ الملكِ إلى الإيمان فقال له: «أنا لا أشفي أحداً، وإنما يشفي الله تعالى، فإن آمنت بالله دعوتُ الله فشفاك»

عباد الله! والإيمان له ثمراتٌ عاجلةٌ -أي: في الدنيا- وآجلةٌ -أي: في الآخرة- ينتفعُ بها أهلهُ ومنها:

١-الأمنُ والأمان لا يكون إلا لأهل الإيمان.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ -أي: بشرك- ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام:٨٢].

٢- الحياةُ الطيبةُ وطمأنينةُ القلوب لا تكون إلا لأهل الإيمان.

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل:٩٧].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد].

٣- الله -عز وجل- يتولى الدفاع عن أهل الإيمان.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ [الحج:٣٨].

وقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس].

وقال في الحديث القدسي: «**من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب**»[1] .

---

(١) **صحيح**:وهو جزء من حديث طويل عند البخاري (٦٥٠٢).

٤ - الأجرُ العظيم والبشرى يومَ القيامة لأهل الإيمان.

قال تعالى: ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾ [الأحزاب].

٥ - الإخوةُ الصادقةُ والاتحادُ والاعتصامُ لا تكون أبداً إلا في ظل الإيمان.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠].

وقال ﷺ: «**المسلم أخو المسلم...**»[١].

وقال ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشدُّ بعضهُ بعضاً**»[٢].

وقال ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**»[٣].

فالإيمانُ يا عباد الله! يحبه الله وهو سببٌ لسعادة الدنيا والآخرة، ويدفع صاحبهُ إلى كل خير، ولذلك دعا هذا الغلامُ الناسَ جميعاً إلى الإيمان بالله رب العالمين بل وقدم نفسه وروحه في سبيل ذلك، وما أن قتله المَلِك حتى قال الناس: «آمنا برب الغلام».

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٨١)، ومسلم (٢٥٨٥) واللفظ له.

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) واللفظ له.

ثالثاً: من الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من قصةِ أصحابِ الأخدود: أنّ الله يُكْرِمُ أولياءهُ بكراماتٍ.

وهذا يؤخذ من قصة أصحاب الأخدود من الكراماتِ التي أكرمَ الله بها الغلامَ المؤمن وهي:

- قتلهُ للدابة العظيمة التي حبست الناسَ جميعاً بحجرٍ صغير.
- علاجهُ للناسِ من جميع الأمراض.
- عَدم تمكن الملكِ من قتله أكثر من مرةٍ.
- كان من دعائه (اللهم اكفينيهم بما شئت) فرجفَ الجبلُ في المرةِ الأولى، وانكفأت السفينة في المرة الثانية ورجع الغلامُ يمشي إلى الملك وهذه كُلها من كراماتٍ الله عز وجل يكرم بها من يشاء من أوليائه.

عباد الله! ومن أصول أهلِ السنةِ والجماعة: التصديق بكرامات الأولياء.

عباد الله! من هم الأولياء؟

صفةُ الأولياء بيّنها الله عز وجل في كتابه قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس].

قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية -رحمه الله-: (مَن كان مؤمناً تقياً، كان لله ولياً).

وقال الشيخ العثيمين -رحمه الله-: (ليست الولايةُ بالدعوى والتمَّني، الولاية إنما هي بالإيمان والتقوى؛ فلو رأينا رجلاً يقول: إنه وليٌّ! ولكنهُ غيرُ متقٍ لله تعالى؛ فقولُهُ مردودٌ عليه)(١).

(١) «شرح العقيدة الوسطية» (ص٦٢٦).

عباد الله! أما الكراماتُ؛ فهي جمعُ كرامةٍ، والكرامةُ: أمرٌ خارقٌ للعادةِ، يجريه الله تعالى على يد وليٍّ؛ تأييداً له، أو إعانةً أو تثبيتاً أو نصراً للدين[1].

عباد الله! وإثبات الكرامات جاء في الكتاب والسنة.

ففي كتاب الله:

١- أصحابُ الكهفِ الذين لبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً بلا طعامٍ ولا شراب وهم نائمون يقلّبُهم الله ذات اليمين وذات الشمال؛ في الصيف وفي الشتاءِ لم يُزعجهم الحر، ولم يؤلمهم البردُ، ما جاعوا وما عطشوا وما ملوا من النوم، وهذه كرامة لهم بلا شك.

٢- مريم -عليها السلام- أكرمها الله تعالى -بكرمات منها:

قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا﴾ [مريم].

أما في السنةِ فالأدلة على كرامات الأولياء كثيرةٌ جداً، منها:

١- جريجُ العابدُ الذي أنطق الله له الصبيّ الصغير ليُثبت براءتَه وذلك عندما اتهمه قومه بالزنا، وقالوا لهُ: زنيت بفلانةٍ وهذا الغلام منك. فقال لهم:

(١) «شرح العقيدة الواسطية» (ص٦٢٦).

أين الصبي؟ فطعنهُ في بطنهِ بيده وقال له: من أبوك؟ فنطق الصبيُّ فقال: فلانٌ الراعي فكان في نطق هذا الصبي ظهور براءته وهذه كرامةٌ له.

٢- وها هو حنظلةٌ رضي الله عنه تُغسّله الملائكةَ بين السماء والأرض.

٣- وها هو جعفر بن أبي طالبٍ رضي الله عنه يطيرُ بجناحيه في الجنةِ مع الملائكةِ، كما قال صلى الله عليه وسلم: «**رأيتُ جعفرَ بن أبي طالب ملكاً يطيرُ في الجنة مع الملائكة بجناحين**»[1].

٤- وها هو بلالٌ رضي الله عنه يسمع النبيُّ صلى الله عليه وسلم صوتَ نعليه في الجنة.

٥- وها هو سعدُ بن معاذٍ رضي الله عنه يهتزُّ عرش الرحمن بموته ويشيعهُ سبعون ألف ملكٍ.

٦- وها هو سعدُ بن أبي وقاص رضي الله عنه كان إذا دعا استجاب الله دعوته فدعا يوماً على رجلٍ ظلمه، فقال: (اللهم إن كان عبدُك هذا كاذبًا قام رياءً وسمعةً فأطلْ عمره، وأطلْ فقره، وعرّضه بالفتن! وكان بعد إذا سُئل؟ يقول: شيخٌ كبيرٌ مفتونٌ، أصابتني دعوةُ سعدٍ)[2].

٧- وها هو سعيدُ بنُ زيدٍ رضي الله عنه ادعّت امرأةٌ ظلماً أنه أخذ أرضها فدعا عليها فقال: (اللهم! إن كانت كاذبة فَعْمِّ بصرها، واقتلها في أرضها، قال: فما ماتت حتى ذهب بصرها، ثم بينا هي تمشي في أرضها إذ وقعت في حفرةٍ فماتت»[3].

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٧٦٣)، والحاكم (٣/ ٢٣١)، وأبو يعلى (١١/ ٣٥٠)، [«صحيح الجامع» (٣٤٦٥)].

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٥٥).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٦١٠).

٨- وها هو خبيبُ بن عديّ ﷺ وكان قد سجن عند بني الحارث، تقول عنه إحدى بنات الحارث: «ما رأيتُ أسيراً قطّ خيراً من خُبيب؛ لقد رأيته يأكل من قطفِ عنبٍ وما بمكة يومئذٍ ثمرةٌ وإنه لموثقٌ في الحديدِ وما كان إلا رزقٌ رزقه الله[1]».

عباد الله! الخوارق التي تحدثُ للعباد وتجري على أيديهم منها كراماتٌ رحمانية ومنها خوارق شيطانية، وضابط الكرمة هو الاستقامة كما قال الشافعي والليث ابن سعد: إذا رأيت الرجل يطيرُ في الهواء أو يمشي على الماء لا تصدقهُ حتى تعرض عمله على السنةِ، فإذا كان ممن يستقيموا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فلا يبعد أن تحدث له كرامة رحمانية كما حدثت للكثير من الصحابة.

رابعاً: من الدروس والعظاتِ والعبر التي تؤخذ من قصة أصحاب الأخدود: من تواضع لله رفعه.

وهذا يؤخذ من قوله ﷺ: «**فأتى الراهب** –أي: الغلام– **فأخبرهُ فقال: أي بني أنت اليوم أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى**» وهذا درسٌ عظيمٌ في التواضع نخص به أهل العلم والدعاةِ وغيرهم لأن الراهب أفضل من الغلام –بلا شك– فهو الذي علّمهُ التوحيد ولقنه العلمَ وعلى الرغم من ذلك يقول له: «أنت اليومَ أفضل مني».

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٠٨٦).

عباد الله! التواضع خلقٌ يحبه الله ولذلك أمر به عباده في كتابه.

قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢١٥﴾ [الشعراء].

وقال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾ [الكهف:٢٨].

عباد الله! التواضع خلقٌ وصّى به النبي ﷺ وحث عليه.

قال ﷺ: «**إن الله أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحدٍ، ولا يبغي أحدٌ على أحدٍ**»(١).

وقال ﷺ: «**ما نقصت صدقةٌ من مالٍ، وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله**»(٢).

عباد الله! وضرب لنا رسول الله ﷺ أروع الأمثلة في التواضع

عن أنس رضي الله عنه أنه مرّ على صبيانٍ فسلّم عليهم وقال: كان النبي ﷺ يفعلهُ(٣).

وعنه قال: إن كانت الأمةُ من إماءِ أهل المدينةِ لتأخذُ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت(٤).

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٨٦٥).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٥٨٨).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٢٤٧)، ومسلم (٢١٦٨).

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٠٧٢).

عن الأسود بن يزيد قال: سألت عائشة ﵂: ما كان النبي ﷺ يصنعُ في بيته؟ قالت: (كان يكون في مهنةِ أهله -تعني: خدمةِ أهله- فإذا حضرت الصلاة، خرج إلى الصلاة)[(١)].

وعن أبي رِفاعة تميم بن أُسيد ﵁ قال: (انتهيتُ إلى النبي ﷺ وهو يخطبُ قال: فقلت: يا رسول الله،رجلٌ غريب، جاء يسأل عن دينه، لا يدري ما دينه؟ قال فأقبلَ عليّ رسول الله ﷺ وترك خُطبته حتى انتهى إليّ فأُتي بكرسيٍّ.. فقعد عليه رسول الله ﷺ، وجعل يُعلمني مما علّمه الله ثم أتى خطبتهُ، فأتم آخرها)[(٢)].

وعن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: «**ما بعث اللهُ نبياً إلا رعى الغنم**» فقال أصحابه: وأنت؟ فقال: «**نعم كنتُ أرعاها على قراريط لأهل مكة**»[(٣)].

عباد الله! التواضع من صفات عباد الرحمن.

قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان].

والتواضع من صفات أهل الجنة.

قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ -وهي الجنة- ﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٧٦).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٨٧٦).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٢٦٢).

خامساً: ومن الدروس والعظاتِ والعبرِ التي تؤخذُ من قصةِ أصحاب الأخدود:

الجزاءُ من جنس العمل.

وهذا يؤخذ من قصة أصحاب الأخدود من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾ [البروج]

عباد الله! لمّا عذب الكفار المؤمنين بالتحريق في النار عذبَهم الله يوم القيامة في جهنم بالتحريق؛ جزاءً وفاقاً، ولا يظلم ربك أحداً.

عباد الله! إن من سنن الله تعالى التي لا تتغير ولا تتبدل ولا تتحول، أن جزاءَ العامل يكون من جنس عمله، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر (جزاءً وفاقاً).

فالمحسنُ جزاؤه الإحسان والحسنى كما قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦].

وقال تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن].

والمُسيءُ يُعاقبُ بجنس عمله في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى:٤٠].

عباد الله! من وضع هذه السنة (الجزاء من جنس العمل) بين عينيه وهو يسير في هذه الدنيا دفعه ذلك إلى الأعمال الصالحة، ومنعه من اقتراف المعاصي.

قال تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت].

وقال ﷺ **«كما لا يُجتَنى من الشوك العنبُ، كذلك لا ينزلُ الأبرارِ منازِلَ الفُجَّارُ، فاسلكلوا أيّ طريق شئتم، فأي طريقٍ سلكتم وردتُم على أهله»**[1].

---

(١) حسن: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٣١)، [«الصحيحة» (٢٠٤٦)].

وقال ﷺ: «**من أراد أن يعلم مالهُ عند الله جل ذكرُهُ، فلينظر ما لله عز وجل عنده**»(١).

عباد الله! ومن الأمثلة التي توضح أن الجزاء من جنس العمل.

١- فرعونُ الذي تكبر فقال: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الزخرف].

فأهلكهُ الله -عز وجل- في هذه الأنهار وجعلهُ عبرةً لمن خلفه قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ [يونس:٩٠-٩٢].

٢- وأولئك قوم عاد لما قالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت:١٥] أهلكهم الله -عز وجل- بريحٍ صرصرٍ عاتيةٍ فجعلتهم كأعجاز نخلٍ خاوية.

٣- وها هم الكفار يسخرون ويستهزءون ويضحكون في الدنيا من المؤمنين فيعاقبهم الله -عز وجل- بأن يجعل المؤمنين يضحكون منهم وهم يعذبون في نار جهنم في الآخرة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المطففين].

(١) حسن: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٨٩)، [«الصحيحة» (٢٣١٠)].

٤- وها هم الذين تكبروا على خلق الله في الدنيا يعاقبهم الله يوم القيامة بأن يحشروا يوم القيامة في أرض المحشر أمثال الذر تطؤهم الأقدام.

قال ﷺ: «**يُحشرُ المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجالِ، يغشاهم الذل من كل مكان، يُساقون إلى سجنٍ في جهنم يسمى بُولُسَ، تعلوهم نار الأنيار، يسقون من عُصارة أهل النار، طينة الخبالِ**»[1].

٥- وها هم الزناةُ من الرجال والنساء، لما استخفوا من أعين الناس عند فعل الفاحشة وكشفوا عن عوراتهم وتلذذوا بالحرام، عاقبهم الله -عز وجل- بالعذاب الأليم والفضيحة أمام الناس.

قال تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ [النور].

ورأى النبي ﷺ في منامه مثل التنور أعلاه ضيقٌ وأسفلهُ واسعٌ ورأى فيه رجالاً ونساءً عراة يأتيهم لهبٌ من أسفل منهم فسأل ﷺ عن هؤلاء، فقيل له: إنهم الزناةُ.

فالجزاءُ من جنس العمل ولا يظلم ربك أحداً، فاعبتروا يا أولي الأبصار.

عباد الله! ومع باقي الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من قصة أصحاب الأخدود نعيش وإياكم في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى -إن كان في العمر بقية-.

---

(١) حسن: أخرجه الترمذي (٢٤٩٢)، وأحمد (٢/ ١٧٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٥٧)، والحميدي (٥٩٨)، [«صحيح الجامع» (٨٠٤٠)].

١٢

سابعاً: الدروس والعظات والعبرُ التي تؤخذ من قصةِ أصحاب الأخدود (ب)

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾ [البروج].

عباد الله! ما زلنا في صدد الحديث عن الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من قصة أصحاب الأخدود.

في الجمعة الماضية قلنا: إنّ قصة أصحاب الأخدود التي أخبرنا الله عن نهايتها في كتابه وأخبرنا رسولُ الله ﷺ عن بدايتها وسياقها في سنتهِ فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ كثيرةٌ جداً وذكرنا منها:

أولاً: السحرُ حرامٌ لا يحبهُ الله -تعالى- ويدفعُ صاحبهُ إلى كلِّ شرّ.

ثانياً: الإيمان يحبُّهُ الله -تعالى- ويدفعُ صاحبه إلى كلِّ خير.

ثالثاً: اللهُ -عز وجل- يُكرمُ أولياءه بكراماتٍ.

رابعاً: من تواضعَ لله رفعه.

خامساً: الجزاءُ من جنسِ العمل.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- أيضاً مع الدروس والعظاتِ والعبر التي تؤخذ من قصة أصحاب الأخدود وهي:

سادساً: الابتلاءُ سنةُ الله فِي خلقهِ.

عباد الله! وهذا يؤخذ من قصة أصحاب الأخدود من:

ابتلاء الراهب المؤمن بالنشر بالمناشير.

وابتلاء جليس الملكِ المؤمن بالنشر بالمناشير.

وابتلاء الغلام المؤمن بالصلب والقتل.

وابتلاء المؤمنين يالتحريق بالنار. ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾ [البروج]

عباد الله! الإنسانُ خُلقَ في هذه الدنيا ليُبتلى.

قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الإنسان].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك].

عباد الله! والابتلاء في هذه الدنيا يكون بالسراءِ والضراءِ، والحسناتِ والسيئات، والخير والشر، والفقر والغنى، والصحة والمرض.

قال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ١٦٨﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ٣٥﴾ [الأنبياء].

فهذا أيوب عليه السلام: **ابتُلي بالضراءِ**: بالشدةِ والمرض، والفقرِ وفقدِ الأولادِ **فصبر** ونجح في الامتحان والابتلاءِ، قال الله تعالى عنه: ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ٤٤﴾ [ص].

وهذا سليمان عليه السلام **ابتليَ بالسراء**: بالغنى والملك **فشكرَ** ونجح في الامتحان والابتلاء، وقال الله عنه: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ٣٠﴾ [ص].

فالمؤمن في هذه الدنيا إذا ابتلي بالسراء فعليه أن يشكر، وإذا ابتلي بالضراء فعليه أن يصبر.

قال ﷺ: «**عجباً لأمر المؤمن، إن أمرهُ كُلَّهُ له خير، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكانَ خيراً له، وإن أصابتهُ ضراءُ صبر، فكان خيراً له**»[1].

عباد الله! والابتلاءُ في هذه الدنيا لا بُدَّ منهُ ليميزَ الله الخبيثَ من الطيبِ، والكاذبُ من الصادق.

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٩٩).

قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت].

عباد الله! إن من الناس في هذه الدنيا من يدعي الإيمان والصلاح والتقوى وهو من أكذب الكاذبين؛ فيبتلي الله عز وجل العباد ليميز بعضهم من بعض.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ۝١٠﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٠ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ۝١١﴾ [العنكبوت].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ۝١١﴾ [الحج].

عباد الله! الابتلاء للمؤمن في هذه الدنيا دليلٌ على محبة الله له.

قال ﷺ: «**إن عظمِ الجزاء مع عظمِ البلاء، وإن الله تعالى إذا أحبَّ قوماً ابتلاهم، فمن رضيَ فله الرضى، ومن سَخِطَ فله السُّخط**»[1].

ولذلك كان أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم.

---

(١) حسن: أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١)، [«صحيح الجامع» (٢١١٠)].

قال ﷺ: «**أشدُّ الناس بلاءً الأنبياءُ، ثم الأمثلُ، فالأمثلُ يبتلى الناسُ على قدرِ دينهم، فمن ثَخُنَ دينُهُ اشتدَّ بلاؤه، ومَن ضَعُفَ دينهُ ضعُفَ بلاؤهُ، وإن الرجلَ ليصيبُهُ البلاء حتى يمشي في الناس ما عليه خطيئةٌ**»[1].

عباد الله! الابتلاءُ في هذه الدنيا للمؤمن يكفرُ عنه السيئات ويرفع له الدرجات.

قال ﷺ: «**ما يزال البلاءُ بالمؤمنِ والمؤمنةِ، في نفسه وولدهِ وماله، حتى يلقى الله وما عليه خطيئة**»[2].

وقال ﷺ: «**إن الرجلَ ليكونُ له المنزلةُ عند الله فما يبلُغها بعملٍ، فلا يزالُ الله يبتليهِ بما يكره حتى يبلّغه إياها**»[3].

سابعاً: من الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من قصة أصحاب الأخدود:

مشروعية التداوي.

عباد الله! وهذا يؤخذ من قصة أصحاب الأخدود من فعل الغلام.

قال ﷺ: «**وكان الغلامُ يبرئُ الأكمه والأبرص ويداوي الناسَ من سائر الأدواء**» -أي: من جميع الأمراض-.

عباد الله! الصحة والعافيةُ من أجلّ نعمِ الله على عباده، بل هي أجلُّ النعم على الإطلاق بعد الإيمان.

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن حبان (٢٩٠٩)، [«صحيح الجامع» (٩٩٣)].

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣٩٩)، وأحمد (٢/ ٢٨٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٩٤)، وابن حبان (٢٩١٣)، [«الصحيحة» (٢٢٨٠)].

(٣) حسن: أخرجه ابن حبان (٢٨٩٧)، والحاكم (١/ ٤٩٥)، وأبو يعلى (١٠/ ٤٨٢)، [«صحيح الجامع» (١٦٢٥)].

كما قال ﷺ: «**وسلوا الله المعافاةَ، فإنه لم يؤتَ أحدٌ بعد اليقين خيراً من المعافاة**»(١).

وقال ﷺ: «**لا بأس بالغنى لمن اتقى، والصحةُ لمن اتقى خيرٌ من الغنى وطيبُ النفس من النعيم**»(٢).

وقال ﷺ: «**مَنْ أصبح منكم آمناً في سربه، معافىً في جسده، عنده قوتُ يومه، فكأنما حِيزَتْ له الدنيا بحذافيرها**»(٣).

ولذلك كانت الصحةُ والعافيةُ أول ما يُسأل عنه العبد يومُ القامة من **النعيم**.

قال ﷺ: «**إن أول ما يُسأَلُ عنه العبدُ يومَ القيامةِ مِنَ النعيمِ أن يُقال له: ألم نُصِحَّ لك جِسْمَكَ ونرويكَ من الماء البارِدِ؟**»(٤).

عباد الله! وإذا كان الأمرُ كذلك وجب على كل إنسانٍ أن يحافظ على كمال صحته وسلامة جسمه، وعافيةِ بدنه، لا سيما وأنّ الإسلامَ يأمر بذلك يقول ﷺ: «**المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمنِ الضعيف**»(٥).

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٣٨٤٩)، وأحمد (١/ ٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٢٤)، [«صحيح ابن ماجه» (٣١١٨)].

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٢١٤١)، وأحمد (٥/ ٣٧٢)، والحاكم (٢/ ٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٠١)، [«صحيح الجامع» (٧١٨٢)].

(٣) **حسن**: أخرجه الترمذي (٢٣٤٦)، وابن ماجه (٤١٤١)، والبيهقي في «الشعب» (٧/ ٢٩٤)، وأبو نعيم (٥/ ٢٨٣)، [«الصحيحة» (٢٣١٨)].

(٤) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٣٥٨)، والحاكم (٤/ ١٥٣-١٥٤)، [«صحيح الجامع» (٢٠٢٢)].

(٥) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

عباد الله! من أجل المحافظة على الصحةِ شرعَ الإسلامُ التداوي.

قال ﷺ: «**تداووا عباد الله، فإن الله تعالى لم يضعْ داءً إلا وضع له دواءً، غيرَ داءٍ واحدٍ، الهَرَمُ**»[١].

وقال ﷺ: «**لكلِ داءٍ دواءٌ، فإذا أُصيبَ دواءُ الداءَ برأ بإذن الله تعالى**»[٢].

وقال ﷺ: «**ما أنزل اللهَ داءً إلا قد أنزلَ له شفاءً، عَلِمَهُ من علمِه، وجَهِلَهُ من جهِلَه**»[٣].

عباد الله! والتداوي المشروع نوعان:

الأول: التداوي بالأدوية الطبيعية والذهاب إلى الطبيب وأخذِ العلاج وغير ذلك من الأسباب المشروعة.

الثاني: التداوي بالأدوية الإلهية الروحانية التي جاءت في الكتاب والسنة ومنها:

١- الصدقة، قال ﷺ: «**داووا مرضاكم بالصدقة**»[٤].

٢- قراءة الفاتحة على المريض، إذ قال النبي ﷺ للصحابي الذي قرأ بها على المريض فشفي: «**وما يُدريك أنها رقية؟**»[٥].

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٣٨٥٥)، والترمذي (٢٠٣٨)، وابن ماجه (٣٤٣٦)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٤/ ٣٦٨)، وأحمد (٤/ ٢٧٨)، [«صحيح الجامع» (٢٩٣٠)].

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٢٠٤).

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٣٧٧)، والحاكم (٤/ ٢١٨)، والطبراني في «الأوسط» (٧/ ١٢١)، والبيهقي في «السنن» (٩/ ٣٤٣)، [«الصحيحة» (٤٥١)].

(٤) حسن: [«صحيح الجامع» (٣٣٥٨)].

(٥) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٢٧٦)، ومسلم (٢٢٠١).

٣- الدعاءُ، قال ﷺ: «**الدعاء ينفعُ مما نزل ومما لم ينزل، فعلكيم عبادَ الله بالدعاء**»(١) .

٤- الرُقيةُ الشرعيةُ كما علمنا النبي ﷺ إياها.

٥- العسلُ، قال تعالى: ﴿**فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ**﴾ [النحل:٦٩].

٦- الحبةُ السوداءُ، قال ﷺ: «**في الحبة السوداء شفاءٌ من كلِّ داءٍ إلا السام**»(٢).

٧- ماءُ زمزمَ يُشرب بنية الشفاء.

قال ﷺ: «**فيه طعامٌ من الطُعم، وشفاءٌ من السُقم**»(٣) .

وقال ﷺ: «**ماءُ زمزم لما شُربَ له**»(٤).

ابن آدم! بعد كُلّ هذا ليس لك أية حجة حتى تذهب إلى السحرة والكهنة والمشعوذين وتبحث عن الشفاء عندهم والنبي ﷺ يقول: «**من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد**(٥)» .

---

(١) حسن: أخرجه الترمذي (٣٥٤٨)، والحاكم (١/ ٦٧٠)، [«صحيح الجامع» (٣٤٠٩)].

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٦٨٨)، ومسلم (٢٢١٥)..

(٣) **صحيح**: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ٩٨)، وفي الأوسط (٤/ ١٧٩)، [«صحيح الجامع» (٣٣٢٢)].

(٤) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٣٠٦٢)، وأحمد (٣/ ٣٥٧)، والطبراني في الأوسط (١/ ٢٥٩)، وابن أبي شيبة (٣/ ٢٧٤)، والبيهقي في «الشعب» (٣/ ٤٨١)، [«الإرواء» (١١٢٣)].

(٥) **صحيح**:أخرجه أحمد (٢/ ٤٢٩)، والطبراني في الأوسط (٢/ ١٢٢)، والبيهقي في «السنن» (٨/ ١٣٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢٧٠)، وابن الجعد (٤٢٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠٤٧)].

ثامناً: من الدروس والعظات والعبر التي تُؤخذ من قصةِ أصحابِ الأخدود: أنّ من تاب من ذنبهِ تابَ الله عليه.

وهذا يؤخذ من قصة أصحاب الأخدود من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾ [البروج].

قال الحسنُ البصري: (انظروا إلى هذا الكرم والجودِ، قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة!)[1].

عباد الله! وهذا دليلٌ على أن الله -عزوجل- يتوبُ على العبدِ إذا تابَ من ذنبه مهما كبُرَ.

فمن تاب حتى من **الكفر** تاب الله عليه، قال تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال:٣٨].

عباد الله! بعد ما قال **اليهود** ما قالوا في حق الله، وبعدما قال **النصارى** ما قالوا في حق الله دعاهم الله -عز وجل- إلى التوبة والاستغفار، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [المائدة].

عباد الله! أبوابُ التوبة لا تزال مفتوحة على مصراعيها فمن تاب من معصيته تاب الله عليه، **ومن الأمثلة على قبول توبة من تاب:**

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير».

١ - أتت **امرأةٌ رسول الله** ﷺ وهي حبُلى من الزنا فقالت: يا نبي الله ﷺ**!** أصبتُ حداً فأقمه عليّ ... فأمر بها رسول الله ﷺ فشُكَّتْ عليها ثيابها، ثم أمر بها فرُجمت ثم صلى عليها، فقال له عمر: تصلي عليها يا نبي الله وقد زنت؟

قال ﷺ: «**لقد تابتْ توبةً لو قُسمتْ بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجَدْت توبةً أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى**»(١).

٢- وهذا **ماعزُ بن مالكِ** جاءَ إلى النبيّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله**!** طهّرني .. فقال له رسول الله ﷺ: «**فيم أُطهرُك؟**».

فقال -ماعز-: من الزنى .. فقال له ﷺ: «**أزنيت؟**».

فقال -ماعز-: نعم. فأمر به فرُجمَ، ... إلى أن قال ﷺ: «**استغفروا لماعز بن مالك**» فقالوا: غفر الله لماعز بن مالك. فقال رسول الله ﷺ: «**لقد تابَ توبةً لو قُسِمَتْ بين أُمةٍ لوسعتُهم**»(٢).

عباد الله! فهذه أدلةٌ من الكتاب والسنة تدلُّ على أن من تاب من ذنبه تاب الله عليه، كيف لا؟**!**

والله -عز وجل- يقول: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه].

ويقول سبحانه: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر].

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٦٩٦).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٦٩٥).

ويقول سبحانه: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٣١﴾ [النور].

ويقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم:٨].

عباد الله! والتوبة النصوح التي يقبلها الله من عباده: هي التي تتوفر فيها الشروط التالية:

الشرط الأول: الإقلاع عن الذنب.

الشرط الثاني: الندم على فعله.

الشرط الثالث: العزمُ على أن لا يعودَ إليه مرةً أخرى.

الشرط الرابع: أن تكون التوبة قبلَ الموتِ وقبل طلوع الشمس من مغربها.

فإن التوبة عند حضور الموت إذا ما بلغت الروح الحلقوم لا تقبل، قال ﷺ: «**إن الله تعالى يقبلُ توبةَ العبدِ ما لم يغرغر**»(١) .

والتوبة إذا طلعت الشمس من مغربها لا تقبل، قال ﷺ: «**إن الله عز وجل يبسطُ يدهُ بالليل، ليتوبَ مُسيء النهار، ويبسط يده بالنهار، ليتوب مُسيء الليل، حتى تطلعَ الشمس من مغربها**(٢)» .

عباد الله! وشروط التوبة هذه كلها إذا كان الذنب بين العبد وبين ربه، أمّا إذا كان الذنب في حق آدمي فيضاف إليها شرطاً خامساً ألا وهو: **التحللُ من صاحب الذنب.**

---

(١) حسن:أخرجه الترمذي (٣٥٣٧)، وابن ماجه (٤٢٥٣)، وأحمد (٢/ ١٣٢)، والحاكم (٤/ ٢٨٦)، [«صحيح الجامع» (١٩٠٣)].

(٢) **صحيح**:أخرجه مسلم (٢٧٥٩).

قال ﷺ: «**من كانت لأخيه عنده مظلمةٌ مِنْ عرضٍ أو مالٍ فلْيتَحَلَّلْهُ اليوم، قبل أن يُؤخذ منه يومَ لا دينار ولا درهم، فإن كان له عملٌ صالحٌ، أُخذ منه بقدر مظلمتهِ، وإن لم يكن له عملٌ أُخِذ من سيئات صاحبه فجُعلت عليه**»(١).

تاسعاً: من الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من قصةِ أصحاب الأخدود: أنّ الدعاءَ ينفعُ مما نزل ومما لم ينزل.

عباد الله! وهذا يؤخذ من قصة أصحاب الأخدود من دعاء الغلامِ فقد دعا ربهُ أكثرَ من مرةٍ فاستجاب اللهُ له، وانتفع بالدعاء.

قال الغلام في دعائه الأول: «اللهم إن كان أمرُ الراهبِ أحبَّ إليك من أمر الساحرِ فاقتل هذه الدابة، فرماها فقتلها ومضى الناس».

وفي دعائه الثاني قال لجليس الملك: «إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله تعالى فإن آمنت بالله دعوت اللهَ شفاك فآمن فشفاه الله».

وفي دعائه الثالث قال: «اللهم اكفينهم بما شئت» فرجف الجبلُ في المرةِ الأولى، وانكفئت السفينة في المرة الثانية، ففي ذلك دليلٌ على أن الدعاء ينفعُ مما نزل ومما لم ينزل.

ولقد قال ﷺ: «**الدعاءَ ينفعُ مما نزلَ ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء**»(٢).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٥٣٤)، وأحمد (٢/ ٥٠٦)، [«صحيح الجامع» (٦٥١١)].

(٢) حسن: أخرجه الترمذي (٣٥٤٨) ، والحاكم (١/ ٦٧٠)، [«صحيح الجامع» (٣٤٠٩)].

عباد الله! فهذا أيوب عليه السلام ابتُلي بالمرض فدعا الله وانتفع بالدعاء.

قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الأنبياء].

وهذا يونس عليه السلام: ابتلي **بالسّجن** في بطن الحوت فدعا الله، فانتفع بالدعاء .

قال تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء].

وهذا **زكريا** عليه السلام ابتلي بعدم الأولاد فدعا الله، فانتفع بالدعاء .

قال تعالى: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء].

عباد الله! فالدعاء ينفعُ مما نزلَ ومما لم ينزل ولذلك أمرنا الله عز وجل بالدعاء ووعدنا بالاستجابة.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦].

وقال تعالى: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ [النساء:٣٢].

وقد حثَّ النبيُّ ﷺ أُمتهُ على الدعاء.

فقال ﷺ: «**إن الله يقول: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا دعاني**»(١).

وقال ﷺ: «**قال الله تعالى: يا ابنَ آدم! إنك ما دعوتني ورجوتني؛ غفرتُ لك ما كان فيك ولا أُبالي**»(٢).

وقال ﷺ: «**ليسَ شيءٌ أكرمَ على اللهِ من الدعاء**»(٣).

وقال ﷺ: « **إن الله حييٌّ كريمٌ، يستحي إذا رفع الرجلُ إليه يديه أن يردَّهما صِفْراً خائبتين**»(٤).

وقال ﷺ: «**ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثمٌ ولا قطيعة رحم؛ إلا أعطاهُ الله بها إحدى ثلاث: إما أن يُعجِّلَ له دعوته، وإما أن يدخرَها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوءِ مثلها**»، قالوا: إذاً نُكثِر؟! قال: «**الله أكثر**»(٥).

وقال ﷺ: «**إنه مَن لم يسأل الله تعالى يغضبْ عليه**»(٦).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) واللفظ له.

(٢) **حسن**: أخرجه الترمذي (٣٥٤٠)، وأحمد (٥/ ١٧٢)، والدارمي (٢٧٨٤)، [«الصحيحة» (١٢٧)].

(٣) **حسن**: أخرجه الترمذي (٣٣٧٠)، وابن ماجه (٣٨٢٩)، وأحمد (٢/ ٣٦٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧١٢)، والحاكم (١/ ٦٦٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٢٩)].

(٤) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٥٥٦)، وأبو داود (١٤٨٨)، وابن ماجه (٣٨٦٥)، وأحمد (٥/ ٤٣٨)، والحاكم (١/ ٦٧٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٣٥)].

(٥) **حسن صحيح**: أخرجه أحمد (٣/ ١٨)، والحاكم (١/ ٦٧٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧١٠)، وابن أبي شيبة (٦/ ٢٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٣٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٣٣)].

(٦) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٣٧٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٥٨)، [«صحيح الجامع» (٢٤١٨)].

ابن آدم:

لا تسألن بُني آدم حاجة ... وسل الذي أبوابُهُ لا تُحجبُ
الله يغضب إن تركت سؤالَهُ ... وبنيُّ آدم حين يُسأل يغضبُ
فالزَمْ مُساءَلة الإله فإنما ... في فضلِ رحمةِ ربنا نتقلبُ

عاشراً: من الدروس والعظاتِ والعبرِ التي تؤخذُ من قصة أصحاب الأخدود: أن الداعي إلى الله يستغلُ حاجة الناسِ إليه في دعوتهم إلى التوحيد والإيمان بالله -عز وجل-.

عباد الله! وهذا نأخذُه من موقف الغلام مع جليس الملك:

قال ﷺ: «**فسَمِعَ جليسُ للملكِ كان قد عميَّ فأتاه بهدايا كثيرةٍ فقال: ما ها هنا لك أجمع إن أنت شفيتني فقال له الغلام: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله تعالى فإن آمنت بالله دعوتُ الله فشفاك فآمن بالله فشفاهُ الله**».

عباد الله هكذا بدأ الغلامُ يضع بذرة التوحيد في قلب جليس الملك ليعلم أن الله وحده هو النافع الضار، وأنه سبحانه من بيده مقاليد السموات والأرض، وأنه هو وحدهُ سبحانه من يملك الشفاء.

عباد الله! وهذا ما فعلهُ يوسفُ -عليه السلام- مع المساجين في السجن:

فلما احتاجوا إليه في تأويل الرؤيا دعاهم أولاً إلى توحيد الله -تعالى- قال الله تعالى على لسان يوسف: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [يوسف].

ثم بدأ يفصح عن عقيدته إفصاحاً كاملاً، وأخذ يكشف لهما عن فساد اعتقادهما واعتقاد قومهما فقال: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف].

عباد الله! فعلى الدعاة إلى الله تعالى في كل مكان أن يبدؤوا مع الناس بعقيدة التوحيد فإن هذا هو منهج الأنبياء جميعاً.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء].

وما من نبي جاء إلى قومه إلا قال لهم قبل كل شيء: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون:٢٣].

١٣
ثامناً: قصة أصحاب الكهف

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾ [الكهف:١٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران:٦٢].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظِ التي بعنوان: **الفرقان مِنْ قصصِ القرآن دروسٌ وعظاتٌ وعبر.**

أتدرون ما هي يا عباد الله؟!

إنها: **قصةُ أصحاب الكهف.**

عباد الله! يخبرنا ربنا -جل وعلا- في كتابه عن قصةِ أصحاب الكهف فيقولُ سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (١٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (١٤) هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (١٥) وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا (١٦)﴾ إلى قوله: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٥) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (٢٦)﴾ [الكهف].

عباد الله! قصةُ أصحاب الكهف مظهرٌ من مظاهرِ الإيمان حيث يظهر لنا من خلالها كيف يصنعُ الإيمان الرجالَ، وكيف يدفعُ الإيمان أصحابه إلى كلِّ خيرٍ.

عباد الله! أصحابُ الكهفِ مجموعة من الفتية الشباب المؤمنين بالله، وقف هؤلاء الفتيةُ المؤمنون وقفة للبحث والنظر، وخرجوا منها بنتيجةٍ قاطعةٍ وهي أن الله وحدهُ هو ربُّ العالمين وأنهم لن يؤمنوا إلا به، ولن يعبدوا إلا إياه.

لقد عرفوا أن قومهم كانوا كافرين، لأنهم عبدوا غيرَ الله، وكفرُهُم هذا أوجد عندهم الظلم والكذب والافتراء، فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا؟ ثم فكر أولئك الفتية المؤمنون في الخطوة التالية، فوجدوا أن العزلة هي الحل فقرروا اعتزال قومهم، فهم مؤمنون، وقومهم كافرون، ولا مجال لأن يعيشوا معهم.

خرجوا من المدينة إلى الجبال، وقرروا أن يأووا إلى كهفٍ في جبل وطلبوا من الله أن ينشر عليهم في الكهفِ من رحمته قال تعالى: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الكهف]. واستجاب الله لهم قال تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾﴾.

عباد الله! وكلامُنا عن قصة أصحاب الكهف سيكون حول العناصر التالية:

العنصر الأول: صفات أصحابِ الكهفِ.

العنصر الثاني: الكرامات التي أكرمَ الله بها أصحاب الكهف.

العنصر الثالث: أصحاب الكهفِ بعد أن استيقظوا من نومهم.

العنصر الرابع: أصحاب الكهف بعد أن عثر الناسُ عليهم وعلموا أمرهم.

العنصر الأولُ: صفاتُ أصحابِ الكهفِ.

عباد الله! وصف الله -عز وجل- أصحابَ الكهف بصفاتٍ ينبغي للمسلمين عامةً وللشباب خاصةً أن يتصفوا بها وهي:

الصفة الأولى: شبابٌ:

قال تعالى: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ﴾ [إنهم فتية] -أي: في سن الشباب، والشباب هم أقبلُ للحق من غيرهم.

قال ابن كثير في هذه الآية: (فذكر تعالى أنهم فتيةٌ وهم الشباب، وهم أقبلُ للحق وأهدى للسبيل من الشيوخ الذين عتوا وانغمسوا في دين الباطل، ولهذا

كان أكثر المستجيبين لله -تعالى- ولرسوله ﷺ شباباً، وأما المشايخ من قريش فعامتهم بقوا على دينهم ولم يُسلمْ منهم إلا القليل، وهكذا أخبر الله -تعالى- عن أصحاب الكهف أنهم كانوا فتية شباباً)[١].

عباد الله! ولذلك اهتمَ النبيُّ ﷺ بالشباب وسن الشبابِ.

فقال ﷺ: «**سبعةٌ يظلهم الله تعالى في ظله يومَ لا ظلَّ إلا ظله**» -وذكر منهم- «**وشابٌّ نشأ في عبادة الله**»[٢].

وقال ﷺ: «**اغتنم خمساً قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شُغلك، وشبابَك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك**»[٣].

وقال ﷺ: «**لا تزولُ قدما ابن آدم يومَ القيامة من عند ربه، حتى يُسأل عن خمسٍ: عن عمره فيما أفناه؟ وعن شبابه فيما أبلاه؟ وماله من أين اكتسبه؟ وفيما أنفقه؟ وماذا عمل فيما علم؟**»[٤].

وقال ﷺ: «**يا معشر الشباب! من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغضُّ للبصر، وأحصن للفرج، ومَن لم يستطعْ، فعليه بالصومِ؛ فإنه له وِجاءٌ**»[٥].

---

(١) (ابن كثير ٤/ ١١٩).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١).

(٣) **صحيح**: أخرجه الحاكم (٤/ ٣٤١)، والبيهقي في «الشعب» (٧/ ٢٦٣)، [«صحيح الجامع» (١٠٧٧)].

(٤) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٤١٦)، والطبراني في «المعجم الصغير» (١/ ٢٦٩)، [«الصحيحة» (٩٤٦)].

(٥) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٠٦٦)، ومسلم (١٤٠٠) واللفظ له.

الصفة الثانية: مؤمنون:

قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ﴾ [الكهف:١٣].

عباد الله! أصحاب الكهفِ مجموعةٌ من الشباب آمنوا بربهم فتحولوا من طلاب للدنيا إلى طلاب للآخرة!! وهكذا يفعل الإيمان بأهله.

عباد الله! وهذا هو ما حدث للسحرةِ الذين جاءوا إلى فرعون يطلبون الدنيا فقط كما قال تعالى عنهم: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾﴾ [الشعراء].

فلما آمنوا ودخل الإيمان في قلوبهم أصبحوا لا يطلبون إلا الآخرة ولا يريدون إلا ما عند الله.

قال تعالى عنهم عندما هددهم فرعون: ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾ [طه].

وهذا هو ما حدث لجليس الملك في قصة أصحاب الأخدود أيضاً.

لقد كان جليسُ الملك يعيشُ عند الملكِ ويتمتعُ بالدنيا فلما آمن ودخل الإيمان في قلبه تغير وعندما سأله الملك من ردّ عليك بصرك؟ قال: ربي، فقال له الملك: أولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله .. هكذا يصنعُ الإيمان الرجال ولما طَلَبَ منه الملك أن يرجع عن دينه أبى فنُشِرَ بالمناشير ولم يرجعْ عن دينه.

عباد الله! أصحاب الكهفِ مجموعةٌ من الشباب جمعهم الإيمان بالله، والإيمانُ الصادقُ سببٌ للاتحاد والاجتماع والاعتصام، والشرك وفساد العقيدة سببٌ للتفرق والاختلاف.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠].

وقال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة:٧١].

وقال ﷺ: («**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً**» وشبك ﷺ بين أصابعه)[1] .

أما الشركُ فهو سبب الافتراق:

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم].

الصفة الثالثة: مهتدون.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾ [الكهف]

عباد الله! أصحاب الكهفِ مجموعةٌ من الشباب آمنوا بالله وزادهم الله هدى، ومن هداه الله فلا مضل له، ومن أضله الله فلا هادي له كما قال تعالى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٤٤٦)، ومسلم (٢٥٨٥).

وكان ﷺ يقولُ في كل خُطبةِ ومواعظهِ: «**من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له**».

عباد الله! استدل العلماء بهذه الآية ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ١٣﴾ على أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ١٧﴾ [محمد].

وقال تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح:٤].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ١٢٤﴾ [التوبة].

عباد الله! فعلى المسلمين عامةً والشباب خاصةً أن يجتهدوا في طاعة الله تعالى ليزدادوا إيماناً. وعليهم أن يسلكوا طريق الهداية ليزدادوا هدى.

الصفة الرابعة: ثابتون على دينهم.

قال تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [الكهف:١٤] أي: وصبَّرناهم على مخالفةِ قومهم ومباينتهم ومفارقة ما كانوا فيه من العيش الرغيد والسعادة والنعمةِ.

قال الشنقيطي -رحمه الله-: ويفهمُ من هذه الآيةِ الكريمة : أن من كان في طاعة ربه -جل وعلا- أنه تعالى يُقوي قلبَه، ويثبته على تحملِ الشدائد والصبر الجميل، وقد أشار تعالى إلى وقائع من هذا المعنى في مواضع أخر:

كقوله تعالى في أهل بدر مخاطباً نبيه ﷺ وأصحابه: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ١١ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الأنفال:١١-١٢].

وكقوله في أم موسى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾ [القصص:١٠].

عباد الله! فالمؤمن الذي آمن بالله وانشغل بطاعته يثبته الله عند الشدائد ويربطُ على قلبه. وهذا ما حدث للراهب وجليس الملكِ والغلامِ والمؤمنين في قصة أصحاب الأخدود عندما طلب منهم الملك أن يرجعوا عن دينهم فأبوا جميعاً وثبتوا على دينهم.

الصفة الخامسة: الشجاعةُ في قول الحق ورفض الباطل.

قال تعالى: ﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾﴾ [الكهف].

عباد الله! اجتمع الفتيةُ أصحابُ الكهف على الإيمان بالله وحدهُ لا شريك له فقاموا جميعاً فقالوا: ﴿رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ -أي: الله وحده هو الذي خلقنا ورزقنا ودبّرنا وربانا وخلق السموات والأرض، أما تلك الأوثان والأصنام فإنها لا تخلق ولا ترزق ولا تملك نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً.

فاستدلوا بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية ولهذا قالوا: ﴿لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا﴾ -أي: من سائر المخلوقات فإن فعلنا -أي: إن دعونا معه آلهة بعدما علمنا أنه الربُّ الإله، الذي لا تجوز ولا تنبغي العبادة إلا له- ﴿لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾ أي: ملنا ميلاً عظيماً عن الحق، وسلكنا طريقاً بعيداً عن الصواب.

فجمعوا بين الإقرار بتوحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، والتزام ذلك، وبيانُ أنه الحق وما سواه باطلٌ، وهذا دليلٌ على كمال معرفتهم بربهم، وعلى زيادة الهدى من الله لهم.

عباد الله! ولما ذكروا ما مَنَّ الله به عليهم من الإيمان والهدى، التفتوا إلى ما كان عليهم قومهم من اتخاذ الآلهة من دون الله، فمقتوهم، وبينوا أنهم ليسوا على يقين من أمرهم، بل هم في غاية الجهل والضلال فقالوا: ﴿لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ﴾ -أي: بحجة وبرهان على ما هم عليه من الباطل- لكنهم لن يستطيعوا إلى ذلك سبيلاً، وإنما ذلك افتراءٌ منهم على الله وكذبٌ عليه، وهذا أعظم الظلم ولهذا قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾﴾.

عباد الله! هكذا يصنعُ الإيمانُ الرجالَ ويدفعهم إلى قولِ الحقِ ورفضِ الباطل، ويدفعهم إلى كل خير يوصلهم إلى سعادة الدنيا والآخرة.

عباد الله! ومن الأمثلة على ذلك:

الرجل المؤمن الذي جاء من أقصا المدينة يسعى في قصة أصحاب القرية فإنه قد صدع بالحق ورفض الباطل وقال لقومه: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [يس].

ومؤمن آل فرعون الذي قال لقومه في نصيحته وبكل شجاعةٍ: ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾﴾ إلى أن قال: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ

﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾ [غافر].

الصفة السادسة: ومن صفات أصحاب الكهف فرارهم إلى الله تعالى بدينهم.

قال تعالى: ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الكهف].

عباد الله! قال أصحاب الكهفِ لبعضهم: وإذ فارقتموهم وخالفتموهم بدينكم، في عبادتهم لغير الله، ففارقوهم أيضاً بأبدانكم قال تعالى: ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾.

ففروا بدينهم إلى الكهف والتجأوا إلى الله وحده، قال الله تعالى عنهم: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾.

وهذا ما فعلهُ رسول الله ﷺ وأصحابه عندما هاجروا من مكة إلى المدينة فراراً بدينهم.

فعلى المسلم إذا لم يتمكن من عبادةِ ربه في بلدٍ ما عليه أن يهاجر إلى بلدٍ آخر يتمكن فيها من عبادة ربه.

العنصر الثاني: الكراماتُ التي أكرمَ اللهُ بها أصحابَ الكهف.

عباد الله! قصةُ أصحاب الكهف مظهرٌ من مظاهرِ قدرة الله في حفظه لأوليائه ودفاعه عنهم وإكرامه لهم بكراماتٍ ويظهرُ ذلك مما يلي:

١- الكهف وموقعه الملائم المناسب حيث كانت حياتهم فيه كلُّها رفقٍ ويُسرٍ وسهولةٍ، وحيث كان يقيهم من أشعة الشمس عند الصباح والمساء.

٢- حتى الشمس لم تؤذهم بحرارتها، ولقد كانت تتصرفُ معهم وكأنها حيٌّ عاقلٌ واعٍ حكيم، فكانت إذا طلعت تُبْعِدُ أشعَتها عنهم، فتميلُ ذات اليمين، وإذا غربتْ كانت تبتعدُ عنهم ذات الشمال وهم في فجوةٍ وسعةٍ من أشعتها وسط الكهف.

قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الكهف:١٧].

عباد الله! ومن كرامات الله التي أكرم بها أصحاب الكهف أيضاً.

٣- وحتى لا تبلى أجسادهم بنومتهم الطويلة، وحتى لا تأكل الأرض أجسادهم، كان الله عز وجل يُقلِّبهم ذات اليمين وذات الشمال، فإذا قُلِّبوا ذات اليمين تعرضت جنوبهم اليسرى للهواء، وإذا قُلِّبوا ذات الشمال تعرضت جنوبهم اليمنى للهواء فبقيت جنوبهم وأجسادهم سليمةً صحيحةً.

قال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الكهف:١٨].

٤- الكلبُ الذي رافقهم وصحبهم، ولما دخلوا الكهف وقفَ على عتبة الباب يحرسهم، وبسط ذراعيه بالوصيد، ونام نومتهم.

قال تعالى: ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾.

٥- وحتى لا يطمع أحدٌ فيهم، جعل الله منظرهم مخيفاً مرعباً للآخرين فما أن يروهم حتى يولوا منهم فراراً، ويملؤوا منهم رعباً، ولعلّ مبعث الرعب منهم كان في أن عيونهم كانت مفتوحةً، بحيث يحسبهم الناظر إليهم أيقاظاً ينظرون إليه مع أنهم في الحقيقة رقود نائمون.

قال تعالى: ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾.

٦- بَعْثهم من نومتهم الطويلة التي بلغت ثلاثمائةٍ وتسع سنين.

قال تعالى: ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾﴾ [الكهف].

عباد الله! هذه كلها كراماتٌ تكرمُ اللهُ بها على أوليائه، وآياتٌ تدلُّ على قدرة الله ووحدانيته وأن الأمور كلّها بيديه وحده سبحانه وتعالى: ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الزمر].

العنصر الثالث: أصحاب الكهف بعد أن استيقظوا من نومهم.

عباد الله! استيقظ أصحابُ الكهفِ من نومهم الطويل فماذا قالوا؟ وماذا فعلوا؟

تعالوا بنا لنستمع إلى كلامهم وهم في داخل الكهف كما أخبرنا ربنا -جل وعلا- في كتابه عنهم: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾ [الكهف]

عباد الله! وقد دلت هاتان الآيتان على عدة فوائد:

منها: الحثُّ على العلم وعلى المباحثةِ فيه، فإن الله عز وجل بعثهم لأجل ذلك.

ومنها: امتثال الأدب لمن اشتبه عليه العلمُ، بأن يرد الأمر إلى عالمه وأن يقف عند حد علمه به، وهذا يؤخذ من قولهم: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾.

ومنها: صحةُ الوكالة في البيع والشراء وصحةُ الشركة في ذلك وهذا يؤخذ من قولهم: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾.

ومنها: جوازُ أكل الطيبات والمطاعم اللذيذة إذا لم تخرج إلى حد الإسراف المنهي عنه وهذا يؤخذ من قولهم ﴿فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾.

ومنها: الحثُّ على التحرز، والاستخفاء، والبعد عن مواقع الفتن في الدين والاستعانة بالكتمان في ذلك سواء على الإنسان أو على إخوانه في الدين وهذا يؤخذ من قولهم: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾﴾.

ومنها: شدة عداوة أهل الكفر لأهل الإيمان وهذا يؤخذ من قولهم: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾.

ومنها: أن من دان بغير الإسلامِ وعبدَ غيرَ الله لن يفلحَ أبداً، وهذا يؤخذ من قولهم: ﴿وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾.

والله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران:١٩]. وقال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران].

فالحمدُ لله على نعمة الإسلام والسنةّ وسكنى بلاد الشام.

العنصر الرابع: أصحاب الكهف بعد أن عثر الناسُ عليهم وعلموا أمرهم.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعۡثَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ﴾ أي: لقد أعثرُ الله على أصحابِ الكهف وجعل أهل المدينة يكتشفونهم، ويقفون على أمرهم وأخبرنا اللهُ عز وجل بالحكمة من ذلك بقوله: ﴿لِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيۡبَ فِيهَآ﴾.

لقد كان ذلك ليعلم أهل المدينة والناس كلهم أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها، فوعد الله لعباده المؤمنين حقٌّ لا محالة، بأنه معهم بالرعاية والحفظ والنصر والتثبيت، فكل من حقق الشروط المطلوبة منه فليؤمن بتحقيق وعد الله له.

فها هم أصحابُ الكهف لجأوا إلى الله، فكان الله معهم، وحماهم وحفظهم وأبقى أجسادهم سليمة وهم نائمون مئات السنين.

ولقد أعثر الله عليهم، ليعلم أهل المدينة- والناس من بعدهم- أن الساعة لا ريب فيها.

عباد الله! وتنازع قومهم في أمرهم:

قال تعالى: ﴿إِذۡ يَتَنَٰزَعُونَ بَيۡنَهُمۡ أَمۡرَهُمۡۖ فَقَالُواْ ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِمۡ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيۡهِم مَّسۡجِدٗا ٢١﴾ لقد انقسموا في شأنهم إلى فريقين.

الفريق الأولُ: هم المؤمنون الصالحون حيث قالوا: ﴿ٱبۡنُواْ عَلَيۡهِم بُنۡيَٰنٗاۖ رَّبُّهُمۡ أَعۡلَمُ بِهِمۡ﴾.

الفريق الثاني: وهم الحاكمون المنفذون، الذين وصفهم الله بأنهم الذين غلبوا على أمرهم. وكان رأيهم أن يُبنى على أصحاب الكهف مسجدٌ وهو رأيٌّ باطلٌ وفاسدٌ محرمٌ فإن بناء المساجد على القبور حرام ولا يجوز.

قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾.

عباد الله! في قصة أصحاب الكهفِ وفي بعثهم بعد نومهم الطويل، دليلٌ على أن من فرّ بدينه من الفتن سلمهُ اللهُ منها. وأن من حرص على العافية عافاهُ الله ومن أوى إلى الله أواه الله، وجعله هداية لغيره، ومن تحمل الذل في سبيله وابتغاء مرضاته، كان آخر أمره وعاقبتهِ العزُّ والرفعةُ من حيث لا يحتسب ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾ [آل عمران].

عباد الله! اختلف أهل الكتاب في عدد أصحاب الكهف وذهبوا فيهم إلى ثلاثة أقوال:

كما قال تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾.

القول الأول: قالوا ثلاثةٌ رابعهم كلبهم.

القول الثاني: قالوا خمسةٌ سادسهم كلبهم.

وهذان القولان ذكر اللهُ بعدهما أنّ هذا رجمٌ منهم بالغيب، فدل على بطلانهما.

القول الثالث: قالوا سبعةٌ وثامنهم كلبهم.

وهذا -والله أعمل- هو الصواب، لأن الله أبطل القولين الأوليين ولم يبطل هذا فدل على صحته، وهذا من الاختلاف الذي لا فائدة تحته ولا يحصل بمعرفة عددهم مصحلة للناس، دينية ولا دنيوية.

ولهذا قال تعالى: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞ﴾.

عباد الله! ثم ختم ربنا -جل وعلا- قصة أصحاب الكهفِ بهذه التوجيهات والآداب لرسوله ﷺ وللمؤمنين.

فقال تعالى: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا ۝٢٢ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ۝٢٤﴾.

عباد الله! أما الدروس والعظات والعبرُ التي تؤخذ من قصة أصحاب الكهف فهذا الذي سنعرفهُ في الجمعة القادمة -إن شاء الله تعالى- إن كان في العمر بقية.

١٤

تاسعاً: الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من قصة أصحاب الكهف

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظِ التي بعنوان: **الفرقان من قصص القرآن دروس وعظاتٌ وعبر**

أتدرون ما هي يا عباد الله؟

هي: **الدروس والعظاتُ والعبرُ التي تُؤخذُ من قصة أصحاب الكهف**

عباد الله! قصةُ أصحاب الكهفِ التي أخبرنا الله عنها في كتابه فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: احفظْ الله يحفظك.

وهذا يؤخذ من قصةِ أصحاب الكهفِ فقد حفظوا الله في أنفسهم:

بأن عبدوهُ وحدهُ لا شريك له.

قال تعالى عنهم: ﴿إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾ [الكهف].

والتجأوا إليه وحده سبحانه بالدعاء.

قال تعالى عنهم: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الكهف].

وفروا بدينهم إليه وحده.

قال تعالى عنهم: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الكهف]

عباد الله! لما حفظ أصحاب الكهف الله في أنفسهم حفظهم الله في الكهف سنين عدداً وحفظ عليهم دينهم ورفع ذكرهم وأنزل فيهم قرآناً يُتلى إلى يوم القيامة.

عباد الله! وهذه من سنن الله في خلقهِ: من حَفِظَ الله حفظه ولذلك قال النبي ﷺ: «**احفظ الله يحفظك**».

ومن أمثلة من فعل ذلك:

١ - يوسف عليه السلام حفظ الله:

• عندما راودته امرأةُ العزيز عن نفسه فقال: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ﴾ [يوسف:٢٣].

• وعندما راودتُه النسوةُ قال: ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ﴾ [يوسف:٣٣].

• وفي السجن دعا المساجين إلى عبادة الله وحدهُ فقال: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٣٩﴾ [يوسف].

فلما حفظَ يوسفُ عليه السلام الله في نفسه حفظه الله تعالى فأخرجه من السجن ومكّنهُ في الأرض فلما قال له إخوته: ﴿أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي ۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠﴾ [يوسف].

٢ - يونس عليه السلام حفظ الله فحفظه اللهُ:

قال تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ [الأنبياء].

عباد الله! هل تدرون لماذا نجاهُ الله من الغمّ وحفظه؟

الجواب: لأنّ يونس عليه السلام حفظ الله في نفسه، قال تعالى: ﴿فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ١٤٣ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ١٤٤﴾ [الصافات].

٣- رسولُ الله ﷺ وأبو بكر الصديق وهما في طريقهما من مكة إلى المدينة عندما دخلا الغار وقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله! لو نظر أحدهم تحت قدمه لرآنا فقال له النبي ﷺ: «**يا أبا بكرٍ! ما ظنُك باثنين اللهُ ثالثُهما**[1]»

قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة].

٤ - الثلاثةُ الذين دخلوا الغار:

عباد الله! أولئك الثلاثة دخلوا الغار وانحدرتْ صخرةٌ فأغلقتْ عليهم الغار وأيقنوا الهلاكَ والموتَ فقالوا: إنه لن ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم.

فتوسلَ الأول: ببره لوالديه فاستجاب الله له ولكن لا يستطيون الخروج.

وتوسل الثاني: بتركه للزنا بعد أن قدر عليه فاستجاب الله له ولكن لا يستطيعون الخروج.

وتوسل الثالث: بحفظه الأماناتِ ورد الحقوقِ لأصحابها فاستجاب الله له وخرجوا من الغار[2] .

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٦٦٣)، ومسلم (٢٣٨١) واللفظ له.

(٢) **صحيح**: إشارة إلى حديث عند البخاري (٢٢٧٢)، (٥٩٧٤)، ومسلم (٢٧٤٣).

فحفظهم الله لأنهم حفظوا الله بإخلاصهم في أعمالهم.

فيا عباد الله! من أراد منكم أن يحفظه اللهُ ويحفظَ مالهُ وأولادهُ فليحفظ الله، وحفظُ الله: هو أن تحفظ حدوده وحقوقه وأوامرهُ ونواهيه.

فيا ابن آدم! احفظ الله يحفظك.

ثانياً: الساعة آتيةٌ لا ريب فيها.

وهذا يؤخذ من قصةِ أصحاب الكهف من قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾ [الكهف:٢١].

عباد الله! الساعةُ هي القيامة، هي اليوم الذي يبعث الله فيه الخلائق ليحاسبهم، **وهي حقٌّ لا ريب فيها.**

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج].

عباد الله! والساعة لا يعلمُ متى هي إلا الله وحدهُ:

قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الأحزاب].

وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ [الأعراف:١٨٧].

ولما سأل جبريل عليه السلام رسولَ الله ﷺ فقال له: متى الساعة؟ فقال ﷺ: «**ما المسئول عنها بأعلم مِنَ السائل**»(١) .

عباد الله! والساعة –وهي القيامة– **يوم شديدٌ جداً.**

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ ١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢﴾ [الحج].

عباد الله! في هذا اليوم يخرج الناس من قبورهم للحساب والجزاء

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ٤٧ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ٤٨ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ٤٩﴾ [الكهف].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ٨٧﴾ [النمل].

ابن آدم!

مثل وقوفك يوم العـرض عريانـاً   مستوحشاً قلـق الأحـشاء حيرانـا
والنار تلهبُ من غيظٍ ومـن حنـق   على العصاة وربُّ العرش غضبانا

---

(١) **صحيح**: إشارة إلى حديث طويل عند البخاري (٥٠)، ومسلم (٨، ٩، ١٠).

اقرأ كتابك يـا عبـدي عـلى مهـل		فهل ترى فيه حرفـاً غـير مـا كانـا
لمـــا قـــرأت ولم تُنكـــر قراءتـــه		اقرار مـن عـرف الأشـياء عرفانـا
نادى الجليل: خذوه يـا ملائكتـي		وامضوا بعبدٍ عصى للنار عطـشانا
المجرمـون غـداً في النـار يلتهبـوا		والمؤمنـون في دار الخلـد سـكاناً

الساعة والإيمان بها ركنٌ من أركان الإيمان، ومن كفر بها فهو من أخسر الخاسرين.

عباد الله! ها هم الذين كذبوا بالساعة يندمون في وقتٍ لا ينفع فيه الندم!

قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾ [الفرقان].

وقال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الجاثية].

ابن آدم! استيقظ من نومك قبل فوات الأوان فالساعة آتية لا ريب فيها.

ثالثاً: ومن الدروس والعظاتِ والعبر التي تؤخذ من قصةِ أصحاب الكهف: أن بناءَ المساجد على القبور محرمٌ وهو من الكبائر.

عباد الله! لقد جاءت أدلة في الكتاب والسنةِ تدل على أن بناء المساجد على القبور حرامٌ.

ففي كتاب الله: قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن].

وقال تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور].

عباد الله! والمساجد التي بُنيت على القبور لا ينطبق عليها هذا الوصف الذي جاء في هذه الآية لما يقع فيها من الشركِ.

وأما في السنة:

١-عن عائشة رضي الله عنها قالت: (قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: «**لعن الله اليهودَ والنصارى؛ اتخذوا قبورَ أنبيائهم مساجد**».

قالت: فلولا ذاكَ أُبرزَ قبره -أي: كُشِفَ قبرهُ ﷺ ولم يتخذ عليه الحائل -غير أنه خُشِيَ أن يُتخذَ مسجداً)[1].

عباد الله! وقولُ عائشة رضي الله عنها هذا يدلُّ دلالةً واضحةً على السبب الذي من أجله دفنوا النبي ﷺ في بيته، الا وهو سدُّ الطريق على مَنْ عسى أن يبني عليه مسجداً[2].

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٣٩٠)، ومسلم (٥٩٢) واللفظ له.

(٢) «تحذير الساجد» (ص١٤).

٢- وقال ﷺ: «**قاتل اللهُ اليهودَ؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[(١)].

٣- وعن عائشة وابن عباس رضي الله عنهما (أن رسول الله ﷺ لما حضرتهُ الوفاةُ جعلَ يُلقي على وجهه طرفَ خميصةٍ له، فإذا اغتم كشفها عن وجهه وهو يقول: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» تقول عائشة: يحذر مثل الذي صنعوا)[(٢)].

قال الحافظ ابن حجر: (وكأنه ﷺ علم أنه مُرتحلٌ من ذلك المرض، فخاف أن يُعظمَ قبرهُ كما فعَلَ من مضى، فلعنُ اليهود والنصارى إشارةٌ إلى ذم من يفعلُ فعلهم)[(٣)].

٤- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما كان مرضُ النبي ﷺ تذاكر بعض نسائه كنيسةً بأرض الحبشةِ، يقالُ لها: مارية -وقد كانت أم سلمةَ وأم حبيبة قد أتتا أرض الحبشة- فذكرن من حُسْنِها وتصاويرها، قالت: [**فرفع النبي ﷺ رأسه**] فقال: «**أولئك إذا كان فيهم الرجلُ الصالحُ بنوا على قبره مسجداً ثم صوروا تلك الصور، أولئك شرارُ الخلقِ عند الله [يوم القيامة]**»[(٤)].

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي في «فتح الباري» (هذا الحديثُ يدلُّ على تحريم بناء المساجد على قبور الصالحين، وتصوير صورهم فيها كما يفعله النصارى)[(٥)].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٣٧)، ومسلم (٥٣٠).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٣٥) (٤٣٦)، ومسلم (٥٣١)، [«تحذير الساجد» (ص١١-١٢)].

(٣) انظر «تحذير الساجد» (ص١٢).

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٣٤١)، ومسلم (٥٢٨)، [«تحذير الساجد» (ص١٢-١٣)].

(٥) انظر «تحذير الساجد» (ص١٣).

٥- عن الحارث النجراني قال: سمعت النبيّ ﷺ قبل أن يموت بخمسٍ وهو يقول: «**ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك**»[1].

٦- عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنّ من شرار الناسِ من تُدركه الساعةُ وهم أحياءٌ، ومَنْ يتخذ القبور مساجد**»[2].

عباد الله! (إن كل من يتأمل في تلك الأحاديث الكريمة يظهر له بصورةٍ لا شك فيها أنّ اتخاذ القبور مساجدَ حرامٌ، بل كبيرةٌ من الكبائر؛ لأن اللعن الوارد فيها، ووصف المخالفين بأنهم شرار الخلق عند الله -تبارك وتعالى- لا يمكنُ أن يكون في حق من يرتكبُ ما ليس كبيرةً كما لا يخفى... وقد اتفقت المذاهب الأربعة على تحريم ذلك ومنهم من صرح بأنه كبيرةٌ)[3].

عباد الله! وإليكم هذه الشبهات والردُّ عليها:

قد يقولُ قائلٌ: إذا كان من المقرر شرعاً تحريمُ بناءِ المساجد على القبور، فهناك أمورٌ كثيرةٌ تدلُّ على خلاف ذلك منها:

(١) **صحيح**: أخرجه ابن ابي شيبة (٢/ ١٥٠)، وهو طرف من حديث عند مسلم (٥٣٢)، [«تحذير الساجد» (ص١٥)].

(٢) **صحيح**: أخرجه الإمام أحمد (١/ ٤٠٥)، وابن خزيمة (٧٨٩)، زابن حبان (٦٨٠٨)، والطبراني في «الكبير» (١٠/ ١٨٨)، [«تحذير الساجد» (ص١٨-١٩)].

(٣) انظر: «تحذير الساجد» (ص٣٣).

أولاً: قوله تبارك وتعالى في سورة الكهف: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾ [الكهف].

ووجهُ دلالةِ الآيةِ على ذلك: أن الذين قالوا هذا القول كانوا نصارى على ما هو مذكورٌ في كتب التفسير، فيكون اتخاذ المسجد على القبر من شريعتهم، وشريعةُ من قبلنا شريعةٌ لنا إذا حكاها الله تعالى ولم يعقبها بما يدل على ردها كما في هذه الآية الكريمة!!

ثانياً: كونُ قبر النبي ﷺ في مسجده الشريف، ولو كان ذلك لا يجوز لما دفنوه ﷺ في مسجده.

ثالثاً: زعم بعضهم أن المنع من اتخاذ القبور مساجد إنما كان لعلة خشية الافتتان بالمقبور، ثم زالت برسوخ التوحيد في قلوب المؤمنين، فزال المنع.

فكيف يكون التوفيق بين هذه الأمور وبين التحريم المذكور؟

الجواب عن الشبهة الأولى:

قال الشيخ الألباني -رحمه الله- والجواب عن الشبهة الأولى من ثلاثة وجوه:

الأول: أنّ الصحيح المتقرر في علم الأصول أن شريعة مَن قبلنا ليست شريعةً لنا، لأدلة كثيرة منها.

قوله ﷺ: «**أعطيتُ خمساً لم يُعطهن أحدٌ من الأنبياء قبلي** .. -فذكر في أخرها- **وكان النبيُّ يُبعثُ إلى قومه خاصةً، وبُعثت إلى الناسِ كافةً**»[1].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٣٨)، ومسلم (٥٢١).

فإذا تبين هذا فلسنا مُلزمين بالأخذ بها في الآية لو كانت تدلُّ على أن جواز بناءِ المسجد على القبرِ كان شريعةً لمن قبلنا.

الوجه الثاني: هب أن الصواب قول من قال: «شريعة من قبلنا شريعةٌ لنا» فذلك مشروطٌ عندهم بما إذا لم يردْ في شرعنا ما يخالفه، وهذا الشرط معدومٌ هنا، لأنّ الأحاديث تواترتْ في النهي عن البناء المذكور كما سبق فذلك دليلٌ على أن ما في الآية ليس شريعة لنا.

الوجه الثالث: لا نُسلِّم أن الآية تفيدُ أن ذلك كان شريعةٌ لمن قبلنا غاية ما فيها أن جماعة من الناس قالوا: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ۝٢١﴾ [الكهف] فليس فيها التصريح بأنهم كانوا مؤمنين، وعلى التسليم فليس فيها أنهم كانوا مؤمنين صالحين، متمسكين بشريعة نبي مرسلٍ، بل الظاهر خلافُ ذلك.

الجوابُ عن الشبهة الثانية:

قال الشيخ الألباني -رحمه الله-: ثم اعلم أن الحكم السابق يشملُ كلّ المساجد، كبيرها وصغيرها، قديمها وحديثها، لعموم الأدلة، فلا يُستثنى من ذلك مسجدٌ فيه قبرٌ إلا المسجد النبوي الشريف؛ لأنّ له فضيلةً خاصةً لا توجدُ في شيءٍ من المساجد المبنية على القبور.

وذلك لقوله ﷺ: (**«صلاةٌ في مسجدي هذا خيرٌ من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام» [فإنه أفضل]**)(١).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (١١٩٠)، ومسلم (١٣٩٤)، [«الثمر المستطاب» (ص٥١٥)].

ولقوله ﷺ أيضاً: «**ما بين بيتي ومنبري روضةٌ من رياض الجنة**»[١].

ولغير ذلك من الفضائل، فلو قيل بكراهةِ الصلاة فيه كان معنى ذلك تسويته مع غيره من المساجد، ورفع هذه الفضائل عنه، وهذا لا يجوز كما هو الظاهر ... فكما أن الصلاة أبيحت في هذه الأوقات لأنّ في المنع منها تضيعاً لها بحيث لا يمكن استدراك فضلها لفوات وقتها، فكذلك يقال في الصلاة في مسجده ﷺ ثم وجدت ابن تيمية صرح بهذا فقال في كتابه: «الجواب الباهر في زوار المقابر» (ص٢٢/ ١-٢):

«والصلاة في المساجد المبنية على القبور منهيّ عنها مطلقاً، بخلاف مسجده ﷺ فإن الصلاة فيه بألف صلاةٍ، فإنه أُسس على التقوى، وكانت حُرمته في حياته ﷺ وحياة خلفائه الراشدين قبل دخول الحجرة فيه وإنما أُدخلت بعد انقراضِ عصر الصحابة».

ثم قال: (٦٧/ ١-٦٩/ ٢): «وكان المسجد قبل دخول الحجرة فيه فاضلاً، وكانت فضيلة المسجد بأنّ النبيّ ﷺ بناه لنفسه وللمؤمنين، يصلي لله هو والمؤمنون إلى يوم القيامة، ففضل بنيانه له، فكيف وقد قال: «**صلاة في مسجدي هذا خيرٌ من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام**»[٢].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (١١٩٥)، ومسلم (١٣٩٠).

(٢) **صحيح**: تقدم تخريجه (ص٢٠٥).

وقال ﷺ: «**لا تُشدّ الرحالُ إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرامِ، ومسجدِ الأقصى، ومسجدي هذا**»(١).

وهذه الفضيلةُ ثابتة له قبل أن يدخل فيه الحجرة، فلا يجوزُ أن يظن أنه صار بدخول الحجرة فيه أفضل مما كان، وهم لم يقصدوا دخول الحجرة فيه، وإنما قصدوا توسيعه بإدخال حجر أزواج النبي ﷺ، فدخلت الحجرة فيه ضرورةً، مع كراهة من كره ذلك من السلف(٢).

الجواب عن الشبهة الثالثة:

وهي الزعمُ بأن المنع إنما كان لعلةٍ، وهي خشيةُ الافتتان بالمقبور، وقد زالت فزال المنع!!

قال الشيخ الألباني -رحمه الله-: لا أعلمُ أحداً من العلماء ذهبَ إلى القولِ بهذه الشبهةِ إلا أهلُ البدع.

ومن نظر إلى المساجد التي بنيت على قبور الصالحين يرى عجباً من الشرك والكفرِ فهناك الدعاءُ لغير الله والذبح لغير الله والاستغاثة بغير الله.

وأما زعمهم أن العلة انتفت برسوخ الإيمان في نفوس المؤمنين .. الخ فهو زعم باطلٌ أيضاً وبيانه من وجوه:

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٩٩٥)، ومسلم (٨٢٧).

(٢) «تحذير الساجد» (ص١٣٣-١٣٨) بتصرف.

الأول: أن الزعم بُني على أصل باطل، وهو أن الإيمان بأن الله هو المنفرد بالخلق والإيجاد كافٍ في تحقيق الإيمان المنجي عند الله -تبارك وتعالى- وليس كذلك فإن هذا التوحيد وهو المعروف عند العلماء توحيد الربوبية، كان يؤمن به المشركون الذين بُعث إليهم رسول الله ﷺ كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان:٢٥].

ومع ذلك فلم ينفعهم هذا التوحيد شيئاً، لأنهم كفروا بتوحيد الألوهية والعبادة، وأنكروه على النبي ﷺ أشد الإنكار، بقولهم فيما حكاه الله عنهم: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٥)﴾ [ص]. ومن مقتضيات هذا التوحيد الذي أنكروه ترك الاستغاثة والاستعانة بغير الله، وترك الدعاء والذبح لغير الله، وغير ذلك مما هو خاص بالله تعالى من العبادات، فمن جعل شيئاً من ذلك لغير الله تبارك وتعالى فقد أشرك به، وجعل له نداً وإن شهد له بتوحيد الربوبية، فالإيمان المنجي إنما هو الجمعُ بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وإفراد الله بذلك.

الوجه الثاني: علمت مما سبقَ مِنَ الأحاديث أن النبي ﷺ حذر أمته من اتخاذ المساجد على القبور في آخر حياته، بل في مرضِ موته، فمتى زالت العلة التي ذكرها؟

الوجه الثالث: أن في بعض الأحاديث المتقدمة باستمرار الحكم إلى قيام الساعة.

الوجه الرابع: أن الصحابة رضي الله عنهم إنما دفنوه في حجرته ﷺ خشية أن يتخذ قبره مسجداً[(١)].

(١) انظر: «تحذير الساجد» (ص١١٣-١١٧) بتصرف.

رابعاً: ومن الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من قصةِ أصحاب الكهفِ:

الفرارُ إلى الله تعالى.

قال القرطبي في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الكهف].

هذه الآية صريحة في الفرار بالدين وهجرةِ الأهلِ والبنينِ والقراباتِ والأصدقاءِ والأوطانِ والأموالِ خوف الفتنة وما يلقاه الإنسان من المحنة.

وقد خرج النبي ﷺ فاراً بدينه، وكذلك أصحابه، وهجروا أوطانهم، وتركوا أرضهم وديارهم وأهاليهم وأولادهم وقراباتهم وإخوانهم، رجاء السلامة بالدين والنجاة من فتنة الكافرين.

فسُكنى الجبال ودخول الغيران، والعزلة عن الخلق والانفراد بالخالق، وجواز الفرار من الظالم هي سنة الأنبياء صلوات الله عليهم والأولياء، وقد فضل رسول الله ﷺ العزلة، وفضّلها جماعةٌ من العلماء لا سيما عند ظهور الفتن وفساد الناس.

وقد نص الله تعالى عليها في كتابه فقال: ﴿فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ [الكهف:١٦]

قال العلماء: الاعتزال عن الناس يكون مرة في الجبال والشعاب، ومرة في السواحل والرباط، ومرة في البيوت، وقد جاء في الخبر: «إذا كانت الفتنة فأخف مكانك وكُفّ لسانك» ولم يخص موضعاً من موضع وقد جعلت طائفة من العلماء العزلة اعتزال الشر وأهله بقلبك وعملك، إن كنت بين أظهرهم.

وقال ابن المبارك في تفسير العزلة: أن تكون مع القوم فإذا خاضوا في ذكر الله فخض معهم، وإن خاضوا في غير ذلك فاسكت.

قلت: أحوالُ الناسِ في هذا الباب تختلف، فرُبّ رجل تكون له قوةً على سكنى الكهوف والغيران في الجبال، وهي أرفع الأحوال لأنها الحالة التي اختارها الله لنبيه ﷺ في بداية أمره، ونص عليها في كتابه مخبراً عن الفتية فقال: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ [الكهف:١٦] ورُبّ رجل تكونُ العزلة له في بيته أخفُّ عليه وأسهل؛ وقد اعتزل رجال من أهل بدر فلزموا بيوتهم بعد قتل عثمان فلم يخرجوا إلا إلى قبورهم ورُب رجلٍ متوسط بينهما فيكون له من القوة ما يصبر بها على مخالطة الناس وأذاهم، فهو معهم في الظاهر ومخالف لهم في الباطن.

وذكر ابن المبارك حدثنا وُهَيب بن الورد قال: (جاء رجل إلى وهب بن منبه فقال: إن الناس وقعوا فيما فيه وقعوا! وقد حدثت نفسي ألا أخالطهم فقال: لا تفعلْ! إنه لا بدّ لك من الناس، ولا بدّ لهم منك، ولك إليهم حوائج ولهم إليك حوائج ولكن كن فيهم أصمّ سميعاً، أعمى بصيراً، سكوتاً نطوقاً) وقد قيل: إن كل موضع يبعد عن الناس فهو داخل في معنى الجبال والشعاب؛ مثل الاعتكاف في المساجد، ولزوم السواحل للرباط والذكر، ولزوم البيوت فراراً عن شرور الناس.

قال عقبةُ بنُ عامر لرسول الله ﷺ يا رسول الله ما النجاة؟

فقال: «**أملِك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك**[1]» وقال ﷺ: «**يأتي على الناس زمانٌ، خير مال الرجل المسلم الغنم، يتبعُ بها شعفَ الجبالِ، ومواقعَ القطر، يفرّ بدينه من الفتن**»[2].

---

(١) **صحيح**:أخرجه الترمذي (٢٤٠٦)، وأحمد (٥/ ٢٥٩)، والبيهقي في «الشعب» (١/ ٤٩٢)، [«صحيح الجامع» (١٣٩٢)].

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٤٩٥).

والحق في هذه المسألة: أن العزلة تختلف باختلاف الناس فإذا كان الرجل قوي الإيمان عالماً بشرع الله -عز وجل- يستطيعُ أن يُعلِّمَ الناس من حوله ويؤثر فيهم فهذا يستحبُّ له أن يخالط الناس ..

وقد قال ﷺ: «**المؤمن الذي يخالط الناس ويصبرُ على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبرُ على أذاهم**»(١).

وإذا كان الرجلُ ضعيف الإيمان يخشى على نفسه من ضياع إيمانه ودينه إذا خالط الناس ... فهذا يستحبُّ له العزلة.

ولقد كان الرجل من سلفنا الصالح يخالط الناس في الطاعاتِ كصلاةِ الجماعة والجمعةِ والعيدين وتشييع الجنازةِ وعيادة المريضِ ودروسِ العلم.

وكان يعتزلُ الناس في أي معصية لله -عز وجل- وكذلك في فضولِ المباحات لئلا يُضيع أغلى ساعات عمرِه التي سيسأله الله -عز وجل- عنها يوم القيامة(٢).

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٥٠٧)، وابن ماجه (٤٠٣٢)، [«صحيح الجامع» (٦٦٥١)].
(٢) انظر: «قصص القرآن» أبو عمار (ص١٥٤-١٥٦).

١٥

عاشراً: قصة ذي القرنين

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾﴾ [طه].

وقال تعالى: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾ [الكهف:١٣]

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدة من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **الفرقان من قصص القرآن دروس وعظاتٌ وعبرٌ**.

أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **قصة ذي القرنين**

عباد الله! يخبرنا ربنا -جل وعلا- في كتابه عن قصة ذي القرنين فيقول سبحانه وتعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾﴾ [الكهف]

عباد الله! قصةُ ذي القرنين مظهرٌ من مظاهرِ الإيمان يتبينُ لنا من خلالها كيف يدفع الإيمان صاحبه إلى كل خيرٍ. وكلامنا عن قصة ذي القرنين سيكون حول العناصر التالية:

العنصر الأول: من هو ذو القرنين؟

العنصر الثاني: ذو القرنين ورحلاته الثلاثة إلى المغرب والمشرقِ وإلى ما بين السدين.

العصنر الثالثُ: يأجوجُ ومأجوجُ حقيقةٌ أم خيال.

العنصر الأولُ: من هو ذو القرنين؟

عباد الله! المصادر الأساسية والثابتة والصحيحة التي نبحث فيها عن ذي القرنين هي: الكتاب والسنة .

فالكتاب هو كلام الله: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت]

والسنة: هي كلام النبي ﷺ الذي قال فيه رب العزة: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم]

والسنة: وحيٌّ من الله، قال ﷺ: «**ألا إني أوتيتُ القرآن ومثلهُ معه**[1]».

عباد الله! أما في كتاب الله فلا يوجد ذكر لذي القرنين إلا في سورة الكهف وفي الآيات التي نتحدث عنها، وأما في السنة فلا يوجد حديثٌ عن رسول الله يتحدث فيه عن ذي القرنين.

إذن فتعالوا بنا يا عباد الله! لنتعرف على ذي القرنين من خلال الآيات القرآنية التي تتحدث عنه في سورة الكهف:

قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾ أي: سأخبركم عنه بآيات من القرآن فيها دليل على صدق نبوته ﷺ، وفيها دليل على أن القرآن كلام الله، وفيها دليل على أنه لا يعلم الغيب الا الله.

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾﴾ إذن فهو ملكٌ مؤمنٌ مكَّنه الله في الأرض وأعطاه من كل أسباب الملكِ والقدرةِ التي بلغ بها مشارق الأرض ومغاربها.

---

(١) **صحيح**:أخرجه أحمد (٤/ ١٣٠)، وأبو داود (٤٦٠٤)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٢٨٣)، [«المشكاة» (١٦٣)].

ذو القرنين استفاد من كل أسباب التمكين التي منَّ الله عليه بها فوصل إلى المغرب وإلى المشرق وإلى ما بين السدين قال تعالى: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾.

ذو القرنين كان ملكاً عدلاً يُقرب أهل الأيمان ويغرب أهل الفسوق والعصيان وهذا يظهر من قوله ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾.

ذو القرنين كان ملكاً صالحاً عفيفاً لا يتطلع إلى ما في أيدي الناس، فإنه لما قيل له: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ قال: ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ﴾ وهذا يذكرنا بما قاله سليمان عليه السلام عندما أرسلت له بلقيس بالهدايا: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ [النمل:٣٦]

ذو القرنين كان ملكاً مؤمناً عدلاً متواضعا لله -عز وجل- معترفاً بنعمة الله عليه ولذلك لما بني السدَّ لم يأخذه البطر والغرور ولكنه ذكر الله فشكره وردَّ التوفيق في بناء السد لله -عز وجل- وتبرأ من قوته إلى قوة الله فقال: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى﴾ [الكهف:٩٨] وهذه أخلاق الأنبياء والصالحين.

فهذا سليمان عليه السلام لما رأى عرش بلقيس مستقراً عنده قال: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى﴾ [النمل:٤٠]

ورسولنا ﷺ لما دخل مكة فاتحاً وصفه أصحابه أنه دخلها وقد انحنى رأسهُ وظهرهُ حتى كادت لحيته أن تصيب ركبته من شدة خشوعه وخضوعه لله- عزوجل- شكراً لله في هذا المقام، مقام النصر.

العنصر الثاني:ذو القرنين ورحلاته الثلاث

الرحلة الأولى: رحلته إلى المغرب.

قالى تعالى: ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الكهف].

عباد الله! سلك ذو القرنين طريقاً يوصله إلى المغرب

قال ابن كثير -رحمه الله -:

قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ﴾ أي:فسلك طريقاً حتى وصل إلى أقصى ما يسلك فيه من الأرض من ناحية المغرب.

وقوله تعالى: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ أي: رأى الشمس في منظره تغرب في البحر المحيط، وهذا شأن من انتهى إلى ساحله، يراها كأنها تغرب فيه.

وقولة تعالى: ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾ أي: أمة من الأمم، ذكروا أنها كانت أمةٌ عظيمةٌ من بني آدم.

وقوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾﴾ معنى هذا: أن الله تعالى مكَّنهُ منهم، وحكَّمه فيهم، وأظفره بهم، وخيّره إنْ شاء قتل وسبا، وإنْ شاء مَنَّ أو فدى، فعُرِف عدله وإيمانه فيما أبداه، وبيانه في قوله: ﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ أي: استمر على كفره وشركه بربه ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ﴾ أي: عذاباً أليماً يغشاهم من جميع جهاتهم.

وقوله: ﴿ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ أي: شديداً بليغاً وجيعاً أليماً، وفي هذا إثبات الميعاد والجزاء.

وقوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ﴾ أي: تابعنا على ما ندعوه إليه من عبادة الله وحده لا شريك له: ﴿فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ﴾ أي: في الدار الآخرة عند الله -عز وجل-: ﴿وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ أي معروفاً في الدنيا[1].

الرحلة الثانية: رحلته إلى المشرق.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾﴾

قال ابن كثير -رحمه الله:-

يقول تعالى: ثم سلك طريقا فسار من مغرب الشمس إلى مطلعها،وكان كلما مر بأمةٍ قهرهم وغلبهم ودعاهم إلى الله -عز وجل-، فإن أطاعوه وإلا أذلهم وأرغم آنافهم واستباح أموالهم وأمتعتهم واستخدم منهم جنداً له، على قتال الإقليم المتاخم لهم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ﴾ أي أمة ﴿لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾﴾ أي ليس لهم بناء يكنهم ولا أشجار تظلهم وتسترهم من حر الشمس.....

وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾﴾ أي نحن مطلعون على جميع أحواله وأحوال جيشه، لا يخفى علينا منها شيء وإن تفرقت أممهم وتقطعت بهم الأرض فإنه تعالى: ﴿لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾﴾[2].

(١) «مختصر تفسير ابن كثير» (٣/ ٧١).

(٢) «مختصر تفسير ابن كثير» (٣/ ٩٢).

الرحلة الثالثة: رحلة إلى السدين.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَـٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾.

قال الشيخ السعدي -رحمة الله - في «تفسيره»:

في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾.

(قال المفسرون: ذهب متوجهاً من المشرق قاصداً للشمال، فوصل إلى ما بين السدين، وهما سدان، كانا سلاسل جبال معروفين في ذلك الزمان، سداً بين يأجوج ومأجوج وبين الناس، وجد من دون السدين قوماً لا يكادون يفقهون قولاً، لعجمة ألسنتهم، واستعجام أذهانهم وقلوبهم وقد أعطى الله ذا القرنين من الأسباب العلمية، ما فقه به ألسنة أولئك القوم وفقههم، وراجعهم وراجعوه فاشتكوا إليه ضرر يأجوج ومأجوج وهما: أمتان عظيمتان من بني آدم فقالوا: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالقتل وأخذ الأموال وغيرذلك ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾ أي: جُعْلاً، ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ودل ذلك على عدم اقتدارهم بأنفسهم على بنيان السد، وعرفوا اقتدار ذي القرنين عليه، فبذلوا له أجرة ليفعل ذلك، وذكروا له السبب الداعي، وهو: إفسادهم في الأرض، فلم يكن ذو القرنين ذا طمع، ولا

رغبة في الدنيا ولا تاركاً لإصلاح أحوال الرعية، بل كان قصده الإصلاح فلذلك أجاب طلبتهم لما فيها من المصلحة، ولم يأخذ منهم أجرة، وشكر ربه على تمكينه واقتداره، فقال لهم: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ أي: مما تبذلون لي وتعطوني، وإنما أطلب منكم أن تعينوني بقوة منكم بأيديكم ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾﴾ أي: مانعاً من عبورهم عليكم. ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ أي: قطع الحديد .فأعطوه ذلك ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾ أي: الجبلين اللذين بني بينها السد ﴿قَالَ انفُخُوا﴾ النار أي: أوقدوها إيقاداً عظيماً، واستعملوا لها المنافيخ لتشتد، فتذيب النحاس، فلما ذاب النحاس، الذي يريد أن يلصقه بين زبر الحديد ﴿قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾﴾ أي: نحاساً مذاباً، فأفرغ عليه القطر، فاستحكم السد استحكاماً هائلاً، وامتنع به من وراءه من الناس، من ضرر يأجوج ومأجوج ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾ أي: فما لهم استطاعة ولا قدرة على الصعود عليه لارتفاعه، ولا على نقبه لإحكامه وقوته، فلما فعل هذا الفعل الجميل والأثر الجليل، أضاف النعمة إلى موليها وقال: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي﴾ [الكهف:٩٨] أي: من فضله وإحسانه علي، وهذه حال الخلفاء الصالحين، إذا منَّ الله عليهم بالنعم الجليلة ازداد شكرهم وإقرارهم واعترافهم بنعمة الله، كما قال سليمان عليه السلام لما حضر عنده عرش ملكة سبأ مع البعد العظيم قال: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل:٤٠] بخلاف أهل التجبر والتكبر والعلو في الأرض فإن النعم الكبار تزيدهم أشراً وبطراً.

كما قال قارون – لما آتاه الله الكنوز، ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة قال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾، وقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ أي: لخروج يأجوج ومأجوج

﴿جَعَلَهُۥ﴾ أي: ذلك السد المحكم المتقن ﴿دَكَّآءَ﴾ أي: دكه فانهدم، واستوى هو والأرض ﴿وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ٩٨﴾).

العنصر الثالث: يأجوج ومأجوج حقيقة أم خيال.

عباد الله! يأجوج ومأجوج حقيقة ويظهر ذلك مما يلي:

أولاً: يأجوج ومأجوج وجودهم وخروجهم في آخر الزمان ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة.

أما في كتاب الله تعالى: ففي قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦﴾ [الأنبياء]، وفي قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الكهف: ٩٤].

وأما في السنة: يقول حذيفة بن أُسيد الغفاري رضي الله عنه اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر، فقال: «**ما تذاكرون؟**»، قالوا: نذكر الساعة، قال: «**إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات**» -وذكر منها صلى الله عليه وسلم-: «**ويأجوج ومأجوج**»(١).

وأما الإجماع: فقد أجمعت الأمة الإسلاميه سلفاً وخلفاً أن خروج يأجوج ومأجوج في آخر الزمان حقٌّ لا ريب فيه.

عباد الله! فمن أنكر خروج يأجوج ومأجوج في آخر الزمان بعد هذه الأدلة فهو زنديق ضال جاهلٌ.

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٠١).

ثانياً: يأجوج ومأجوج من البشر من ذرية آدم عليه السلام وهما أمتان كثيرتا العدد.

١- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يقول عز وجل: يا آدم! فيقول:لبيك وسعديك! والخير في يديك! قال يقول: أخرج بعث النار** - أي: ميز أهل النار من غيرهم- **قال: وما بعث النار؟ قال: من كلِّ ألفٍ تسعمائة وتسعة وتسعين؛ قال: فذلك حين يشيب الصغيرُ وتضع كل ذات حملٍ حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد**».

قال: فاشتد ذلك عليهم .قالوا يا رسول الله! أيُّنا ذاك الرجل؟

فقال: «**أبشروا. فإن من يأجوج ومأجوج ألف ومنكم رجلٌ**». قال ثم قال رسول الله: «**والذي نفسي بيده. إني لأطمع أن تكونوا ربع أهل الجنة**» فحمدنا الله وكبرنا، ثم قال: «**والذي نفسي بيده. إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة**» فحمدنا الله وكبرنا. ثم قال: «**والذي نفسي بيده! إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة. إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود أو كالرَّقمة** -أي: العلامة- **في ذراع الحمار**»[1].

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفرٍ فتفاوت بين أصحابه في السير، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته بهاتين الآيتين: ﴿**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٞ ١**﴾ -إلى قوله-: ﴿**وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢**﴾ [الحج]

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٥٣٠)، ومسلم (٢٢٢) واللفظ له.

فلما سمع ذلك أصحابه حثوا المطيَّ وعرفوا أنه عند قول يقولَه، فقال: «**هل تدرون أيُّ يوم ذلك؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**ذلك يومٌ يُنادي الله فيه آدم فيناديه ربه فيقول: يا آدم! ابعث بعث النار، فيقول: أي ربِّ! وما بعث النار؟ فيقول: مِن كلِّ ألفٍ تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار، وواحد إلى الجنة**» فيئس القوم حتى ما أَبْدَوا بضاحكةٍ، فلما رأى رسول الله ﷺ الذي بأصحابه قال: «**اعملوا وأبشروا؛ فوالذي نفسُ محمدٍ بيده، إنكم لمع خليقتين ما كانتا مع شيء إلا كثّرتاهُ، يأجوج ومأجوج، ومن مات من بني آدم، وبني إبليس**».

قال: فسّرِى عن القوم بعض الذي يجدون، قال: «**اعملوا وأبشروا؛ فوالذي نفس محمد بيده ما أنتم في الناس إلا كالشامةِ في جنب البعير أو كالرقمة في ذراع الدابة**»(١).

ثالثا: يأجوج ومأجوج فتنةٌ وشرٌّ وفسادٌ في الأرض:

أ- يأجوج ومأجوج فتنةٌ عظيمةٌ لا تقل فتنتهم عن فتنة الدجال؛ فالدجال يدعى الألوهية، وهم يدعون قدرتهم على قتل أهل الأرض وأهل السماء.

ب- يأجوج ومأجوج شرٌّ.

عن زينب بنت جحش رضي الله عنها: أن النبي ﷺ دخل عليها فزعاً يقول: «**لا إله إلا الله ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه**»، وحلق بأصبعه الإبهام والتي تليها.

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣١٦٩)، [«صحيح الترمذي» (٢٥٣٤)].

قالت زينب بنت جحش: فقلت: يارسول الله! أنهلك وفينا الصالحون؟

قال: «**نعم إذا كثر الخبث**»(١).

ج- يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض.

قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف:٩٤].

رابعاً: يأجوج ومأجوج يحاولون كل يوم الخروج من السد، ولكن لا يخرجون إلا بإذن الله، في الوقت الذي يريده الله.

قال ﷺ: «**إن يأجوج ومأجوج يحفرون كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فسنحفره غداً، فيعيدُه الله أشدَّ ما كان حتى إذا بلغت مُدَّتُهم، وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فسنحفرهُ غداً إن شاء الله تعالى، واستثنوا فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس..**»(٢).

خامساً: خروج يأجوجُ ومأجوجُ في آخر الزمان علامةٌ من علاماتِ الساعة الكبرى

الدليلُ من كتاب ربنا: قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ [الأنبياء:٩٦-٩٧]، وقال تعالى: ﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾﴾ [الكهف].

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٣٤٦)، ومسلم (٢٨٨٠).

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣١٥٣)، وابن ماجه (٤٠٨٠)، وأحمد (٢/ ٥١٠)، [«الصحيحة» (١٧٣٥)].

الدليل من السنة: فقد أخبر النبي ﷺ أصحابه أن الساعة لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات: وذكر منها «يأجوج ومأجوج».

١٦

الحادي عشر: الدروس والعظاتُ والعبر التي تؤخذ من قصة ذي القرنين

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١١١)﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦)﴾ [الأعراف].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدة من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **الفرقان من قصص القرآن دروس وعظاتٌ وعبرٌ**.

أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **الدروس والعظاتُ والعبرُ التي تؤخذ من قصة ذي القرنين.**

عباد الله! قصة ذي القرنين التي أخبرنا الله عنها في كتابه في سورة الكهف والتي تكلمنا عنها في الجمعة الماضية فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: التمكين في الأرض والملكُ فضلُ الله يؤتيه من يشاء

وهذا يؤخذ من قصة ذي القرنين، فالله -عز وجل- هو الذي مكّن لذي القرنين في الأرض ومَنّ عليه بكلِّ أسبابِ التمكين.

قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾﴾ [الكهف].

عباد الله! التمكين في الأرضوالملك فضلُ الله يؤتيه من يشاء، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران] وقال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [القصص].

عباد الله! وقد جعل الله للتمكين من الأرض والنصر على الأعداء أسباب، فمن أتى بها وحققها مكّن الله له في الأرض ونصره، ومن هذه الأسباب:

١- الإيمان الصادقُ والعملُ الصالحُ والابتعادُ عن كل مظاهر الشرك.

قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور].

وقال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر].

عباد الله! فبالإيمان والعمل الصالح يكون التمكين في الأرض وذلك لأنه:

إذا وُجِدَ الإيمانُ كانت الإخوة بين المؤمنين قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠] وقال ﷺ: «**المسلمُ أخو المسلم**[١]».

- وإذا وُجد الإيمان كان الترابطُ القويُّ بين المؤمنين قال ﷺ: («**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضُهُ بعضاً**» وشبك بين أصابعه)[٢].
- وإذا وجدَ الإيمان دافعَ الله عن المؤمنين قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج:٣٨].
- وإذا وُجدَ الإيمان كانت العزة لأهله قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون].
- وإذا وُجدَ الإيمان كفّ الله شرَّ الكافرين على المؤمنين قال تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾ [النساء].
- وإذا وُجدَ الإيمان كان الأمنُ والأمان لأهله قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ -أي: بشرك- ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٤٤٦)، ومسلم (٢٥٨٥).

• وإذا وُجدَ الإيمان كان الثبات لأهله قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [إبراهيم:٢٧]

عباد الله! فالإيمانُ الصادقُ والعملُ الصالحُ والابتعادُ عن كلّ مظاهر الشرك سببٌ للتمكين في الأرض وسببٌ للنصر على الأعداء وهذا ما حرصَ عليه ذو القرنين فلقد كان مَلِكًا مؤمنًا صالحًا عادلًا عفيفًا متواضعًا يدعو الناس إلى الإيمان بالله والعمل الصالح ويحذرهم من كل مظاهر الشركِ والكفر وهذا يُفهم من قوله: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ -أي: أشرك وكفر- ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الكهف].

٢- أن ينصرَ المؤمنون الله في أنفسهم.

ويكون ذلك بأن يأتمروا إذا أمرهم وينتهوا إذا نهاهم.

قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [محمد].

٣- التمسكُ بمنهاجِ النبوةِ.

يقول ﷺ: «**تكونُ النبوةُ فيكم ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافةٌ على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعُها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون مُلكاً عاضّاً، فيكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعُها**

إذا شاء الله أن يرفعها، ثم تكون ملكاً جبريّاً، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعُها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافةٌ على منهاج النبوة، ثم سكت»[١].

وقال ﷺ في وصيته البليغة: «**أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن تأمَّر عليكم عبدٌ وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ**[٢]».

وقال ﷺ: «**وتفترق أمتي على ثلاثٍ وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة**» قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**[٣]».

فالصحابةُ - رضي الله عنهم - هم المتمسكون بمنهاج النبوة، وهم حزبُ الله الغالبُ المنتصرُ الذي مكّن الله له في الأرض، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة]، فالذين يتمسكون بمنهاج النبوة الذي كان عليه الصحابة رضي الله عنهم هم الذين يمكنهم الله في الأرض وينصرهم على عدوهم. أما الذين تركوا منهاج النبوة وسبوا الصحابة رضي الله عنهم فهم حزبُ الشيطان وهم الخاسرون.

---

(١) حسن: أخرجه أحمد (٤/ ٢٧٣)، [«الصحيحة» (٥)].

(٢) **صحيح**:أخرجه البيهقي في «السنن» (١٠/ ١١٤)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد (٤/ ١٢٦)، والحاكم (١/ ١٧٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٧)].

(٣) **حسن**:أخرجه الترمذي (٢٦٤١)، والحاكم (١/ ٢١٨)، والسنة للمروزي (٥٩)، [«صحيح الجامع» (٥٣٤٣)].

٤- ومن أسباب التمكين في الأرض: الإخلاصُ والدعاءُ.

قال ﷺ: «**إنما ينصرُ الله هذه الأمة بضعيفها؛ بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم**»(١).

وكان ﷺ في كل غزواته يدعُ ربه أن ينصرهُ على عدوهِ فقال ﷺ في غزوة الخندق يدعو على أحزاب المشركين: «**اللهم اهزمهم وزلزلهم**(٢)».

٥- الإعدادُ الإيماني والمادي والأخذُ بكلِّ أسباب التمكين والنصرِ.

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفال:٦٠]

وقد أخذ النبيُّ ﷺ بكلِّ أسبابِ النصرِ والتمكين ويظهرُ ذلك في كل غزواته عامةً وفي غزوة حنين وفتح مكة والأحزاب خاصةً فالأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل على الله، والإنسان يأخذُ بالأسبابِ بجوارحهِ ويتوكلُ على ربِّ الأسبابِ بقلبه.

ثانياً: ومن الدروس والعظات والعبر التي تُؤخذ من قصة ذي القرنين: لا يستوون.

وهذا يؤخذ من فعل ذي القرنين في رعيته فإنه لم يسو بين الصالح والطالح كما قال تعالى على لسانه: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الكهف]. فذو القرنين لم يسو في رعيته بين الصالح والطالح ولا بين المؤمن والكافر.

(١) **صحيح**: أخرجه النسائي في «المجتبى» (٣١٧٨)، وفي الكبرى (٣/ ٣٠)، والبيهقي في «السنن» (٦/ ٣٣١)، وأبو نعيم (٥/ ٢٩)، [«صحيح الجامع» (٢٣٨٨)].

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٩٣٣)، ومسلم (١٧٤٢).

عباد الله! كيف لا؟ والله سبحانه وتعالى لم يسو بين المؤمنين والفاسقين، ولا بين الصالحين والطالحين، ولا بين المتقين والفجار.

قال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [القلم]، وقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص]، وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية]، وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا ۚ لَا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ۖ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [السجدة].

عباد الله! إنهم لا يستوون في الدنيا ولا في الآخرة.

- فالذين آمنوا وعملوا الصالحات جعل الله لهم في الدنيا مخرجاً ورزقهم من حيث لم يحتسبوا ودافع عنهم ومكنهم في الأرض، وفي الآخرة يسكنهم الجنة دار النعيم ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر] حيث يُعطيهم اللهُ عز وجل فيها من النعيمِ ما لا عينٌ رأت ولا أُذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر.
- وأما الذين فسقوا وكفروا وبارزوا الله بالمعاصي فيذلهم الله في الدنيا ويعذبهم فيها، وفي الآخرة يُسكنهم النار دار البوار التي أعد الله تعالى لهم فيها عذاباً أليماً ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر].

ثالثاً: من الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من قصة ذي القرنين: كيف يحقق الأمنُ والأمانُ والإيمانُ بين الراعي والرعية؟

عباد الله! بالتعاونِ بين الراعي والرعية يكون الأمنُ والأمانُ والإيمان وهذا ما يؤخذ من فعل ذي القرنين في رعيته، فذو القرنين كان يدعو رعيته إلى الإيمان بالله وحده لا شريك له، ويوفرُ لهم الأمنَ والأمانَ، ويمنعُ عنهم الفساد والمفسدين في الأرض ويظهرُ ذلك من بنائِهِ للسدِّ الذي منع به عنهم فساد يأجوج ومأجوج، ويظهر أيضاً من قوله: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الكهف].

عباد الله! فالأمن والأمانُ والإيمانُ لا يكون من الراعي وحدهُ ولا يكونُ من الرعية وحدها ولكن يكونُ بالتعاون بين الراعي والرعية، ولذلك جاء الإسلامُ وجعل حقاً للرعية على الراعي، وحقاً للراعي على رعيته.

عباد الله! أما حقُّ الرعية على الراعي:

أولاً: أن يحكم فيهم بالعدل والحق ولا يظلمَهُم.

عباد الله! ولا يكون عدل ولا حق إلا في اتباع شريعة الله، ففي ظل تطبيق شرع الله يكون الأمن والأمان والإيمانُ ولذلك جاءت الأدلة من الكتاب والسنة تأمرُ بتطبيق شريعة الله على الذكر والأنثى والكبير والصغير والغني والفقير والشريف والوضيع والعبد والحر.

قال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص].

وقال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة].

وقال تعالى محذراً ولاة الأمور: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [المائدة]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة].

عباد الله! ولما جاء أسامةُ بن زيد -حِبُّ رسول الله ﷺ- يكلم رسول الله ﷺ في المرأة المخزومية التي سرقتْ؛ فغضبَ رسول الله ﷺ وقال له: «**أتشفعُ في حدٍّ من حدودِ الله؟!**» ثم قام ﷺ فاختطب ثم قال: «**إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحدّ وايم الله! لو أن فاطمة بنت محمدٍ سرقت لقطعتُ يدها**»(١).

ثانياً: ومن حق الرعية على الراعي أن ينصح لهم دائماً.

قال ﷺ: «**ما من أميرٍ يلي أمر المسلمين، ثم لا يجهدُ لهم وينصحُ إلا لم يدخل معهم الجنة**»(٢).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٤٧٥)، ومسلم (١٦٨٨).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧١٥١)، ومسلم (١٤٢) واللفظ له.

ثالثاً: ومن حق الرعية على الراعي أن لا يَغُشّهم.

قال ﷺ: «**ما من عبدٍ يسترعيه الله رعيةً، يموتُ يومَ يموتُ وهو غاشٌ لرعيته، إلا حرم الله عليه الجنة**»(١).

رابعاً: ومن حق الرعية على الراعي أن يرفق بهم ولا يشُقّ عليهم.

قال ﷺ: «**اللهم! من ولي من أمر أمتي شيئاً فشقّ عليهم فاشقُق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فَرَفق بهم، فارفق به**»(٢).

عباد الله! وأخبر النبي ﷺ أن كل راعٍ سيرجعُ إلى ربه، ويقفُ بين يدي ربه ليسأله عن رعيته التي استرعاه إياها.

قال ﷺ: «**كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته ...**»(٣).

عباد الله! وهذا ما فعله ذو القرنين مع رعيته فقد حكم فيهم بالعدل ووفر لهم الأمن والأمان ومنع المفسدين في الأرض ودعا رعيته إلى الإيمان بالله وذكر نفسه ورعيته بالإيمان باليوم الآخر.

عباد الله! أما حق الراعي على رعيته فهو أن يسمعوا ويطيعوا له ما لم يأمرهم بمعصية الله.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧١٥٠)، ومسلم (١٤٢) واللفظ له.

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٨٢٨).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩).

عباد الله! وقد جاءت الأدلة في الكتاب والسنة تأمر بذلك:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء] فطاعة ولاة الأمرِ -إذ لم يأمروا بمعصية الله- طاعة لله ولرسوله ﷺ وقربةٌ يتقربُ بها العبد إلى ربه.

قال ﷺ: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يُطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعصي الأمير فقد عصاني**»(١).

وقال ﷺ: «**على المرء المسلم السمعُ والطاعةُ، فيما أحبَّ وكره، إلا أن يؤمَرَ بمعصيةٍ، فإذا أُمِرَ بمعصيةٍ، فلا سمعَ ولا طاعة**»(٢).

وقال ﷺ: «**اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبدٌ حبشيٌّ، كأن رأسه زبيبة**»(٣).

وقال ﷺ: «**أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً**»(٤).

وهذا ما فعلته الرعية مع ذي القرنين فقد سمعوا له وأطاعوه فيما أمرهم به.

عباد الله! وإذا قصّر الراعي في حق رعيته ولم يعطها حقها، واستأثر الدنيا لنفسه، واقترف الذنوب والمعاصي، فهل للأمةِ أن تخرجَ عليه بالسيف؟ وهل

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٩٥٧)، ومسلم (١٨٣٥).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩) واللفظ له.

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧١٤٢).

(٤) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، [«صحيح سنن أبي داود» (٣٨٥١)].

لدعاة الاستعجال أن يذكروا عيوب الراعي على المنابر وفي المجالس لإثارة الناس عليه؟ الذي يجيب هو قول رسول الله ﷺ:

«**إنها ستكون بعدي أثرة** -أي: ولاةُ أمرٍ يأخذون الدنيا لهم- **وأمور تنكرونها**» قالوا: يا رسول الله! كيف تأمرُ من أدرك منا ذلك؟ قال: «**تؤدون الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم**»(١).

وسأل رجلٌ رسول الله ﷺ فقال: يا نبيّ الله! أرأيت إن قامتْ علينا أُمراءُ يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا، فما تأمرنا؟ فأعرض عنه ثم سأله ... فقال رسول الله ﷺ: «**اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حُمِّلوا وعليكم ما حُمّلتم**»(٢).

وقال ﷺ: «**خيارُ أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم** -أي: تدعون لهم- **ويصلون عليكم، وشرارُ أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم**». قال: قالوا: يا رسول الله! أفلا ننابذهم -أي: بالسيف- عند ذلك؟ قال: «**لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، لا، ما أقاموا فيكم الصلاة**» -أي: ما داموا يأذنون لكم أن تقيموا الصلاة، وتظهروا شعائر دينكم ولا يمنعونكم من الغدو إلى المساجد، فلا تخرجوا عليهم، ثم قال ﷺ: «**ألا من ولي عليه والٍ، فرآه يأتي شيئاً من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يداً من طاعة**»(٣).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٦٠٣)، ومسلم (١٨٤٣) واللفظ له.

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٨٤٦).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٨٥٥).

ولما ذكر النبي ﷺ لحذيفة الأئمة الذين لا يهتدون بهديه ولا يستنون بسنته: قال حذيفة: كيف أصنع يا رسول الله! إن أدركت ذلك؟ قال ﷺ: «**تسمعُ وتُطيعُ للأمير، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك، فاسمع وأطع**»(١).

رابعاً: من الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من قصة ذي القرنين: أن البعثَ بعد الموت حقٌّ لا ريب فيه.

وهذا يؤخذ من قصة ذي القرنين من قوله تعالى على لسان ذي القرنين: ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾﴾ [الكهف] ومن قوله: ﴿هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾ [الكهف].

عباد الله! البعثُ بعد الموت حقٌّ لا ريب فيه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج:٥-٧].

عباد الله! جميع الخلق سيردون إلى الله ليحاسبهم على أعمالهم، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾﴾ [غافر:٤٣]، وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [التوبة]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعام].

---

(١) **صحيح**: وهو طرف من حديث عند مسلم (١٨٤٧).

وقال تعالى في الحديث القدسي: «**يا عبادي! إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**»(١)

وقال ﷺ: «**ما منكم أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ...**»(٢) الحديث.

عباد الله! الإيمان بالبعث بعد الموت ركنٌ من أركان الإيمان والذي ينكرهُ كافرٌ بالله مخلدٌ في النارِ، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾﴾ [الرعد] وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء].

عباد الله! وهناك من بني آدم من ينكرُ البعثَ بعد الموت ومنهم من أقسم بالله أنه لا بعث بعد الموت. قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [النحل] وقال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾﴾ [مريم]

عباد الله! وقد أمر اللهُ رسوله ﷺ في ثلاثة مواضع في كتابه أن يقسم بالله أن البعث بعد الموت حقٌّ لا ريب فيه.

---

(١) **صحيح**: وهو طرف من حديث عند مسلم (٢٥٧٧).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٥١٢)، ومسلم (١٠١٦).

الموضع الأول: قال تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧﴾ [التغابن].

الموضع الثاني: قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾ [سبأ:٣].

الموضع الثالث: قال تعالى: ﴿وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ﴾ [يونس:٥٣].

١٧

الثاني عشر: قصة لقمان

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾ [الكهف].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران:٦٢]

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظِ التي بعنوان: **الفرقان من قصص القرآن دروس وعظاتٌ وعبر**

أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **قصة لقمان**

عباد الله! يخبرنا ربُنا -جل وعلا- في كتابه عن قصة لقمان فيقول سبحانه:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان].

عباد الله! قصةُ لقمان مظهرٌ من مظاهر الإيمان، يتبين لنا من خلالها كيف يدفعُ الإيمان صاحبه إلى كل خيرٍ ويمنعه من كل شرٍّ.

عباد الله! وكلامُنا عن قصةِ لقمانِ سيكونُ حول العناصر التالية:

العنصر الأول: لقمانُ والحكمةُ.

العنصر الثاني: لقمانُ يعظُ ابنَهُ فَيُحَذِرَهُ من كلِّ شرٍّ.

العنصر الثالث: لقمانُ يعظُ ابنَهُ فيأمُره بكلِّ خيرٍ.

العنصر الرابع: لقمانُ يربي ابنه على مراقبةِ الله -عز وجل-

العنصر الأول: لقمانُ والحكمةُ.

لقمان كان ولياً موصوفاً بالحكمة التي منَّ اللهُ بها عليه قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾.

والحكمةُ: هي القولُ المناسبُ للشخصِ المناسبِ في الوقتِ المناسبِ بالمقدارِ المناسبِ والأسلوب المناسبِ.

عباد الله! (مرّ رجلٌ بلقمان والناسُ عنده، فقال: ألستَ عبدَ بني فلان؟

قال: بلى.

قال: ألست الذي كنت ترعى عند جبل كذا؟

قال: بلى.

قال: فما الذي بلغ بك ما أرى؟

قال: تقوى الله، وصدقُ الحديثِ، وأداءُ الأمانةِ، وطولُ السكوتِ عمّا لا يعنيني)(١).

عباد الله! ومن حِكَمِ لقمان:

١ – قال: إن الله إذا استُودِعَ شيئاً حَفِظَهُ.

٢ – وقال: يا بُنيَّ! أكثرْ من قولِ: ربِّ اغفر لي. فإن للهِ ساعةً لا يَرُدُّ فيها سائلاً.

٣– قال: يا بُنيَّ! اتخذْ تقوى الله تجارةً، يأتيكَ الربحُ من غير بضاعةٍ.

٤ – وقال: يا بُنيَّ! مَن كذبَ ذهبَ ماءُ وجههِ، ومن ساء خُلُقُهُ كثر غمهُ، ونقلُ الصخورِ من موضِعها أيسرُ من إفهام مَنْ لا يفهم.

(١) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٥١٢).

٥- وقال: يا بُني! لا يأكل طعامَكَ إلا الأتقياءُ، وشاورْ في أمرك العلماءُ.

٦- وقال: يا بُني! إنّ الحكمةَ أجلستْ المساكين مجالس الملوك.

٧- وقال: يا بُني! إياك والديْن، فإنه ذُل في النهارِ وهمٌّ في الليل.

٨- وقال: يا بُني! تخيرْ المجالسَ على عينيكِ فإن وجدتَ قوماً يذكرون الله فاجلسْ معهم فإن كنت عالماً نفعَكَ علمك، وإن كنتَ جاهلاً علموك، ولعل الله أن يطلعَ عليهم برحمةٍ فتصيبك معهم، وإن وجدت قوماً لا يذكرون الله فلا تجلسْ معهم، فإن كنت عالماً لم ينفعك علمك، وإن كنت جاهلاً زادوك غياً، ولعلَ الله أن يطلعَ عليهم بنقمةٍ فتصيبك معهم.

٩- وقيل إنّ السيد الذي يعملُ عندهُ لقمانُ، قال له يوماً: اذبحْ لنا شاةً وائتني بأطيبَ مضغتين فيها، فأتاه باللسان والقلب، ثم قال له يوماً آخر: اذبحْ لنا شاةً، وألقِ أخبثَ مضغتين فيها. فألقى اللسان والقلبَ. فتعجبَ سيدهُ من تصرفه، ولما سأله عن ذلك قال له لقمان: إنه ليسَ شيءٌ بأطيب من القلب واللسانِ إذا طابا، ولا شيءٌ بأخبث منهما إذا خبثا![1]

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [لقمان:١٢].

قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦٩].

(١) انظر: هذه الحكم في «الدر المنثور» (٦/ ٥١٢-٥٢٠).

العنصر الثاني: لقمانُ يعظُ ابنَهُ فيُحذِرهُ من كلِّ شرٍّ.

عباد الله! كان لقمانُ يحذرُ ابنه من الشركِ

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ﴾ [لقمان:١٢].

عباد الله! أتدرون لماذا كان يُحذِرُ لقمانُ ابنهُ من الشركِ؟

الجواب:

١- لأنّ الشركَ يحبُطُ الأعمال.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام]، وقال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان].

٢- لأنّ الشرك يمنعُ مغفرة الذنوب يوم القيامةِ.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء:٤٨].

وقال في الحديث القدسي: «**يا ابن آدمَ! إنك لو أَتيتني بقرابِ الأرضِ خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة**»(١).

٣- لأنّ الشركَ سببٌ للخلود في نارِ جهنم.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة].

---

(١) **حسن**: أخرجه الترمذي (٣٥٤٠)، وأحمد (٥/ ١٧٢)، والدارمي(٢٧٨٨)، والطبراني في «الكبير»(١٢/ ١٩)، وفي الصغير (٢/ ٨٢)، [«الصحيحة» (١٢٧)].

٤- لأنّ الشركَ من أكبرِ الكبائر:

يقول ﷺ لأصحابه يوماً: «**ألا أُنبئكم بأكبرِ الكبائرِ**» قلنا: بلى يا رسولَ الله. قال: «**الإشراك بالله..**»[(١)].

٥- لأنّ الشركَ من أعظم الذنوب.

يقولُ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه سألتُ النبي ﷺ: أي الذنبِ أعظمُ عند الله؟ قال: «**أن تجعل لله نداً وهو خلقك**»[(٢)].

٦- لأنّ الشركَ يجعلُ صاحبه مِنْ شر البريةِ.

قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾**﴾ [البينة].

٧- لأنّ الشركَ يُفرّقُ الأمةَ شيعاً وأحزاباً.

قال تعالى: ﴿**وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾**﴾ [الروم].

٨- لأن الشرك إذا دبَّ في الأمةِ منعها التمكن في الأرض.

قال تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾**﴾ [النور].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٩٧٦)، ومسلم (٨٧).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٤٧٧)، ومسلم (٨٦).

٩- لأنّ الشركَ ظلمٌ عظيمٌ.

قال تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمان].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٦﴾ [يونس].

عباد الله! لقمانُ يحذرُ ابنهُ من الشركِ فيقولُ له وهو يعظه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ فمن منا يا عباد الله يحذرُ ابنهُ من الشركِ فيقول له:

يا بني**!** لا تدعُ غير الله.

يا بني**!** لا تحلفْ بغير الله

يا بني**!** لا تذبحْ لغير الله

يا بني**!** لا تستغيث بغير الله

يا بني**!** لا تنذر لغير الله.

عباد الله! فهل يقول كلٌّ منا لولده مربياً واعظاً معلماً: يا بني**!** إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله.

عباد الله! ويحذرُ لقمانُ ولده من الكبرِ، قال الله -عز وجل- على لسانه: ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨﴾ [لقمان:١٨]

عباد الله! أتدرون لماذا حذرَ لقمانُ ابنهُ من الكبرِ؟

الجواب:

١ -لأنّ الله -عز وجل- حذر عبادهُ من الكبر.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ۝٣٧﴾ [الإسراء].

وقال في الحديث القدسي: «**قال الله عز وجل: الكبرياء ردائي والعزة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما أُلقيهِ في النار**»(١).

٢ - لأن الله لا يُحبُّ المتكبرين.

قال تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ۝٢٣﴾ [النحل].

وقال ﷺ: «**ثلاثةٌ لا يكلمهم اللهُ يومَ القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظرُ إليهم، ولهم عذابٌ أليم: شيخٌ زانٍ، ومَلِكٌ كذابٌ، وعائلٌ مستكبر**»(٢).

٣- لأنّ الكبرَ يمنع صاحبهُ من **دخولِ الجنةِ**.

قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝٨٣﴾ [القصص].

وقال ﷺ: «**لا يدخلُ الجنةَ مَن كانَ في قلبهِ مثقالُ ذرةٍ من كبر**»(٣).

٤ - لأنّ الكبرَ سببٌ لدخول النارِ.

قال تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ۝٧٢﴾ [الزمر].

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ٢٤٨)، وأبو داود (٤٠٩٠)، وابن ماجه (٤١٧٤)، [«الصحيحة» (٥٤١)].

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٠٧).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٩١).

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر].

وقال ﷺ: «**ألا أُخبركم بأهلِ النارِ: كلُّ عُتلٍ جواظٍ مستكبر**»(١).

وقال ﷺ: «**احتجت النار والجنة، فقالت هذه** -أي: النار- **يدخلني الجبارون والمتكبرون، وقالت هذه** -أي: الجنة-: **يدخلني الضعفاء والمساكين، فقال الله -عز وجل- لهذه** -أي: النار-: **أنت عذابي أُعذب بك من أشاءُ، وقال لهذه** -أي: الجنة- **أنت رحمتي أرحمُ بك من أشاءُ، ولكل واحدةٍ منكما مِلؤُها**»(٢).

٥- لأنّ الكبر سببٌ لنزول العذاب على صاحبهِ في الدنيا.

قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت].

وقال ﷺ: «**بينما رجلٌ يمشي في حُلةٍ تُعجبه نفسُه، مُرَجلٌ جمته إذ خسف الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة**»(٣).

٦- لأنّ الكبرَ سببٌ للذل يوم القيامةِ في أرضِ المحشر.

قال ﷺ: «**يُحشرُ المتكبرون يومَ القيامةِ أمثالَ الذرِ** -أي: النمل الصغير- **في صورِ الرجال يغشاهم الذلُّ من كل مكان ...**»(٤).

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٩١٨)، ومسلم (٢٨٥٣).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٨٤٦).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٧٨٩)، ومسلم (٢٠٨٨).

(٤) **حسن**: أخرجه الترمذي (٢٤٩٢)، وأحمد (٢/ ١٧٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٥٧)، [«صحيح الجامع» (٨٠٤٠)].

العنصرُ الثالثُ: لقمانُ يعظُ ابنه فيأمرهُ بكلِّ خيرٍ.

قال تعالى مخبراً عنه: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾ [لقمان].

وقال له أيضاً: ﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾.

عباد الله! ربّى لقمانُ ابنهُ على الإيمان الصادق وحذرهُ من الشركِ، وأمرهُ بالأعمالِ الصالحةِ وفي مقدمتها الصلاةُ، وأمرهُ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأمرهُ بالصبر على ذلك وهذا هو سبيلُ النجاةِ من الخسران المبين في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [العصر].

عباد الله! كان لقمان يقولُ لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [لقمان]، فهل تعرفون لماذا؟

١- لأن الصلاةُ هي أولُ ما يحاسبُ عليه العبدُ يوم القيامة.

قال ﷺ: «**أولُّ ما يُحاسبُ به العبدُ يومَ القيامةِ الصلاةَ، فإن صلحتْ صلح له سائرُ عملهِ، وإن فسدتْ فسدَ سائر عمله**»(١).

٢- لأن الصلاة سببٌ للفلاح في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢﴾ [المؤمنون].

---

(١) **صحيح**: أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢/ ٢٤٠)، [«الصحيحة» (١٣٥٨)].

٣- لأن الصلاة تُطهرُ صاحبها من الأخلاق الدنيئة ومن الصفات القبيحة.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ (٢٢) ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ (٢٣) ﴾ [المعارج]

٤- لأن الصلاةُ تنهى صاحِبها عن الفحشاء والمنكر.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت:٤٥].

٥- لأن الصلاةُ تجارةٌ رابحةٌ.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) ﴾ [فاطر].

٦- لأن الصلاةُ نورٌ في الوجه ونورٌ في القبر، ونور على الصراط يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الحديد:١٢].

وقال ﷺ: «**والصلاة نورٌ**[(١)]».

٧- لأن الصلاةُ سببٌ لنزولِ الرحمةِ من الله على العبادِ.

قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١) ﴾ [التوبة].

---

(١) **صحيح**: وهو جزء من حديث عند مسلم (٢٢٣).

٨- لأن الصلاةُ سببٌ لدخولِ الجنةِ.

قال تعالى في وصف المؤمنين الصادقين: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون].

عباد الله! وقال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۝١٧﴾ [لقمان]

فهل تعرفون لماذا؟

١- لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عملُ خيرِ الناسِ.

قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران:١١٠]

٢- لأن الأمرُ بالمعروفِ والنهي عن المنكر يُنجي من عذاب الله.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ [الأعراف:١٦٥].

وقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر؛ أو لَيُوشكن اللهُ أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يَسْتَجِيبُ لكم**»(١).

٣- لأن الأمرُ بالمعروف والنهيُّ عن المنكرِ سببٌ للنصرِ والتمكين في الأرض.

قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ۝٤١﴾ [الحج].

---

(١) **حسن لغيره**: أخرجه الترمذي (٢١٦٩)، وأحمد (٥/ ٣٨٨)، والبيهقي في «الشعب» (٦/ ٨٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٣١٣)].

٤- لأن الأمرُ بالمعروف والنهيُّ عن المنكرِ يرفعُ اللعنة عن صاحبه.

قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩﴾ [المائدة]

عباد الله! أمر لقمانُ ابنه **بالأخلاق الحسنة وفي مقدمتها التواضع.**

فقال لابنه وهو يعظه: ﴿وَٱقۡصِدۡ فِى مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾. [لقمان]

فهل تعرفون لماذا؟

١-لأن التواضعُ من صفات عباد الرحمن.

قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ٦٣﴾ [الفرقان].

٢- لأن التواضعُ خلقٌ حميدٌ أمرَ اللهُ به.

قال تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢١٥﴾ [الشعراء].

وقال ﷺ: «**إن الله أوحى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحدٌ على أحدٍ، ولا يبغي أحدٌ على أحدٍ**»[1].

وقال ﷺ: «**ما نقصت صدقة من مال، وما زاد اللهُ عبداً بعفوٍ إلا عزاً، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله**»[2].

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم(٢٨٦٥).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٥٨٨).

العنصر الرابع: لقمان يربي ولده على مراقبة الله -تعالى-.

يقول الله -عز وجل- على لسانه: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ١٦﴾ [لقمان].

عباد الله! أتدرون لماذا يربي لقمان ابنهُ على مراقبة الله -تعالى-؟

الجواب:

١- لأنّ الله يراقبنا ويرانا وهو مطلع علينا.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٧﴾ [المجادلة].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ٦١﴾ [يونس].

وقال ﷺ: «**اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»(١) .

- وقال أبو ذر رضي الله عنه: (أوصاني خليلي ﷺ أن أخشى الله كأني أراه، فإن لم أكن أراه فإنه يراني).

---

(١) حسن: أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٨/ ١١٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢٢٠)، [«الصحيحة» (١٤٧٤)].

• ويقول ابن عمر رضي الله عنهما: (أخذ رسول الله ﷺ ببعض جسدي فقال: «**اعبد الله كأنك تراه، وكن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابر سبيل**»)[١].

• وقال ﷺ لرجلٍ: «**صلِّ صلاة مودعٍ، كأنك تراه، فإن كنت لا تراه، فإنه يراك...**[٢]».

• ويقول الإمام أحمد:

إذا ما خلوت الدهرَ يوماً فلا تقل ... خلوتُ ولكن قل عليَّ رقيب

ولا تحسبنَّ الله يغفلُ ساعةً ... ولا أن ما يخفى عليه يغيب

٢- لأن الإنسانَ في هذه الدنيا إذا عَلِمَ أن الله يراه ابتعد عن المعاصي، فهذا يوسف عليه السلام عندما راودته امرأة العزيز عن نفسه قال: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ﴾ [يوسف٢٣].

وقال ﷺ: «**سبعة يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظلَ إلا ظلهُ**» -وذكر منهم-: «**ورجلٌ دعتهُ امرأةٌ ذاتُ منصبٍ وجمال، فقال: إني أخاف الله**[٣]».

وهذه امرأة في الصحراء راودها أعرابي -أي: أراد الزنا بها- وقال لها: لا تخافي، فإنه لا يرانا إلا الكواكب.

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ١٣٢)، وأبو نعيم (٦/ ١٢٣)، [«الصحيحة» (١٤٧٣)].

(٢) **صحيح**:أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤/ ٢٥٨)، [«الصحيحة» (١٩١٤)].

(٣) **صحيح**:أخرجه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١).

فقالت الأعرابية له: ويحك!! وأين ربُّ الكواكب؟!

وتلك امرأة قالت لابنتها: اخلطي اللبن بالماء، فقالت الفتاة: يا أماه إن عمر ينهى عن ذلك. فقالت الأم لابنتها: إن عمر لا يرانا. فقالت الفتاة لأمها: إذا كان عمر لا يرانا فربُّ عمر يرانا.

٣- لقمان يربي ابنه على مراقبة الله؛ لأن الله عز وجل يسجل علينا ما نعملُ في هذه الدنيا إن خيراً فخيرٌ وإن شراً فشرٌ ثم يحاسبنا عليه يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران:٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء].

ويقول رب العزة في الحديث القدسي: «**يا عبادي! إنما هي أعمالكم أُحصيها لكم ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً فليحمدِ الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه**[1]».

عباد الله! أما الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من قصة لقمان فهذا ما سنعرفه في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى.

---

(١) صحيح:أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

١٨

الثالث عشر: الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من قصة لقمان (أ)

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدةٍ من سلسلة المواعظِ التي بعنوان: **الفرقان من قصص القرآن دروس وعظاتٌ وعبر**

أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **الدروس والعظاتُ والعبرُ التي تُؤخذُ من قصة لقمان.**

عباد الله! قصة لقمان فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: الحكمة فضلُ الله يؤتيه من يشاء.

وهذا يؤخذ من قصةِ لقمان من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [لقمان:١٢]

عباد الله! فالله -عز وجل- يتفضلُ بالحكمةِ على مَنْ يشاءُ من عباده.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ [البقرة:٢٥١].

وقال تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾ [ص].

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة:٢٦٨، ٢٦٩].

عباد الله! الحكمةُ موهبة ونعمةٌ من الله، وبما أن اللهَ عليمٌ حكيم، فإنهُ سبحانهُ لا يهبُها إلا لمن هو أهل لها، من يحسن أن يتعاملُ معها وينتفعُ بها، فلا يهبُها إلا لمن كان صالحاً مطيعاً له سبحانه وتعالى.

فالله -عز وجل- في كتابه لم يصف أحداً من الكافرين أو الظالمين بالحكمةِ لأنها وصفُ تكريمٍ وتشريفٍ، وهذا لا يكونُ إلا للمؤمن ولذلك لم يصف ربُنا -جل وعلا- أحداً بالحكمةِ إلا الأنبياء أو المؤمنين الصالحين، ولذلك فلا يجوزُ لأحدٍ أن يصفَ الفلاسفةِ بالحكماءِ.

عباد الله! رسولُنا محمدٌ ﷺ مَنَّ اللهُ عليه بالحكمةِ وأَمَره أن يُعلِّمها الناسَ ويدعوهم بها.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران:١٦٤].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ [الجمعة].

وقال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥].

عباد الله! ومن الأمثلة على حكمته ﷺ:

١- لينهُ ﷺ مع الشاب الذي طلب منه أن يرخص له في فاحشة الزنا: فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: إن فتىً شابّاً أتى إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! ائْذن لي بالزنا، فأقبلَ القومُ عليه فزَجَرُوه، وقالوا: مه مه! فقال: «**ادْنُهْ**» فدنا منه قريباً.

قال: فجلس، قال: «**أَتُحِبُّه لأُمِّك؟**» قال: لا والله، جعلني اللهُ فِداكَ.

قال: «**ولا الناسُ يُحِبُّونه لأمَّهاتِهم**».

قال: «**أَفَتُحِبُّه لابنَتِك؟**» قال: لا والله يا رسول الله! جعلني الله فداك.

قال: «**ولا الناسُ يُحِبُّونَهُ لبناتِهم**».

قال: «**أفتُحِبُّه لأُختك؟**» قال: لا والله، جعلني الله فداك.

قال: «**ولا الناسُ يُحبونَه لأخواتهم**».

قال: «**أفتحُبُّه لعمتّك؟**» قال: لا والله، جعلني الله فداك.

قال: «**ولا الناس يُحبونه لعمّاتِهم**».

قال: «**أفتحبُّهُ لخالتكِ؟**» قال: لا والله، جعلني الله فداك.

قال: «**ولا الناس يُحِبُّونَه لخالاتهم**».

قال: فوضعَ يدهُ عليه، وقال: «**اللهم اغفرْ ذنْبَه، وطَهِّرْ قَلْبَه، وحَصِّنْ فَرْجَه**» فلم يكُنْ بعد ذلك الفتى يلتفتُ إلى شيءٍ»[1].

أرأيتم مثل هذا الأسلوب؟ لقد جاء هذا الشاب وقد هاجتْ شهوته ورغبَ في الحرامِ، وعادَ عفيفاً محصناً مبتعداً عن الشهوة والشبهة.

٢- عدم سماحه ﷺ بقتل عبدالله بن أُبي بن سلول زعيم المنافقين رغم استحقاقه لذلك خوفاً من سوء تفسير الناس لقتله.

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٦-٢٥٧)، والطبراني في «الكبير» (٨/ ١٦٢)، [«الصحيحة» (٣٧٠)].

عن جابر رضي الله عنه قال: لما حصلَ شجار بين رجلٍ من المهاجرين ورجل من الأنصار ونادى كل واحدٍ منهما جماعته: قال ابنُ سلول: أقد تداعوا علينا؟ لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل.

فقال عمر رضي الله عنه: «ألا نقتلُ يا رسول الله هذا الخبيث؟ -لعبد الله- فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**لا يتحدّث الناس أنه كان يقتل أصحابه**[1]» فلم يكن امتناعه عليه الصلاة والسلام من السماح لقتل عمر رضي الله عنه إياه إلا لما توقع من حديث الناس خطأ بسبب قصور فهمهم أنه صلى الله عليه وسلم كان يقتل أصحابه، فيكون ذلك سبباً لنفورهم عن الإسلام.

٣- حكمتُهُ صلى الله عليه وسلم في صلح الحديبية.

عباد الله! لما أصرّ سهيل بن عمرو مندوب قريش -عند كتابة عقد الصلح بالحديبية- على أن يتنازل النبي الكريم صلى الله عليه وسلم عن بعض الأمور، وافق صلى الله عليه وسلم على ما أصرّ عليه حتى لا تفشل مفاوضات الصلح.

عباد الله! لما جاء سهيل بن عمرو مندوب قريشٍ قال النبي صلى الله عليه وسلم: («**لقد سَهُلَ لكم من أمركم**».

فجاء سهيل بن عمرو فقال: «هات اكتبْ بيننا وبينكم كتاباً».

فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الكاتب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**بسم الله الرحمن الرحيم**».

---

(١) **صحيح**: وهو جزء من حديث عند البخاري (٣٥١٨).

فقال سهيل: أما (الرحمن) فوالله! ما أدري ما هو، ولكن اكتبْ: باسمك اللهم كما كنت تكتب.

فقال المسلمون: والله! لا نكتُبها إلا «بسم الله الرحمن الرحيم».

فقال النبي ﷺ: «**اكتب: باسمك اللهم**».

ثم قال: «**هذا ما قاضى عليه محمدٌ رسولُ الله**».

فقالَ سهيلٌ: والله لو كنا نعلمُ أنكَ رسولُ اللهِ ما صددناك عن البيتِ ولا قاتلناك، ولكن اكتبْ، محمد بن عبدالله.

فقال النبي ﷺ: «**والله! إني لرسولُ اللهِ وإن كذبتموني، اكتبْ محمدُ بنُ عبدالله**».

فقال له النبي ﷺ: «**على أن تُخلُّوا بيننا وبين البيت فنطوف به**».

فقال سهيلٌ: والله لا تتحدثُ العربُ أنا أُخذنا ضُغطةً، ولكن ذلك من العام المقبل فكتب.

فقال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك منا رجلٌ وإن كان على دينك إلا رددته إلينا)[1] .

(فكره المؤمنون ذلك وامتعضوا منه، وأبى سهيلٌ إلا ذلك فكاتبه النبي ﷺ على ذلك)[2].

(١) **صحيح**: وهو جزء من حديث أخرجه البخاري (٢٧٣١، ٢٧٣٢)، (باب: ١٥- الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط).

(٢) **صحيح**: وهو جزء من خبر صلح الحديبية أخرجه البخاري(٢٧١١، ٢٧١٢)، (كتاب الشروط) (باب: ١- ما يجوز من الشروط في ...إلخ).

عباد الله! إن التأمل في هذه الحادثة العظيمة، يبيّن لنا مقدار حكمةِ رسول الله ﷺ وعدم استجابته أو تأثره بالاستفزاز، وهذا من باب النظر في المصلحتين والسعي لتحصيل أعلاهما، ولذلك جاءت النتيجة بتسمية الله لهذا الصلح فتحاً ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح].

عباد الله! هذا رسولنا ﷺ آتاهُ الله الحكمة، فدعا الناسَ بها، عملاً وقولاً، كيف لا؟

والله -عز وجل- يقول في وصفه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ۝١١٣﴾ [النساء].

عباد الله! الحكمةُ فضلُ اللهِ يؤتيه من يشاء فمن مَنَّ اللهُ عليه بالحكمة فعليه أن يشكرَ الله ليلاً ونهاراً؛ فإنّ الله عز وجل قد ربط بينَ الحكمةِ والشكرِ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝١٢﴾ [لقمان].

عباد الله! والشكرُ الذي يحبُّهُ الله هو:

- شكرُ القلب: بأنْ يعتقد الإنسانُ أن ما به من نعمةٍ فمن اللهِ وحده، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل:٥٣].
- شكرُ اللسان: وهو الثناءُ على الله والتحدثُ عما أنعم الله به على العبد. قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ [الضحى].

• شكرُ الجوارح: وهو أن يعبدَ الإنسانُ ربهُ كما أمره، شكراً لله على نعمه، قال تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗا﴾ [سبأ:١٣].

عباد الله! ومن سنن الله التي لا تتبدلُ ولا تتغيرُ أن من شكر نعمةَ الله بقيتْ له وزادتْ، ومن كفر بنعمة الله ذهبتْ وزالتْ من بين يديه.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ﴿١٢﴾﴾ [لقمان].

وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم].

ابن آدم!

إذا كنـــتَ في نعمـــةٍ فارْعَهـــا ... فـــإن المعـــاصي تُزيـــلُ الـــنعم
وحـــافظْ عليهـــا بـــشكرِ الإلـــه ... فـــإن الإلـــه شـــديدُ الـــنِقم

ومن الدروس والعظات والعبر المستفادة من قصة لقمان أيضاً:

ثانياً: لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالق.

١ -ويؤخذُ هذا من قصة لقمان من قوله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ﴾ [لقمان:١٥].

عباد الله! لقد نزلتْ هذه الآيةُ في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، يقولُ سعد رضي الله عنه: (أُنزلتْ فيّ هذه الآية: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَا﴾ قال: كنتُ رجلاً برّاً بأمي، فلما أسلمتُ قالتْ: يا سعدُ، ما هذا الذي أراك قد

أحدثت؟ لتدعنّ دينك هذا أو لا آكل ولا أشربُ حتى أموتَ، فتُعَيَّر بي، فيقال: «يا قاتل أمه».

فقلت: لا تفعلي يا أمه، فإن لي لا أدعُ ديني هذا لشيء فمكثت يوماً وليلةً لم تأكل فأصبحتْ قد جهدت، مكثتْ يوماً آخر وليلةً أخرى لا تأكل، فأصبحت قد اشتد جهدها، فلما رأيت ذلك قلتُ: يا أمه، تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً، ما تركت ديني هذا لشيءٍ، فإن شئت فكلي، وإن شئت لا تأكلي، فأكلت)(١).

عباد الله! وفي هذا دليلٌ على أنهُ لا طاعة لمخلوقٍ أياً كان في معصية الخالق، كيف لا؟ والنبي ﷺ يقول: «**على المرء المسلمُ السمعُ والطاعةُ، فيما أحبَّ وكَرِهَ، إلا أن يُؤمرَ بمعصيةٍ، فإن أُمرِ بمعصيةٍ فلا سمع ولا طاعة**»(٢).

وبناءً على هذا يا عباد الله!

فإذا أمر الوالدُ ابنه أو الوالدةُ ابنتها بالذهاب إلى الكهنةِ والعرافين فلا طاعة لهما؛ لأنّ النبيّ ﷺ يقول: «**من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد**(٣)» .

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن كثير في التفسير (٣/ ٥٨٧-٥٨٨)، ومسلم (١٧٤٨) من طريق آخر بنفس المعنى.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩).

(٣) **صحيح**:أخرجه أحمد (٢/ ٤٢٩)، والحاكم (١/ ٤٩)، والطبراني في «الكبير» (١٠/ ٧٦)، وفي الأوسط (١٤٥٣)، [«صحيح الجامع» (٥٩٣٩)].

• وإذا أمر الوالدُ ابنهُ بأن يحلفَ بغير الله فلا طاعة له؛ لأن النبي ﷺ يقول: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**»(١).

• وإذا أمر الوالدُ ابنه أن يشتري له خمراً فلا طاعةَ له؛ لأن الله -عز وجل- يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة].

وقال ﷺ: «**لعن الله الخمرَ، وشاربَها، وساقِيها وبائعَها، ومُبْتاعَها، وعاصِرَها، ومُعْتَصِرها، وحامِلها، والمحمولةَ إليه، وآكل ثمنها**»(٢).

• وإذا طلبَ الوالدُ من ابنه أن يأكل الربا فلا طاعةَ له؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ [آل عمران: ١٣٠].

ولقوله ﷺ: «**درهم ربا يأكلهُ الرجلُ وهو يعلم أشدُّ عند الله من ستّة وثلاثين زنية**(٣)».

ولقوله ﷺ: «**الربا ثلاثة وسبعون باباً أيسرُها مثل أن ينكح الرجل أمه...**(٤)».

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥)، وأحمد (٢/ ١٢٥)، وابن حبان (٤٣٤٣)، والحاكم (٤/ ٣٣٠)، [«صحيح الجامع» (٦٢٠٤)].

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٣٦٧٤)، وأحمد (٢/ ٩٧)، وابن ماجه (٣٣٨٠)، والحاكم (٢/ ٣٧)، [«صحيح الجامع» (٥٠٩١)].

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٥/ ٢٢٥)، والدارقطني (٢٨١٩)، والطبراني في الأوسط (٢٦٨٢)، [«الصحيحة» (١٠٣٣)].

(٤) **صحيح**: أخرجه الحاكم (٢/ ٤٣)، والبيهقي في «الشعب» (٤/ ٣٩٤)، [«صحيح الجامع» (٣٥٣٩)].

• وإذا أمر الوالد ابنهُ بأن يدعو غير الله من الأموات وغيرهم فلا طاعة له؛ وذلك لأن الدعاء عبادةٌ من صرفها لغير الله فقد أشرك. وقد قال ﷺ: «**الدعاءُ هو العبادة**»(١).

• وإذا أمرت الأمُّ ابنتها بالتبرج والسفور لتتحصل على عريسٍ فلا طاعة لها، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣].

ولقوله ﷺ: «**سيكون في آخر أمتي نساءٌ كاسياتٌ عارياتٌ، على رؤوسهن كأسنمة البُخت، العنوهُن فإنهنَّ ملعونات**»(٢).

ولقوله ﷺ: «**وشرُّ نسائِكم المتبرجات المتخيلاتُ، وهنّ المنافقاتُ، لا يدخلُ الجنةَ منهن إلا مثل الغراب الأعصم**»(٣).

• وإذا أمرت الأمُّ ابنتها أو أمر الوالدُ ابنهُ بحضور جلسات الاختلاط ما بين الرجال والنساء الأجانب فلا طاعة لهما؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب:٥٣].

ولقوله ﷺ: «**إياكم والدخول على النساء**» فقال رجل..: يا رسول الله! أفرأيت الحمو قال: «**الحمو الموت**(٤)».

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩)، وابن ماجه (٣٨٢٨)، وأحمد (٤/ ٢٦٧)، [«صحيح الجامع» (٣٤٠٧)].

(٢) **صحيح**: أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٩/ ١٣١)، وفي الصغير (٢/ ١٢٧-١٢٨)، [«جلباب المرأة» (ص١٢٥)].

(٣) **صحيح**: أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٧/ ٨٢)، [«الصحيحة» (١٨٤٩)].

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٢٣٢)، ومسلم (٢١٧٢).

• وإذا أمر الزوج زوجته أن تتزين له بنمص حاجبيها فلا طاعة له؛ لقوله ﷺ: «**لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله**»(١).

• وإذا طلب الزوج من زوجته أن يأتيها في دبرها فلا طاعة له؛ لقوله ﷺ: «**ملعون من أتى امرأة في دبرها**»(٢).

ولقوله ﷺ: «**لا ينظر الله إلى رجل جامع امرأته في دبرها**»(٣).

ولقوله ﷺ: «**من أتى كاهناً فصدقه بما يقول، أو أتى امرأة حائضاً، أو أتى امرأة في دبرها، فقد برئ مما أُنزل على محمد**»(٤).

• وإذا طلبت الزوجة من زوجها أن الولد من أبيه أن يكتب له شيئاً من الميراث فلا طاعة له؛ لقوله ﷺ: «**لا وصية لوارث**»(٥).

عباد الله! الطاعة تكون في المعروف وفيما هو مشروع أما في المعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٨٨٦)، ومسلم (٢١٢٥) واللفظ له.

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٢١٦٢)، وأحمد (٢/ ٤٤٤)، [«صحيح الجامع» (٥٨٨٩)].

(٣) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (١٩٢٣)، وأحمد (٢/ ٣٤٤)، وابن حبان (٤١٩١)، والطبراني في الأوسط (٩٩٠)، والبيهقي في «السنن» (٧/ ١٩٨)، [«صحيح الجامع» (٧٨٠٢)].

(٤) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ٤٠٨)، وأبو داود (٣٩٠٤)، والترمذي (١٣٥)، وابن ماجه (٦٣٩)، والنسائي في الكبرى (٥/ ٣٢٣)، [«صحيح الجامع» (٥٩٤٢)].

(٥) **صحيح**: أخرجه الدارقطني في سننه (٤١٠٥)، وأبو داود (٢٨٧٠)، والترمذي (٢١٢٠)، والنسائي (٣٦٤١)، وابن ماجه (٢٧١٣)، وأحمد (٥/ ٢٦٧)، [«الإرواء» (١٦٥٥)].

ثالثاً: من الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من قصةِ لقمان: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة:٢٨١].

وهذا يؤخذ من قوله: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ [لقمان:١٥].

عباد الله! العبادُ جميعاً راجعون إلى الله بعد الموت.

قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [القصص].

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [العنكبوت].

وقال تعالى: ﴿وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [السجدة].

وقال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الجاثية].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [مريم].

عباد الله! أتدرون لماذا يرجعُ العبادُ بعد الموتِ إلى الله تعالى؟

الجواب: ليقفوا بين يديه ويحاسبهم على ما عملوا في الدنيا، إن خيراً فخيرٌ وإن شراً فشرٌّ.

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ [لقمان].

وقال تعالى: ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [المائدة].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [التغابن].

وقال تعالى: ﴿يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾﴾ [القيامة].

وقال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات].

ابن آدم!

مثل وقوفك يوم العرض عرياناً ... مستوحشاً قلق الأحشاء حيرانا
والنار تلهب من غيظٍ ومن حنقٍ ... على العصاة ورب العرش غضبانا
اقرأ كتابك يا عبدي على مهل ... فهل ترى فيه حرفاً غير ما كانا
لما قرأت ولم تنكر قراءته ... إقرار من عرف الأشياء عرفانا
نادى الجليل: خذوه يا ملائكتي ... وامضوا بعبدٍ عصى للنار عطشانا
المجرمون غداً من النار يلتهبوا ... والمؤمنون في دار الخلد سكانا

وقال الفضيلُ بن عياضٍ لرجلٍ: كم أتت عليك؟

قال: ستون سنة.

قال: فأنت منذ ستين سنةٍ تسيرُ إلى ربك يُوشِك أن تبلغَ.

فقال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون.

فقال الفضيل: أتعرفُ تفسيره؟

تقول: أنا لله عبدٌ وإليه راجع، فمن عَلِم أنه لله عبدٌ وأنه إليه راجع فليعلم أنه موقوفٌ، ومن علم أنه موقوف فليعلم أنه مسؤولٌ ومن علم أنه مسؤولٌ، فليُعِدَّ للسؤال جواباً.

فقال الرجل: فما الحيلة؟

قال: يسيرة.

قال: ما هي؟

قال: تُحسِنُ فيما بقي يُغفر لك ما مضى فإنك إن أسأت فيما بقي، أُخذت بما مضى وبما بقي.

١٩

الرابع عشر: الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من قصة لقمان (ب)

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف:١١١].

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن الدروس والعظاتِ والعبرِ التي تؤخذ من قصة لقمان.

عباد الله! قلنا في الجمعة الماضية: إن قصة لقمانَ التي أخبرنا الله عنها في كتابه فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: الحكمة فضلُ الله يؤتيه منْ يشاء، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [لقمان:١٢].

ثانياً: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، لقوله تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ [لقمان:١٥].

ثالثاً: واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله، لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٥﴾ [لقمان].

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع الحديث عن باقي الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من قصة لقمان، فنقول:

رابعاً: على الأباء أن يتقوا الله في أبنائهم، وهذا يؤخذ من وصايا لقمان لولده: ﴿لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝١٣﴾ [لقمان]

﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ۝١٦﴾ [لقمان]

﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۝١٧﴾ [لقمان].

عباد الله! معشر الآباء! **الأبناء نعمةٌ عظيمةٌ** من نعم الله تبارك وتعالى.

قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل:٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل:١٨].

والأبناء نعمةٌ عظيمةٌ تدوم بالشكر وتذهب بالكفر.

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ۝٧٢﴾ [النحل].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٦٧﴾ [الأعراف].

والله عز وجل سائلكم يا معشر الآباء يوم القيامة عن نعمة الأبناء:

قال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [التكاثر]

وقال ﷺ: «**كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته -وذكر منها- والرجلُ راعٍ في أهله وهو ومسئولٌ عن رعيته، والمرأةُ راعية في بيتِ زوجها ومسئولةٌ عن رعتيها**[1]» .

عباد الله**!** كيف يشكر الآباء ربهم على نعمة الأولاد؟ الجواب: بأن يؤدي الآباء حقّ الأبناء عليهم.

نعم يا عباد الله**!** فإن للأبناء حقوقٌ على الآباء كثيرةٌ جداً، منها حقوق قبل وجودِ الأبناءِ، وحقوقٌ بعد وجودِهِم.

• **أما حقوق الأبناء على الآباء قبل وجودهم فهي:**

أولاً: يجب على الرجل إذا أراد أن يتزوج أن يبحث عن الزوجة الصالحة التقية، التي تكون أماً صالحةً لأبنائه، وعلى المرأة كذلك أن تختار الرجل الصالح المؤمن التقيّ؛ ليكون أباً صالحاً لأولادها؛ فالأبُ الصالح يؤثر في تربية الأولاد، وقد جاءت الأدلة في الكتاب والسنة تحث على ذلك، منها:

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩).

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].

وقال تعالى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النساء:٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ [النور:٢٦].

وقال ﷺ: «**تُنكحُ المرأةُ لأربع: لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفرْ بذات الدين تربتْ يداك**»(١).

وقال ﷺ: «**الدنيا متاعٌ وخيرُ متاع الدنيا المرأةُ الصالحةُ**»(٢).

وقال ﷺ: «**إذا أتاكم من ترضون خُلُقه ودينه فزوجوه، إن لا تفعلوا تكن فتنةٌ في الأرض وفسادٌ عريض**»(٣).

فإذا تزوجَ الرجلُ التقيُّ الصالحُ بالمرأة التقية الصالحةِ تكونتْ الأسرةُ مِنْ أولِ لحظةٍ على تقوى الله، وهذا يؤثر على الأبناءِ بعد وجودهم.

ثانياً: ومن حق الأبناء على آبائهم قبل وجودهم، إذا أراد الزوجُ أن يأتي زوجته أن يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ حفاظاً على الولد من الشيطان؛ لقوله ﷺ: «**لو أنّ أحدهم إذا أراد أن يأتي أهله قال: باسم الله، اللهمّ جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فإنه إن يقدر بينهما ولدٌ في ذلك لم يضرُه شيطان أبداً**»(٤).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٤٦٩).

(٣) **حسن**: أخرجه الترمذي (١٠٨٤)، وابن ماجه (١٩٦٧)، والحاكم (٢/ ١٧٩)، والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٢٩٩)، والأوسط (٤٤٦)، [«صحيح الجامع» (٢٧٠)].

(٤) **صحيح**: رواه البخاري (٦٣٨٨)، ومسلم (١٤٣٤).

ثالثاً: ومن حق الأبناء على الآباء قبل وجودهم أن يبتعد الآباء والأمهات عن التدخين، وذلك:

أولاً: لأنّ التدخين حرامٌ.

ثانياً: لأنّ الدخان يضرُّ الطفلَ حتى وهو في بطن أمه، كما ويتسبب التدخينُ في إصابة الطفل بأمراضٍ كثيرةٍ.

فالولد إذا خرج من بطن أمه معوّقاً بسبب الدخان الذي يتعاطاه أبوه أو أمُهُ، فهذا الطفلُ يسألُ والديه يوم القيامة أمام الله، فليتق الله الذين يدخنون فإنهم يقعون في الحرام ويضرون أنفسهم وأبناءهم والمجتمع.

عباد الله! أما حقُّ الأبناء على الآباء بعد وجودهم فكثيرةٌ جداً منها:

أولاً: أنه يجب على الوالد أن يختار للولد أو البنت اسماً حسناً، وذلك لما ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يُغير الاسم القبيح إلى الاسم الحسن.

فقلد جاءه رجلٌ اسمهُ (حَزَنٌ) فقال ﷺ: «**بل أنت سهلٌ**»(١).

وجاءته امرأةٌ اسمها (عاصيةٌ)، فقال ﷺ: «**أنت جميلةٌ**»(٢).

فليتق الله الآباء في تسمية الأبناء، وليسموهم بأسماء الأنبياء والصحابة والصالحين، ليسموهم بالأسماء السهلة المشهورة المتداولة بين الناس، وليتق الله الذين يقلدون الغرب في أسماء أبنائهم.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦١٩٣).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢١٣٩).

ثانياً: من حقِّ الأبناء على الآباء أن يأمروهم بالصلاة لسبعٍ، وأن يفرقوا بينهم في المضاجع.

قال ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناءُ سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناءُ عشرٍ، وفرقوا بينهم في المضاجع**»(١).

وهذا لقمان يقول لولده وهو يعظه: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [لقمان:١٧].

فعلى الوالد أن يأمر ابنه بالصلاة ويصطحبه معه إلى المسجد وأن يربيه على محبة المساجد، وأن يؤدبه بآداب المسجد، وأن يقرأ عليه دائماً قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة].

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ [النساء].

وقوله ﷺ: «**مَنْ غدا إلى المسجد أو راح، أعدّ الله له في الجنة نزلاً، كلما غدا أو راح**»(٢).

وقوله ﷺ: «**بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنورِ التامِ يوم القيامة**»(٣).

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٩٥)، وأحمد (٢/ ١٨٧)، والحاكم (١/ ٣١١)، والدارقطني (٨٧٦)، [«الإرواء» (٢٤٧)].

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٦٢)، ومسلم (٦٦٩) واللفظ له.

(٣) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٥٦١)، والترمذي (٢٢٣)، وابن ماجه (٧٨١)، والحاكم (١/ ٣٣١)، والطبراني في الأوسط (٤٢٠٧)، [«صحيح الجامع» (٢٨٢٣)].

ثالثاً: من حق الأبناء على الآباء أن يربوهم على العقيدة الصحيحة لينجوا جميعاً من عذاب الله.

استجابة لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم].

عباد الله! والاهتمام بتربية الأولاد على العقيدة الصحيحة كان محل اهتمامِ الأنبياء والصالحين.

فهذا إبراهيمُ الخليلُ عليه السلام يدعو الله أن يرزقه ولداً صالحاً، فيقول: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الصافات].

ويقول: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم].

ويقول: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾ [إبراهيم].

وهذا زكريا عليه السلام يقول: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ [آل عمران].

ويظهر اهتمامُ الأنبياء بالعقيدة أيضاً من قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة].

وهذا يعقوب عليه السلام عند موته يريد الاطمئنان على عقيدة أبنائه فيما بعد وفاته قال تعالى: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة].

وهذا لقمانُ الحكيم يوجه إلى ابنه وصايا عظيمة يحذره فيها من الشركِ ويبين له قبحه لينفر منه، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان].

وهذا رسولنا ﷺ يهتم بتربية الأطفال على العقيدة الصحيحة.

يقول ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «**يا غلام! إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك بشيءٍ إلا قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعتْ الأقلام وجفت الصحف**»(١).

رابعاً: من حق الأبناء على الآباء أن يربوهم على الآداب الإسلامية والأخلاقِ الفاضلة التي يحبها الله ورسوله ﷺ مثلاً: آداب الاستئذان:

يقول الله -عز وجل-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ۚ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٨) وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٥٩)﴾ [النور].

آداب الطعام، فهذا رسولنا ﷺ يجلسُ يوماً على الطعام ويجلس معه عمرُ بن أبي سلمة ربيبه، فتطيش يد عمر في الصحفة فيقول له ﷺ معلماً مؤدباً مربياً: «**يا غلام! سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك**»(٢).

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (١/ ٢٩٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٤/ ٤٣٠)، [«صحيح الترمذي» (٢٠٤٣)].

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٣٧٦)، ومسلم (٢٠٢٢).

فكم منا من يأمر ولده أن يسم الله عند الطعام؟ وكم منا من يأمر ولده أن يأكل باليمين، ويبين له أن الشيطان هو الذي يأكل بالشمال؟!

عباد الله! وهذا المربى الكبير لقمان الحكيم ذكره الله لنا في كتابه وهو يربي ولده على العقيدة الصحيحة والأخلاق والآداب الفاضلة لنتأسى به.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان].

ثم يربيه أيضاً على مراقبة الله فيقول له: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان]

خامساً: من حقوق الأبناء على الآباء أن يعلموهم ويربوهم على حفظ السرِّ.

فهذا أنس بن مالك ﵁ يقول: (مرَّ بيّ النبي ﷺ وأنا ألعبُ مع الصبيان، فسلم علينا، ثم دعاني فبعثني إلى حاجةٍ له، فجئتُ وقد أبطأتُ عن أمي فقالت: ما حبَسكَ أين كنت؟ فقلتُ: بعثني رسول الله ﷺ إلى حاجةٍ. فقالت: أي: بنيَّ وما هي؟ فقلت: إنها سرٌّ. قالت: لا تحدثْ بسرِ رسول الله ﷺ أحداً)[1] .

تربيه على عدم نقل الكلام؛ فالولد إذا سمع عن أبويه شيئاً يجب عليه أن لا ينقله؛ لأن ذلك يسبب الفتن والبلاء.

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٤٨٢)، وأحمد (٣/ ٢٥٣).

سادساً: من حق الأبناء على الآباء أن يعدلوا بينهم في العطايا والميراث.

قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ [النساء:١١].

وقال ﷺ: «**اعدلوا بين أولادكم في النِحل، كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر واللطف**[١]» .

وعن النعمان بن بشير أن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال: إني نحلتُ ابني هذا غلاماً كان لي، فقال رسول الله ﷺ: «**أكل ولدك نحلت مثل هذا؟**» قال: لا. فقال رسول الله ﷺ: «**فارجعه**» (وفي رواية: قال: «**اتقوا الله واعدلوا في أولادكم**» يقول النعمان: فرجع أبي فردّ تلك الصدقة)[٢] .

وفي رواية لمسلم قال: «**فليس يصلح هذا، وإني لا أشهد إلا على حق**»[٣] .

وفي رواية أحمد: «**فلا تشهدني إذاً، إني لا أشهد على جَوْر إن لبنيك عليك من الحق أن تعدل بينهم**[٤]» .

وفي «الصحيح»: «**أشهد على هذا غيري**»[٥] .

---

(١) **صحيح**:أخرجه ابن حبان (٥٠٨٢)، والبيهقي في «السنن» (٦/ ١٧٨)، [«صحيح الجامع» (١٠٤٦)].

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٥٨٦)، ومسلم (١٦٢٣).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٦٢٤).

(٤) **صحيح**:وهو جزء من حديث عند الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٦٩)، [«الموسوعة الحديثية»].

(٥) **صحيح**:أخرجه مسلم (١٦٢٣).

فليتق الله الذين يحرمون بعض أبنائهم من الميراث، أو الذين يوصون لبعض أبنائهم بشيء من الميراث دون غيرهم لأنه: «**لا وصية لوارث**»(١) فاترك يا أخي ما تملك؛ حتى إذا مت قسموه على شرع الله، وإياك والجور.

سابعاً: من حق الأبناء على الآباءِ أن يُؤَمِّنوا مُسْتَقَبلَهم.

وأظن أن حالنا وما يخطرُ في عقولنا الآن هو تأمين مستقبلِ الأولادِ بإيداع الرصيد في البنك، أو ببناء العماراتِ! لا يا عباد الله إنما التأمين يكون بتقوى اللهِ من الآباء وبالقول السديد.

قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾ [النساء]. وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَـٰلِحًا﴾ [الكهف:٨٢].

ثامناً: من حق الأبناء على الآباء أن يعلِّموهم دين الله، وفي مقدمة هذا العلم كتاب الله.

فعلى الوالد أن يقول لولده: يا بني! عليك بكتاب الله حفظاً وفهماً وتدبراً فهو تجارة رابحة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾ [فاطر].

يا بني! عليك بالقرآن فإنه يرفعك في الدنيا والآخرة.

(١) صحيح: [«الإرواء» (١٦٥٥)]، وتقدم تخريجه.

قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:١١].

وقال ﷺ: «**إن الله يرفعُ بهذا الكتابِ أقواماً ويضعُ به آخرين**»(١).

وقال ﷺ: «**يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارقَ ورتل كما كنت ترتل في دار الدنيا؛ فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها**»(٢).

يا بني! عليك بالقرآن فإنه يجعلك من خير الناس، قال ﷺ: «**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**»(٣).

يا بني! عليك بالقرآن فإنه يجعلك من أهل الله وخاصته، قال ﷺ: «**إن لله أهلين من الناس**» قالوا: يا رسول الله من هم؟ قال: «**هم أهل القرآن، أهل الله وخاصته**»(٤).

يا بني! عليك بالقرآن فإنه يحليك بتاج الكرامة يوم القيامة، قال ﷺ: «**يجيء صاحب القرآن يومَ القيامةِ فيقول القرآن: يا رب حَلِّه، فيُلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يا رب زده، فيُلبس حُلة الكرامة، ثم يقول: يا رب ارضَ عنه، فيرضى عنه، فيقال له: اقرأ وارق ويزادُ بكل آية حسنة**»(٥).

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٨١٧).

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (١٤٦٤)، والترمذي (٢٩١٤)، وأحمد (٢/ ١٩٢)،والحاكم (١/ ٧٣٩)، [«صحيح الجامع» (٨١٢٢)].

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٠٢٧).

(٤) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٢١٥)، وأحمد (٣/ ١٢٧)، والحاكم (١/ ٧٤٣)، والنسائي في الكبرى (٥/ ١٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٧٤)، [«صحيح ابن ماجه» (١٧٩)].

(٥) **حسن**: أخرجه الترمذي (٢٩١٥)، والحاكم (١/ ٧٣٨) والبيهقي في «الشعب» (٢/ ٣٤٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٤٢٥)].

يا بني! عليك بالقرآن فإنه يشفع لك يوم القيامة، قال ﷺ: «**اقرءوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه**»(١).

يا بني! تفقه في دين الله فإن رسول الله ﷺ يقول: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»(٢).

يا بني! عليك بمجالس العلم، فإن رسول الله ﷺ يقول: «**وما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده**»(٣).

وهذا لقمان يقول لولده: (يا بني! تخير المجالس على عينك، فإن وجدت قوماً يذكرون الله فاجلس معهم؛ فإن كنت عالماً نفعك علمك، وإن كنت جاهلاً علموك، ولعل الله أن يطلع عليهم برحمة فتصيبك معهم).

تاسعاً: من حق الأبناء على الآباء أن يأمروهم بمصاحبة الصالحين.

لقوله ﷺ: «**لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي**»(٤).

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٨٠٤).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٦٩٩).

(٤) **حسن**: أخرجه أبو داود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣٩٥)، والدارمي (٢٠٥٧)، وابن حبان (٥٥٤)، والحاكم (٤/ ١٤٣)، وأبو يعلى (٢/ ٤٨٢)، [«صحيح الجامع» (٧٣٤١)].

وقال ﷺ: «**إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة**»[1].

وهذا لقمان يقول لولده: يا بنيّ! (لا يأكلُ طعامك إلا الأتقياء، وشاور في أمرك العلماء).

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٥٣٤)، ومسلم (٢٦٢٨).

٢٠

الخامس عشر: الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من قصة لقمان (ج)

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّ﴾ [آل عمران:٦٢].

وقال تعالى: ﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ١٧٦﴾ [الأعراف].

عباد الله! لا زلنا في صدد الحديث عن الدروس والعظاتِ والعبرِ التي تؤخذ من قصة لقمان.

عباد الله! قلنا في الجمعتين الماضيتين: إن قصة لقمانَ التي أخبرنا الله عنها في كتابه فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ كثيرةٌ جداً، منها:

أولاً: الحكمة فضلُ الله يؤتيه منْ يشاء.

ثانياً: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

ثالثاً: واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله.

رابعاً: على الأباء أن يتقوا الله في أبنائهم.

عباد الله! وموعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع:

خامساً: -من الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من قصة لقمان- على الأبناءِ أن يتقوا الله في آبائهم.

وهذا يؤخذ من قوله تعالى في قصة لقمان: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ [لقمان].

عباد الله! الآباءُ لا يحتاجونَ إلى وصيةٍ على أبنائهم، وذلك لأنّ الولد قطعة من أبيه. والدليل على ذلك قوله ﷺ: «**إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته:**

قبضتُمْ ولدَ عبدي؟ فيقولون: نعم.

فيقول: قبضتمْ ثمرةَ فؤادِه؟ فيقولون: نعم.

فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدَك واسترجع.

فيقول الله تعالى: ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة، وسموه: بيت الحمد»(١).

---

(١) حسن: أخرجه الترمذي (١٠٢١)، وأحمد (٤/ ٤١٥)، وابن حبان (٢٩٣٧)، والبيهقي في «الشعب» (٧/ ١١٩)، [«صحيح الجامع» (٧٩٥)].

فالشاهد يا عبادَ اللهِ أنّ الولدَ قطعةٌ من أبيه ولذلكَ لا يحتاجُ الوالدُ إلى وصيةٍ على ولدهِ وإنما الذي يحتاج إلى وصيةٍ هم الأبناءُ.

عباد الله! ولذلك وصى اللهُ في كتابه الأبناء على الآباء

قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ [لقمان:١٤].

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت:٨].

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ [الأحقاف:١٥].

وقال ﷺ: «**إن اللهَ يُوصيكم بأمهاتِكم، ثم يوصيكم بأمهاتكم، ثم يوصيكم بآبائكم، ثم يوصيكم بالأقربِ فالأقربِ**»(١).

عباد الله! حقُّ الآباء على الأبناءِ عظيمٌ جداً، فهو من أعظمِ الحقوق بعد حقِّ الله -تعالى- وحقِّ رسوله.

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء:٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [النساء:٣٦].

وقال ﷺ: «**لا يجزي** -أي: لا يُكافئُ- **وَلَدٌ والداً، إلا أن يَجده مملوكاً فيشتريه فيُعتقه**»(٢).

(١) صحيح: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٦٠)، وابن ماجه (٣٦٦١)، وأحمد (٤/ ١٣٢)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٢٧٠)، والبيهقي في «الشعب» (٦/ ١٨٢)، [«صحيح الأدب المفرد» (٤٤)].

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (١٥١٠).

ابن آدم! اعلم أنّ الآباء هم السببُ الأول لوجودك في هذه الدنيا بعد اللهِ -عز وجل- ولذلك فللآباء على الأبناء حقوقٌ عظيمةٌ منها:

أولاً: مُصاحبةُ الأبناءِ للآباءِ في هذه الدنيا بالمعروفِ، والدعاء لهما والحرصُ على نصْحِهما وهدايتهما ولو كانا كافرين.

استجابةً لقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ [لقمان].

ومن الأمثلة على ذلك:

١- **قصة إبراهيم** عليه السلام مع والده آزر الكافر، حيث أخبرنا الله -عز وجل- عن إبراهيم عليه السلام وكيف كان حريصاً على هداية والده، وكيف كان يدعوه بالحسنى، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾﴾ [مريم].

٢- **قصة أبو هريرة** رضي الله عنه مع أمه التي كانت على الكفر وكانت تؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسانها، ومع ذلك كان أبو هريرة رضي الله عنه يُحْسنُ إليها ويعاملها معاملة الإبن البار ويحرصُ على هدايتها .

يقول أبو هريرة رضي الله عنه: (كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركةٌ، فدعوتها يوماً فأسمعتني في رسولِ الله ﷺ ما أكره، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي، قلت: يا رسول الله! إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى عليّ، فدعوتها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يهدي أُمّ أبي هريرة.

فقال رسول الله ﷺ: «**اللهم اهدِ أمّ أبي هريرة**» فخرجتُ مستبشراً بدعوةِ نبي الله ﷺ، فلما جئت فصرتُ إلى الباب، فإذا هو مُجافٌ، فسمعتْ أمي خشفَ قدمي، فقالت: مكانك يا أبا هريرة وسمعتُ خضخضة الماء قال: فاغتسلتْ ولبستْ دِرعها وعجلت عن خمارها، ففتحت الباب، ثم قالتْ: يا أبا هريرة! أشهدُ أن لا إله إلا الله وأشهدُ أنّ محمداً عبدهُ ورسوله. قال: فرجعتُ إلى رسول الله ﷺ، فأتيتهُ وأنا أبكي من الفرحِ، قال: قلت: يا رسول الله! أبشر قد استجاب اللهُ دعوتك وهدى أمّ أبي هريرة، فحمد الله وأثنى عليه وقال خيراً)(١).

٣- موقف أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها **مع أُمها:**

تقولُ أسماءُ بنتُ أبي بكرٍ: قدمتْ عليَّ أمي وهي مشركةٌ في عهد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسول الله ﷺ قلتُ: وهي راغبةٌ -أي: طامعةٌ فيما عندي تسألني البر والإحسان إليها- أفأصلُ أمي؟

قال ﷺ: «**نعم صلي أمك**»(٢).

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٤٩١).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٦٢٠) (٥٩٧٩)، ومسلم (١٠٠٣).

ثانياً: برُّ الأبناء للآباء يكون في حياتهما وبعد مماتهما:

ومن البر للآباء في حياتهما أن يخفض الابن الجناح عندهما، ولا يرفع صوته عندهما، ولا يقل لهما أفٍ، وأن يُحسِنُ إليهما بكل معاني الإحسان؛ استجابة لقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء].

ومن الأمثلة على ذلك:

إسماعيل عليه السلام لما قال له أبوه إبراهيم عليه السلام: ﴿يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصافات].

ولقد ذكر الله لنا هذا لنتعلم البر، ولنتعلم كيف نتعامل مع آبائنا.

وهذا أبو هريرة رضي الله عنه كان إذا دخل أرضه صاحَ بأعلى صوته: (عليك السلامُ ورحمةُ الله وبركاته يا أمّتاه، تقولُ -أمه-: وعليكَ السلام ورحمةُ الله وبركاتهُ، يقول أبو هريرة: رحمكِ الله كما ربيتني صغيراً.

فتقول -له أمُهُ-: يا بنيّ! وأنت فجزاك الله خيراً ورضيَ عنكَ كما بررتني كبيراً)[1].

ورجلٌ آخر رأى عقرباً في البيت الذي فيه أُمُه فأراد أن يقتلها أو يأخذها فسبقته فدخلت في جحرٍ، فأدخل يده في الجحر ليأخذها فجعلت تضربه أي: تلدغه-، فقيل له ما أردت إلى هذا؟

(١) **حسن الإسناد**: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١٤)، [«صحيح الأدب المفرد» (١١)].

قال: خفتُ أن تخرج من الجُحْرِ، فتجئ إلى أمي فتلدغها[١] .

وهذا رجلٌ آخر يضعُ خدّه على الأرضِ، ثم يقولُ لأمه: قومي ضعي قدمك على خدي[٢].

وهذا رجل آخر كان يقبلُ رأسَ أمه، وكان لا يمشي فوق ظهر بيت وهي تحته إجلالاً لها[٣].

ومن برّ الأبناءِ للآباءِ بعد موتهم:

أ- اجتهادُ الولدِ في طاعة الله وعبادته، واعلموا أن كل عمل صالح يعمله الابن فلأبويه من الأجر مثلُ أجره من غير أن ينقص من أجره شيء.

وذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ [النجم].

والولدُ من سعي أبيه ومن كسبه كما قال ﷺ: «**إن أطيبَ ما أكلتمْ مِن كسْبِكم، وإن أولادكم من كسبكم**»[٤].

فإن فعلت ذلك يا عبد الله! فلا يجوز لك أن تصلي وتصوم وتقول وهبت ذلك لوالدي، فإن الأجر يصلُ إليهما دون أن تهب، وهذا الذي تقوله لم يرد في السنة ولم يرد عن أحدٍ من الصحابة.

(١) «حلية الأولياء» (٦/ ٢١١)، و«سير أعلام النبلاء» (٦/ ٣١٧).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٦٢٠).

(٣) «برّ الوالدين» للحافظ الطرطوشي (ص٧٨).

(٤) **صحيح**: أخرجه الترمذي (١٣٥٨)، وابن ماجه (٢٢٩٠)، وأحمد (٦/ ١٦٢)، وابن أبي شيبة (٧/ ٢٩٤)، [«صحيح الجامع» (١٥٦٦)].

ب- ومن بر الوالدين بعد الموتِ الدعاءُ والاستغفارُ لهما:

قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء].

وقال ﷺ: «**إذا مات الإنسانُ انقطعَ عنه عمله إلا من ثلاثةٍ: إلا من صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ ينتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له**»(١).

وقال ﷺ: «**إن الرجلَ لتُرفعُ درجته في الجنة، فيقول: أنى لي هذا؟ فيقال: باستغفار ولدك لك**»(٢). هذه هي التجارة! يدعو له بعد موته.

ج- ومِنْ برِّهما بعد موتهما إكرامُ صديقهما وصلةُ إخوانهما:

قال ﷺ: «**أبر البر أن يصلَ الرجل وُدّ أبيه**»(٣).

وقال ﷺ: «**من أحبَّ أن يصل أباه في قبرهِ، فليصل إخوان أبيه من بعده**»(٤).

فهذا ابنُ عمرَ رضي الله عنهما يضربُ لنا أروعَ الأمثلةِ في ذلك:

كان ابنُ عمر إذا خرجَ إلى مكة كان له حمارٌ يتروّحُ عليه إذا ملّ ركوبَ الراحلةِ، وعمامةٌ يشدُّ بها رأسِهُ فبينا هو يوماً على ذلك الحمار إذ مرّ به أعرابيٌّ.

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٦٣١).

(٢) **حسن**: أخرجه ابن ماجه (٣٦٦٠)، وأحمد (٢/ ٥٠٩)، والطبراني في الأوسط (٥١٠٨)، والبيهقي في «السنن»(٧/ ٧٨)، [«الصحيحة» (١٥٩٨)].

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٥٥٢).

(٤) **صحيح**: أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٤٣٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (١٠/ ٣٧)، [«صحيح الجامع» (٥٩٦٠)].

فقال: ألست ابن فلانٍ بن فلانٍ؟

قال: بلى. فأعطاه الحمارَ، وقال: اركب هذا، والعمامةَ، قال: اشدُدْ بها رأسَكَ، فقال له بعضُ أصحابه: غفرَ الله لك، أعطيتَ هذا الأعرابي حماراً كنتَ تُروّح عليه وعمامةً كنتَ تشدُّ بها رأسَكَ فقال: إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنّ مِنْ أبر البرِّ صلةُ الرجل أهلَ ودّ أبيه** -أي: أصحاب أبيه- **بعد أن يُولِّي**» وإنّ أباه كان صديقاً لعمر رضي الله عنه[1].

و(زار ابنُ عمر رضي الله عنه رجلاً في المدينةِ فقال له: أتدري لِـمَ أتيتك؟ قال: لا.

قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**من أحبَّ أن يصل أباه في قبره فليصل إخوانَ** -أي: أصحاب- **أبيه بعده**» وإنه كان بين أبي عمر وبين أبيك إخاء وود فأحببتُ أن أصل ذاك)[2].

د- ومن برهما بعد موتهما التصدق عنهما، بعلمٍ، أو بناءِ مسجدٍ، أو حفر بئر، أو سبيل، أو مصحفٍ. أي من الصدقات الجارية ليصلَ الأجرُ منها إلى والده.

عن عائشة رضي الله عنها: «أن رجلاً قال: إن أُمي افتُلِتَتْ نفسُها -أي: سلبت أي: ماتت فجأة- [ولم تُوصِ] وأظنُّها لو تكلمت تصدقت، فهل لها أجرٌ إن تصدقتُ عنها [ولي أجرٌ]؟.

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٥٥٢).

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن حبان (٤٣٣)، وأبو يعلى (١٠/ ٣٧)، [«صحيح الجامع» (٥٩٦٠)].

فقال ﷺ: «**نعم، فتصدَّق عنها**»(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن سعد بنَ عبادة تُوفيت أمهُ وهو غائبٌ عنها فقال: يا رسول الله! إن أمي توفيتْ، وأنا غائبٌ عنها، فهل ينفعها شيء إن تصدقتُ به عنها؟

قال: «**نعم**» قال: فإني أُشهِدُك أن حائطي المخراف -أي: المثمر- صدقةٌ عليها»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلاً قال للنبي ﷺ: إن أبي مات وترك مالاً ولم يُوص، فهل يُكفرُ عنه أن تُصدِّق عنه؟ قال ﷺ: «**نعم**»(٣).

معشر الأبناءِ! إن لبرِّ الآباءِ ثمراتٍ في الدنيا والآخرة.

فيا معشر الأبناءِ! بروا آباءكم؛ فإن دعاء الآباءِ مستجابٌ.

قال ﷺ: «**ثلاث دعواتٍ يُستجابُ لهنّ لا شك فيهنّ: دعوةُ المظلوم، ودعوةُ المسافر، ودعوة الوالد لولده**»(٤).

فأبشر أيها البار إن كنتَ تخرج كل يومٍ وأمك وأبوك يدعوان لك، وأبشرْ بالذلِّ والفقرِ والهوانِ أيها العاق إن كنتَ تخرج كلّ يوم وأمك وأبوك يدعوان عليك.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٧٦٠) (١٣٨٨)، ومسلم (١٠٠٤) انظر [«أحكام الجنائز» (ص٢١٧)].

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٧٦٢).

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٦٣٠).

(٤) **حسن**: أخرجه ابن ماجه (٣٨٦٢)، [«صحيح ابن ماجه» (٣١٢٩)].

يا معشر الأبناء! بروا آباءكم؛ فإنّ برّ الوالدين سببٌ لإجابة الدعاء:

قال ﷺ: «**يأتي عليكم أُويسُ بنُ عامرٍ من أمداد اليمن من مُراد ثم من قرن، كان به برصٌ فبرأ منه إلا موضع درهم، له والدةٌ هو بها برٌّ، لو أقسم على الله لأبره، فإن استطعتَ أن يستغفرَ لك فافعل**»(١) فمن بره لأمه كان إذا رفع يديه ودعا استجاب الله له.

يا معشر الأبناءِ! بروا آباءكم؛ فإن بر الوالدين سببٌ لتفريج الكروب والخروج من الأزمات، والدليل على ذلك في قصة الثلاثة الذين دخلوا الغار وأيقنوا الهلاك وقالوا: لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعو الله تعالى بصالح أعمالكم.

فقال رجلٌ منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبقُ قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بي في طلب الشجر يوماً فلم أرحْ عليهما حتى ناما، فحلبتُ لهما غبوقهما فوجدتُهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثتُ والقدح على يدي أنتظرُ استيقاظهما حتى برقَ الفجرُ، والصبية يتضاغون عند قدمي، فاستيقظا فشربا غبوقهما. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرّج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه(٢).

يا معشر الأبناء! بروا آباءكم، فإن بر الوالدين سببٌ لرضى الله -تبارك وتعالى- نقول ذلك في زمان كثر فيه العقوق فما من يوم إلا ووالدٌ أو والدة تشتكي من عقوق ولدها.

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٥٤٢).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٢١٥)، ومسلم (٢٧٤٣).

قال ﷺ: «**رضا الربِّ في رضا الوالدين، وسخطه في سخطهما**»(١).

يا معشرَ الأبناءِ! بروا آباءكم؛ فإن بر الوالدين من أفضلِ وأحبِّ الأعمالِ بعد عبادةِ الله -عز وجل-.

يقول ابن مسعودٍ رضي الله عنه: سألت النبي ﷺ: أيُّ العملِ أحبُّ إلى الله؟

قال: «**الصلاةُ على وقتها**» قال: ثم أي؟ قال: «**ثم برُّ الوالدين**» قال: ثم أي؟ قال: «**الجهاد في سبيل الله**»(٢).

فانظروا عباد الله! كيف جعل النبيُّ ﷺ بر الوالدين بعد الصلاةِ مباشرة -والتي هي من أحب الأعمالِ إلى الله- وقبلَ الجهادِ في سبيل الله، مما يدل على أن برّ الوالدين مقدم على الجهاد في سبيل الله.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: جاءَ رجلٌ إلى النبي ﷺ فاستأذنه في الجهاد فقال: «**أحيٌّ والداك؟**» قال: نعم. قال: «**ففيهما فجاهد**»(٣).

ويقول عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أقبل رجلٌ إلى نبي الله ﷺ فقال: أُبايعك على الهجرة والجهاد، أبتغي الأجرَ من الله -عز وجل-. قال ﷺ: «**فهل من والديك أحدٌ حيٌّ؟**».

---

(١) **صحيح**: أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ١٧٧)، [«صحيح الجامع» (٣٥٠٧)].

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٢٧)، ومسلم (٨٥).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٠٠٤)، ومسلم (٢٥٤٩).

قال: نعم، بل كلاهما، قال ﷺ: «**فتبتغي الأجر من الله -عز وجل-؟**» قال: نعم. قال: «**فارجع إلى والديك فأحسن صُحْبتهما**»(١).

يا معشر الأبناء! بروا آباءكم فإن بر الوالدين طريق وسبب لدخول الجنة.

قال ﷺ: «**رغم أنفه، ثم رغم أنفه، ثم رغم أنفه**» قيل: من يا رسول الله؟ قال: «**من أدرك والديه عنده الكبر، أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة**»(٢).

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٥٤٩).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٥٥١).

٢١

السادسة عشر: قصة ابني آدم (قابيل وهابيل)[(١)]

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف].

ويقول سبحانه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾ [الكهف:١٣].

ويقولُ -جلا وعلا-: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران:٦٢].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدة من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **الفرقان من قصص القرآن دروس وعظاتٌ وعبرٌ**.

---

(١) لم تأت هذه التسمية في الكتاب ولا في السنة وإنما ذكرها أهل التفسير.

أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **قصةُ ابنيْ آدم (قابيل وهابيل)**.

عباد الله! قصة ابني آدم (قابيل وهابيل) يُخبرنا عنها ربنا -جل وعلا- في كتابه، فيقول سبحانه وتعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [المائدة].

عباد الله! وكلامنا عن قصة ابني آدم ستكون حول العناصر التالية:

العنصرُ الأولُ: هكذا يفعلُ الحسدُ بأهلهِ.

العنصر الثاني: هكذا يفعل الإيمان بأهله.

العنصر الثالث: من قتل نفساً بغير حقٍّ فكأنما قتل الناسَ جميعاً.

العنصرُ الرابع: القتلُ سببٌ لخسرانِ الدنيا والآخرة.

العنصرُ الأولُ: هكذا يفعلُ الحسدُ بأهلهِ.

عباد الله! الحسد نوعان: محمودٌ ومذمومٌ

فالحسدُ المحمودُ: هو حسدُ الغبطةُ، وهوأن يتمنى الإنسانُ أن يكونَ عندهُ مثلَ ما عند أخيه من النعم من غير أن يتمنى زوال النعمةُ عن أخيه، وهذا لا بأس به ولا يُعابُ على صاحبه ولذلك يقول: ﷺ: «**لا حسدَ إلا في اثنتين: رجلٌ آتاهُ اللهُ القرآنَ فهو يقومُ به آناءَ الليل وآناءَ النهار، ورجلٌ آتاهُ الله مالاً فهو ينفقه آناءَ الليلِ وآناء النهار**»[1].

وأما الحسد المذمومُ: فهو أن يتمنى الحاسدُ أن تزولَ النعمةُ من عندِ أخيه سواءٌ انتقلت إليه أم لا، ومثال هذا يظهرُ لنا من قصة ابني آدمَ (قابيل وهابيلُ) إذْ تقربا بقربانٍ إلى اللهِ فتَقَبَلَ اللهُ مِن هابيلَ ولم يتقبلْ من قابيل، فحسد قابيل أخاهُ هابيل على هذه النعمةِ ودفعهُ الحسد إلى البغي، ودفعه البغيُّ إلى القتل.

قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة:٢٧-٣٠].

عباد الله! هكذا يفعل الحسدُ بأهله.

عباد الله! ومن الأمثلة على ذلك في كتاب الله:

إبليسُ لما رأى أن الله خلق آدم بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمهُ الأسماء كلّها حسده، ودفعهُ هذا الحسدُ إلى عدمِ السجود لآدم، ولم يكتفِ

(١) **صحيح:** أخرجه البخاري (٧٥٢٩)، ومسلم (٨١٥).

بذلك بل دفعه الحسد إلى الحرص على إخراج آدم من الجنة، ولم يكتف بذلك أيضاً بل دفعه الحسدُ إلى أنه أقسم بالله على إغواءِ بني آدم وإعلان الحربِ على آدم وذريته إلى يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الإسراء]، وقال تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [ص].

وها هم اليهود والنصارى حسدوا المسلمين على نعمةِ الإسلام فدفعهم هذا الحسدُ إلى أن يعملوا بالليل النهار ليردوا المسلمين عن دينهم، قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة:١٠٩]، ولم يكتفوا بذلك بل دفعهم الحسدُ إلى إعلانِ الحرب على المسلمين ليردوهم عن دينهم، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة:٢١٧].

وها هم إخوةُ يوسف دفعهم الحسدُ إلى أن دبروا للتخلص من يوسف بأي طريقة ولو بالقتل، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يوسف].

نعم يا عباد الله! هكذا يفعل الحسدُ بأهلهِ.

عباد الله! الحسدُ هو داءُ الأُممِ الذي يدفعُ صاحبهُ إلى سوءِ الظنِّ وإلى التجسس والغيبة والنميمة والتباغُض والتدابر ويدفعُ إلى البغي والقتل.

قال ﷺ: «**سيصيبُ أمتي داءُ الأمم**». فقالوا: يا رسول الله! وما داءُ الأمم؟ قال ﷺ: «**الأشرُّ والبطرُ والتكاثرُ والتناجش في الدنيا، والتباغضُ والتحاسدُ حتى يكون البغيُّ**»[1].

وقال ﷺ: «**دبَّ إليكم داءُ الأممِ قَبْلَكُم البغضاء والحسد، والبغضاءُ هي الحالقةُ، ليس حالقة الشعر، ولكن حالقة الدين والذي نفسي بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أنبئكم بما يُثَبِّتُ لكم ذلك؟ أفشوا السلام بينكم**»[2].

عباد الله! ولما كان الحسدُ يدفع صاحبهُ إلى البغي والقتل جاء **التحذيرُ من رسول الله ﷺ من الحسد**، فقال ﷺ: «**إياكُم والظنَّ، فإن الظنَّ أكذبُ الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم. المسلم أخو المسلم، لا يظلمهُ، ولا يخذُلُه، ولا يحقرُه، التقوى ههنا، التقوى ههنا، التقوى ههنا، -ويشير إلى صدره- [ثلاث مرات].**

بحَسْبِ امرئٍ من الشرِّ أن يَحْقِرَ أخاهُ المسلم، كلُّ المسلم على المسلم حرامٌ دمُه وعِرْضهُ وماله»[3].

---

(١) **صحيح**: أخرجه الطبراني في الأوسط (٩/ ٢٣)، والحاكم (٤/ ١٨٥)، [«الصحيحة» (٦٨٠)].

(٢) **حسن لغيره**: أخرجه الترمذي (٢٥١٠)، وأحمد (١/ ١٦٧)، والبيهقي في «الشعب» (٥/ ٢٦٧)، والبزار (٦/ ١٩٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٦٩٥)].

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٠٦٤)، ومسلم (٢٥٦٣) (٢٥٦٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٨٥)].

وقال ﷺ: «**لا يَجْتَمِعُ في جوفِ عبدٍ غُبارٌ في سبيل الله وفَيْحُ جهنَّم، ولا يجتمعُ في جوفِ عبدٍ الإيمانُ والحسدُ**»[1].

وقال ﷺ: «**لا يزالُ الناسُ بخيرٍ ما لم يتحاسدوا**»[2].

عباد الله! الحسدُ مرضٌ خطيرٌ يضرُّ بالحاسدِ والمحسودِ:

أمّا ضررهُ بالحاسدِ فمن وجوهٍ كثيرةٍ:

منها: أنه يُدخلُ الهمَّ والحزنَ إلى قلبِ الحاسدِ، ولذلك قيل في الحسد: إنه مذمومٌ وصاحبُهُ مغموم وغمهُ لا لمصيبةٍ حلَّتْ في نفسه أو في ماله أو في أهل بيته وإنما لنعمةٍ أوتيَّها غيرهُ فهو لا يشفى من غمهِ وحزنهِ إلا بزوال نعمة المحسود، وهذا حزنٌ لا مثيلَ له بين الأحزان، وهذا لا نجدهُ إلا في حزنِ الحاسد لنعمة المحسود.

ومنها: أن الحسدَ يجرُّ إلى معصية الله بمخالفةِ أمره أو بفعل ما نهى عنه، ولقد كان الحسد أول ذنبٍ عُصى الله به في السماء، وأولُ ذنب عُصِيَ به في الأرض: حَسَدَ إبليسُ آدم عليه السلام فلم يُنفذ أمر الله بالسجود لآدم حسداً منه له، وحسدَ قابيلُ أخاه هابيلَ على تقبل الله لقربانه فقتله.

---

(١) **حسن:** أخرجه ابن حبان في صحيحه (٤٥٨٧)، والبيهقي في «الشعب» (٥/ ٢٦٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٨٦)].

(٢) **حسن:** أخرجه الطبراني في المعجم «الكبير» (٨/ ٣٠٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٨٨٧)].

ومنها: أن الحاسد في حسده لمن حوله كأنما يتسخّط على قضاء الله ويعترضُ على ربه أن أعطى المحسود هذه النعمة التي لا يرضاها الحاسدُ له، وهذا أمرٌ كبيرٌ وعظيم جداً، قد يجرُّ الحاسد إلى الردةِ عن الإسلام.

ومنها: أن الحسدَ يُسَّودُ قلبَ الحاسدِ ويُشغلُهُ عن ذكر الله وهذا خسرانٌ عظيمٌ للحاسد.

عباد الله! أما ضررهُ بالمحسود فهو واضحٌ، وذلك كما حدثَ لهابيل فقد قُتِلَ بسببِ الحسد الذي ملأ قلبَ قابيل، ولذلك أمرنا الله -عز وجل- بالاستعاذة به من شرِّ الحاسد إذا حسد، فقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾ [الفلق].

وكان جبريلُ عليه السلام يرقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من شر هذه النوعية من البشر، قال عليه السلام: «**بسم الله أرقيك، من كلِّ شيءٍ يؤذيك، من شرِّ كلِّ نفسٍ أو عينِ حاسدٍ الله يشفيك، باسم الله أرقيك**»[1].

العنصر الثاني: هكذا يفعلُ الإيمان بأهلهِ.

عباد الله! الإيمانُ إذا تمكن من قلب المؤمن دفعهُ إلى كلِّ خيرٍ، ومنعهُ من كلِّ شرٍّ، وهذا يظهرُ في قصة ابني آدم (قابيل وهابيلُ) فهذا هابيلُ الابنُ البارُّ المؤمن التقيُّ يقول لأخيه الفاجرِ المجرمِ الذي قال له: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ يقول له: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢١٨٦).

ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [المائدة].

عباد الله! هكذا يفعل الإيمان بصاحبه؛ يدفعهُ إلى كلِّ خيرٍ ويمنعهُ من كلِّ شرٍّ، ومن الأمثلة على ذلك أيضاً:

١- ذلك الرجل المؤمنُ الذي جاء من أقصا المدينة يسعى وقد دفعهُ إيمانه إلى إسداء النصيحة لموسى عليه السلام قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [القصص].

٢- وذلك الرجلُ المؤمن الذي كان يكتم إيمانه وكان حاضراً في مجلس فرعون الذي قرر فيه قتل موسى، فدفعه إيمانه إلى الدفاع عن موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر:٢٨].

٣- وذلك الرجلُ المؤمنُ الذي جاء من أقصا المدينة يسعى لينصح قومه باتباع المرسلين، قال تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾ [يس].

٤- وهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه عندما رأى كفارَ مكة يعتدون على رسول الله صلى الله عليه وسلم دفعه إيمانه إلى الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يقول لقومه (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله..)[١] .

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٦٧٨).

٥- وعندما أمر النبيُّ ﷺ بالصدقةِ قام أبو بكر رضي الله عنه -وقد دفعه إيمانه- فذهب إلى بيته وجاء بكل ماله، فلما قال له النبيُّ ﷺ: «**يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟**» قال أبو بكرٍ: أبقيتُ لهم الله ورسوله(١). هكذا يفعل الإيمان بأهله.

العنصرُ الثالثُ: من قتل نفساً بغير حق فكأنما قتل الناس جميعاً.

عباد الله! وهذا يؤخذ من قصة ابني آدم، من فعل قابيل الذي قتل أخاهُ بغير حق.

قال تعالى عنه أنه قال لأخيه: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ وقال تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ﴾، وقال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة].

عباد الله! القتل جريمةٌ نكراء سواء قتل الإنسان غيره متعمداً، أو قتل غيرهُ خطأً، أو قتل نفسه.

عباد الله! وقد جاء الإسلامُ يحذرُ من القتل تحذيراً شديداً، سواء قتل الإنسان غيره متعمداً، أو قتل غيره خطأً، أو قتل نفسه.

عباد الله! أما بالنسبة للقتل المتعمدِ فقد جاءت الآياتُ والأحاديثُ تحذرُ من أن يقتل الإنسان غيره متعمداً، قال تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا

(١) حسن: وهو جزء من حديث عند أبي داود (١٦٧٨)، والترمذي (٣٦٧٥)، والبيهقي في «السنن» (٤/ ١٨٠)، [«المشكاة» (٦٠٣٠)].

يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ [الفرقان].

وقال ﷺ: «**لو أن أهلَ السماء والأرضِ اشتركوا في دم مؤمن لكبَّهم الله عز وجل في النار**»(١).

وقال ﷺ: «**لزوالُ الدنيا أهونُ على الله من قتلِ مؤمنٍ بغير حق**»(٢).

وقال ﷺ: «**كلُّ ذنبٍ عسى اللهُ أن يغفره، إلا الرجلَ يموتُ مشركاً أو يقتلُ مؤمناً متعمداً**»(٣).

وقال ﷺ: «**لن يزالَ المرءُ في فُسحةٍ من دينه ما لم يُصبْ دماً حراماً**»(٤).

وقال ﷺ: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتلُ والمقتولُ في النار**». قيل: يا رسول الله! هذا القاتل فما بال المقتولِ؟ قال ﷺ: «**إنه كان حريصاً على قتل صاحبه**»(٥).

وقال ﷺ: «**لا ترجعوا بعدي كفاراً يضربُ بعضُكُم رقابَ بعض**»(٦).

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (١٣٩٨)، [«صحيح الجامع» (٥٢٤٧)].

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٢٦١٩)، والبزار (٦/ ٣٧٥)، والبيهقي في «الشعب» (٤/ ٣٤٥)، [«صحيح ابن ماجه» (٢١٣٨)].

(٣) **صحيح لغيره**: أخرجه أحمد (٤/ ٩٩)، والحاكم (٤/ ٣٩١)، والنسائي (٣٩٨٤)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٤٤٥)].

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٨٦٢).

(٥) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٨٧٥)، ومسلم (٢٨٨٨).

(٦) **صحيح**:أخرجه البخاري (١٢١)، ومسلم (٦٥).

وقال ﷺ: «**كلُّ المسلمِ على المسلمِ حرامٌ، دمُهُ ومالهُ وعرضُهُ**»(١).

وقال ﷺ في حجة الوداع: «**فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرامٌ، كحرمةِ يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا**»(٢).

عباد الله! أما بالنسبة للذي يقتلُ غيرهُ خطأً، أي: أنه لا يقصدُ قتله حقيقةً كالذي يضرب رجلاً بسيارته فيموت، فحفاظاً على أرواحِ الناس، وحفاظاً على دماءِ المسلمين شرع الله على من قتل مؤمناً خطأً الدية والكفارة.

والدية: هي حقُّ المقتول تُعطى للورثةِ، وإن سامحوا بنفسٍ طيبةٍ فلهم ذلك.

وأما الكفارة: فهي حقُّ الله لا تسقطُ عن القاتل خطأً أبداً، وهي عِتقُ رقبةٍ مؤمنةٍ، فإن لم يجدْ فصيامُ شهرين متتابعين.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾﴾ [النساء].

عباد الله! وأما بالنسبة **للذي يقتل نفسه «المنتحر»** فحفاظاً على أرواح الناس، حرم الله على الإنسان أن يقتل نفسه، فنفسك هذه أنت لا تملكها، إنما هي لله ولا يجوز لك أن تتجرأ عليها بالقتل.

---

(١) **صحيح:** أخرجه مسلم (٢٥٦٤).

(٢) **صحيح:** أخرجه البخاري (٥٥٥٠)، ومسلم (١٦٧٩).

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:١٩٥].

وقال ﷺ: (**كان فيمن قبلكم رجلٌ به جرحٌ فَجَزِعَ، فأخذ سيكناً فحزّ بها يده فما رقأ الدم حتى مات** قال الله تعالى: **بادرني عبدي بنفسِهِ حرمتُ عليه الجنة**)(١).

وقال ﷺ: «**من تردّى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيه خالداً فيها أبداً، ومن تحسى سُمّاً فقتل نفسه فسُمُّه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدتهُ في يده يجأُ بها في بطنه في نارِ جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً**»(٢).

عباد الله! قتل النفس بغير حق جريمةٌ في حق الإنسانية ولذلك قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [المائدة].

العنصرُ الرابعُ: القتل سببٌ لخسرانِ الدنيا والآخرة.

عباد الله! وهذا يؤخذ من قصة ابني آدم من فعل القاتل قابيل، قال تعالى: ﴿فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٤٦٣)، ومسلم (١١٣).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٥٧٧٨)، ومسلم (١٠٩).

عباد الله! قتلَ الأخُ أخاه! لكن ماذا استفاد من ذلك؟ هل حقق مراده وأهدافه؟ هل نال ما وعده به شيطانهُ اللعينُ ونفسهُ الشرّيرة؟ إنه لم يجنِ من سفكِ دم أخيه خيراً، ولم يستفدْ منه شيئاً، لقد خسرَ خسارةً مطلقةً ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾، نعم، لقد كانت خسارته عامةً شاملةً، مستوعبةً لكل ما في كلمة «الخسارة» من المعاني، ولكل ما فيها من الصورِ والظلالِ، ولكل ما تحمله من المظاهر، ومن مظاهر خسارته:

١ - أَنَّه خسر أخاه عندما سفك دمه.

٢ - أَنَّه خسر والديه وأهله حيث غضبُوا عليه لجريمته.

٣ - أَنَّه خسر معاني الأخوة التي كانت تربطُهُ بأخيه.

٤ - أَنَّه خَسرَ كلّ معاني الإنسانية الخيّرة، مثل الرحمة والمودة والتسامح.

٥ - أَنَّه خسر راحة نفسه وهدوءه واطمئنانه وسعادته.

٦ - أَنَّه خسر حياته حيث حوّلها من حياة خيّرة نافعة إيجابية إلى حياة شريرة ظالمة معتدية.

٧ - أَنَّه خسر آخرته، بأن أخرجها من رحمة الله وجنته إلى عذابه وناره.

٨ - أَنَّه خسر تاريخه، حيث صار رمزاً للبغي والظلم والعدوان وأصبح مثالاً لمعاني الشر والفساد، وقدوةً لكل قاتلٍ ظالم شرير، إلى غير ذلك من صور الخسارة ومظاهرها وألوانها التي يلقيها قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

وهذه الخسارة كلها كان سببها الاستجابته لوساوس الشيطان، وهذه الخسارة يقع فيها كل من عصى الله؛ فإنها نتيجةٌ طبيعيةٌ لكل ذنب ومعصية، وهي نهاية كل من اتبع خطوات الشيطان، وهي حصيلة الكفر والفسوق والعصيان.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾﴾ [النساء]، وقال تعالى: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المجادلة].

عباد الله! أما الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من قصة ابني آدم فستتحدث عنها في الجمعة القادمة -إن شاء الله تعالى-.

٢٢
السابع عشر: الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من قصة بني آدم (قابيلُ وهابيلُ)

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف:١١١].

وقال تعالى: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدة من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **الفرقان من قصص القرآن دروس وعظاتٌ وعبرٌ**.

أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **الدروس والعظات والعبرُ التي تؤخذ من قصة ابنى آدم (قابيلُ وهابيلُ)**.

عباد الله! قصة ابني آدم التي أخبرنا الله عنها في كتابه والتي تكلمنا عنها في الجمعة الماضية فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: تقوى الله سببٌ لسعادةِ الدنيا والآخرة وذلك لأنّ:

التقوى سببٌ لقبولِ الأعمال عند الله، وهذا يؤخذ من قصةِ ابني آدمَ، من فعل هابيل وقوله: قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [المائدة].

التقوى تجعلُ أهلها من أكرمِ الناسِ عند اللهِ

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].

وعن أبي هريرة ﷺ أنه قيل: يا رسول الله! مَنْ أكرمُ الناسِ؟ قال: «**أتقاهم**»(١).

تقوى الله سببٌ للحصول على الرزق الحلال:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف:٩٦].

تقوى الله سببٌ لتيسير الأمور، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾﴾ [الطلاق].

وقال تعال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الليل].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٣٨٣)، ومسلم (٢٣٧٨) واللفظ له.

تقوى الله سببٌ لتكفير السيئات ومغفرة الذنوب، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنفال].

تقوى الله سببٌ للتمكين في الأرض، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يوسف].

تقوى الله سببٌ للحصول على محبة الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٤﴾﴾ [التوبة]

تقوى الله سببٌ للحصول على معية الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل].

تقوى الله تجعلك من أولياء الله، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس].

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجاثية]

وقال تعالى: ﴿إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤].

تقوى الله تُنجي صاحِبها من عذاب النار، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم].

وقال تعالى: ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ بِمَفَازَتِهِمۡ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الزمر].

وقال تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾﴾ [الليل].

تقوى الله سببٌ للفوز بالجنةِ، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ [مريم].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾﴾ [الذاريات].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾﴾ [الطور]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾﴾ [القمر].

عباد الله! التقوى هي زادنا إلى جناتِ النعيم، قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة].

ابن آدم!

تـزودْ مـن معاشـك للمعـاد ... وقـم لله واجمـعْ خـيرَ زاد
ولا تجمـعْ مـن الـدنيا كثـيراً ... فـإن المـال يُجمـعُ للنفـاد
أتـرضى أن تكـون رفيـق قـومٍ ... لهـم زادٌ وأنـت بغـير زادِ؟

ابن آدم! تذكر أن العمرُ قصيرٌ والموتُ يأتي بغتة!

تزودْ مـن التقـوى فإنـك لا تـدري ... إذا جنَّ ليلٌ هـل تعـيش إلى الفجـر
فكم من صحيحٍ مات من غير علـةٍ ... وكم من عليلٍ عاش حيناً من الدهر

ابن آدم! إنك تقترب من الموت والموت يقترب منك في كل لحظةٍ!

نسير إلى الآجال في كل لحظة ... وأيامنا تطوى وهن مراحل
ولم أرَ مثل الموت حقاً كأنه ... إذا ما تخطته الأماني باطل
وما أقبح التفريط في زمن الصبا ... فكيف به والشيب للرأس شاعل
ترحل من الدنيا بزاد من التقى ... فعمرك أيام وهن قلائل

عباد الله! سعادةُ الدنيا مصدرها تقوى الله، ولذلك قال القائل:

ولستُ أرى السعادة جمعَ مالٍ ... ولكنَّ التقيَّ هو السعيدُ
وتقوى الله خيرُ الزَّادِ ذُخْراً ... وعندَ الله للأتقى مزيدُ

عباد الله! من أجل الحصول على سعادة الدنيا والآخرة أمر اللهُ عباده بالتقوى ووصاهم بها:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران:١٠٢].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾ [الأحزاب].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر:١٨].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [النساء:١٣١]

عباد الله! ولقد أكثر الرسول ﷺ من وصيةِ أصحابه بالتقوى، فوصاهم بها أفراداً وجماعات، ومنها:

١- عن أبي سعيد الخدري أن رجلا جاءه فقال: أوصني. فقال: سألت عما سألتُ عنه رسول الله ﷺ من قبلك فقال: «**أوصيك بتقوى الله**»(١).

(١) حسن: وهو جزء من حديث أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٨٢)، وأبو يعلى (٢/ ٢٨٣)، [«الصحيحة» (٥٥٥)].

٢- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله! إني أُريدُ أن أسافرَ فأوصني. قال: «**عليك بتقوى الله...**»(١).

٣- وعن أبي ذرٍّ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**اتق الله حيثما كنت**»(٢).

٤- وعن أبي أمامة قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطبُ في حجة الوداع فقال: «**اتقوا الله ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدّوا زكاةَ أموالكم، وأطيعوا ذا أمركم، تدخلوا جنةَ ربكم**»(٣).

٥- وعن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسولُ الله ﷺ يوماً بعد صلاة الغداةِ موعظةً بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجلٌ: إنّ هذه موعظةُ مودِّعٍ فماذا تعهد إلينا يا رسول الله؟!

قال: «**أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة ...** »(٤).

ثانياً: من الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من قصة ابنى آدم: الخوف من الله يمنع صاحبه من كل شرٍّ ويدفعه إلى كل خيرٍ.

عباد الله! وهذا يؤخذُ من قصةِ ابنى آدم، من فعل هابيلَ ورده عندما قال له أخوهُ قابيل﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ فقال هابيل: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ

---

(١) **حسن**: أخرجه الترمذي (٣٤٤٥)، [«صحيح الجامع» (٤٠٤٦)].

(٢) **حسن**: أخرجه الترمذي (١٩٨٧)، عن أحمد (٥/ ١٥٣)، والدارمي (٢٧٩١)، والحاكم (١/ ١٢١)، [«صحيح الجامع» (٩٧)].

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٦١٦)، وأحمد (٥/ ٢٥١)، والحاكم (١/ ٥٢)، [«الصحيحة» (٨٦٧)].

(٤) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، والحاكم (١/ ١٧٤)، [«صحيح الجامع» (٢٥٤٩)].

أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [المائدة] فالخوف من الله يمنع صاحبه من القتل.

وكذلك الخوف من الله يمنع صاحبه من الزنا، ومن الأمثلة على ذلك:

١- يوسف عليه السلام عندما راودته امرأةُ العزيز عن نفسه وغلقت الأبواب، وقالت: هيت لك فكان جوابه ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يوسف].

وعندما طلب منه النسوةُ ذلك أيضاً ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ﴾ [يوسف:٣٣].

وقال ﷺ: «**سبعةٌ يظلهم اللهُ تعالى في ظله يومَ لا ظلَ إلا ظله**» -وذكر منهم-: «**ورجلٌ دعتهُ امرأةٌ ذاتُ منصبٍ وجمالٍ فقال: إني أخاف الله**»(١).

٢- الثلاثةُ الذين دخلوا الغار وأيقنوا الهلاك فقال أحدهم: (اللهم إنه كانت لي بنت عمٍّ كانتْ أحبَّ الناس إليّ (وفي رواية: أحببتها كأشدِّ ما يُحبُّ الرجالُ النساءَ) فأردتُها عن نفسِهَا فامتنعت مني حتى ألمت بها سَنَةٌ من السنين فجاءتني فأعطيتُها عشرين ومائة دينار على أن تُخلِّي بيني وبين نفسها ففعلت، حتى إذا قدرت عليها (وفي رواية: فلما وقعت بين رجليها) قالت: يا عبدالله اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفتُ عنها وهي أحبُّ

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٤٢٣)، ومسلم (١٠٣١).

الناس إليَّ وتركتُ الذهب الذي أعطيتها. اللهم إن كنتُ تعلم أني قد فعلتُ ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت عنهم الصخرة، غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها)[1].

عباد الله! إن الخوفُ من الله يمنع من اقتراف المعاصي ويدفع إلى فعل الطاعات

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون].

وتقول عائشة رضي الله عنها: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون:٦٠] قالت عائشة: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: «**لا يا بنتَ الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون ألا يُقبل منهم** ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾» [المؤمنون][2].

وقال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [الإنسان].

وقال تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾﴾ [النور].

---

(١) صحيح: «مختصر صحيح البخاري» (١٠٦٥)، ومسلم (٢٧٤٣).

(٢) حسن: أخرجه الترمذي (٣١٧٥)، وابن ماجه (٤١٩٨)، وأحمد (٦/ ١٥٩)، وأبو يعلى (٤٩١٤)، والبيهقي في «الشعب» (١/ ٤٧٧)، [«صحيح ابن ماجه» (٣٤٠٣)].

وقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ [الفرقان].

وقال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [السجدة].

عباد الله! الخوف من الله يدفعُ إلى طاعةِ الله، ولذلك فإنّ أعبدَ الخلقِ لله هم الذين يخافون من الله.

ومن الأمثلة على ذلك:

١-الملائكة خلقٌ لا يعصون الله ما أمرهم ويعبدونه بالليل والنهار لا يفترون، قال تعالى في وصف الملائكة: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النحل].

وقال ﷺ: «**ليلةَ أُسريَ بي مررت على جبريلُ في الملأ الأعلى، كالحِلسِ البالي من خشية الله عز وجل**»[(١)].

٢- الأنبياءُ والرسل هم صفوة الخلق ومع ذلك يخافون من الله، قال تعالى بعد أن ذكر الأنبياء: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء].

---

(١) **حسن**: أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٤٦٧٩)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٦٢١)، [«ظلال الجنة» (٦٢١)].

٣- وها هو رسولُنا ﷺ أفضل الخلق عند اللهِ؛ عبدٌ غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ومع ذلك يخافُ من الله،

قال تعالى عن رسوله ﷺ: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ١٥﴾ [الأنعام].

٤- الصحابة والصالحون من أمةِ محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ١٦﴾ [السجدة].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾ [المؤمنون].

عباد الله! الخوفُ من الله سببٌ لدخول الجنة،

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ ١٧﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ٢٥ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ٢٦ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ٢٧ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ٢٨﴾ [الطور]

وقال تعالى: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ٤٦﴾ [الرحمن].

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ٤٠ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٤١﴾ [النازعات].

وقال ﷺ: «**من خافَ أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة**»(١).

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٤٥٠)، والحاكم (٤/ ٣٤٣)، والبيهقي في «الشعب» (١/ ٥١٢)، [«صحيح الجامع» (٦٢٢٢)].

عباد الله! وعدم الخوفِ من الله والأمنُ من مكرِ الله سببٌ لدخول النار.

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾﴾ [الانشقاق].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [غافر].

عباد الله! الخوفُ من اللهِ يدفعُ صاحبَهُ إلى فعل الطاعات ويوّصلهُ إلى جنات النعيم، والأمنُ مِن مكر الله يدفع صاحبَهُ إلى فعلِ المعاصي ويوصله إلى نار جهنم، ولذلك مدحَ اللهُ الخائفينَ منه، وذم الأمنينَ من مكره.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المعارج].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾ [الرعد].

عباد الله! وذمَّ اللهُ الآمنين من مكره.

فقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾ [الإسراء].

وقال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ ﴾ [النحل].

عباد الله! إن الخوفُ من الله سببٌ لكل خير، والأمنُ من مكر الله سببٌ لكلِ شرٍّ، ولذلك جاءت آيات كثيرة في كتاب ربنا يخوّف اللهُ فيها عباده، وجاءت أحاديثُ كثيرة في سنة نبينا ﷺ يخوف فيها النبي ﷺ أمتهُ.

قال تعالى: ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ ﴾ [الزمر].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [البروج].

وقال تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ [آل عمران: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [المائدة: ٩٨].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾ [الحج].

عباد الله! ورسولُ الله ﷺ كان يخوف أمته ليسارعوا إلى فعل الخيرات،

قال رسول الله ﷺ: «**إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطَّتِ السماءُ، وحُقَّ لها أن تئطَّ، ما فيها موضعُ أربعِ أصابع إلا ومَلكَ واضعُ جبهتهُ ساجداً لله، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتمُ كثيراً، وما تلذذْتُم بالنساء على الفرشِ، ولخرجتم إلى الصُّعُداتِ تجأرون إلى الله**»(١).

---

(١) حسن: أخرجه الترمذي (٢٣١٢)، وابن ماجه (٤١٩٠)، وأحمد (٥/ ١٧٣)، والحاكم (٢/ ٥١٠-٥١١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣٣٨٠)].

وقال ﷺ: **«ما منكم أحد إلا سيكلِّمُهُ ربُّهُ ليس بينهُ وبينهُ ترجمان، فينظرُ أيمن منهُ فلا يرى إلا ما قدَّم من عمله، وينظرُ أشأمَ منه فلا يرى إلا ما قدّم، وينظرُ بين يديه فلا يرى إلا النار تِلقاءَ وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرةٍ»**(١).

ثالثاً: من الدروس والعظاتِ والعبرِ التي تؤخذ من قصةِ ابنى آدم: من سنَّ سنةً سيئةً فعليه وِزْرُها وَوِزْرُ من عَمِلَ بها إلى يوم القيامةِ.

وهذا يؤخذ من قصةِ ابني آدم، من فعل قابيل؛ فهو أول من سنَّ القتلُ على هذه الأرض.

قال ﷺ: **«ليس مِنْ نفسٍ تُقْتَلُ ظلماً إلا كان على ابن آدمَ الأولِ كِفلٌ من دَمِهَا؛ لأنهُ كان أوّل من سنَّ القتل»**(٢).

وقال ﷺ: **«مَنْ سنَّ في الإسلامِ سُنةً حسنةً فلهُ أجرُها وأجرُ من عَمِلَ بها بعدهُ، من غيرِ أن ينقُصَ من أُجُورُهم شيءٌ، ومَنْ سنَّ في الإسلامِ سُنةً سيئةً، كان عليه وزرُها ووزرُ مَنْ عَملَ بها من بعدِهِ، من غيرِ أن ينقُصَ من أوزَارِهِم شيءٌ»**(٣).

ابن آدم! احذر أن تكون إماماً في الشر، احذر أن تكون رأساً في المعاصي فيقتدي بك الناس في معصية الله، فتأتي يوم القيامة تحملُ وزركَ ووزرَ من اقتدى بك، وتندم في وقت لا ينفع فيه الندم.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧٥١٢)، ومسلم (١٠١٦)

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٣٣٥)، ومسلم (١٦٧٧)، والترمذي (٢٦٧٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٦٤)].

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٠١٧).

قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النحل].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ [فاطر:١٨].

رابعاً: من الدروس والعظات والعبر التي تؤخذُ من قصةِ ابني آدم: الوالدُ الصالح لا يُعيَّبُ بولده الطالح.

عباد الله! فهذا آدم عليه السلام نبيٌّ من أنبياء الله لا يُعيبُ بولده الطالح قابيل الذي قتل أخاهُ هابيل ظلماً وعدواناً.

وهذا نوحٌ عليه السلام من أولي العزم لا يعيبُ بولده الكافرِ الذي مات على كفره.

لأن آدم عليه السلام لم يقصرْ في تربية ولده وكذلك نوح عليه السلام لم يقصرْ في تربية ولده وفي دعوته لمفارقة الكفرة فقد قال له: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [هود].

عباد الله! فإذا لم يقصر الوالدُ في تربية أولاده وخرج منهم ولد فاسق، مجرم، سارق، قاتل، يقترف المعاصي، فإن هذا لا يعيبُ الوالد أبداً.

قصصٌ تظهرُ فيها آثارُ المعاصي

٢٣
أولاً: قصة قارون

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ﴾ [الكهف:١٣].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدة من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **الفرقان من قصص القرآن دروس وعظاتٌ وعبرٌ**.

أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **قصة قارون**

عباد الله! قصة قارون يخبرنا الله عنها في كتابه فيقول سبحانه: ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّـٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص].

عباد الله! قصة قارون سجلها الله -عز وجل- في كتابه عبرةً للمعتبرين، وذكرى للمتقين، إنها قصة الافتتان بالمال فإن كثيراً من الناس قد ينشغل بجمع المال من الحلال والحرام، ثم يؤدي هذا المال بصاحبه إلى البغيِ والعُجبِ والكبرِ والبطرِ والاستعلاءِ في الأرض، وينسى حقّ الله -عز وجل-، كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾ [العلق]. قصة الافتتانِ بالمال هذه تتكرر في كل زمانٍ ومكانٍ.

عباد الله! وكلامنا عن قصة قارون سيكونُ حولَ العناصر التالية:

العنصر الأول: قارون بين المال والطغيان.

العنصر الثاني: نصيحةٌ غاليةٌ يردها قارون.

العنصر الثالثُ: قارون يهلكُ وغيرهُ يعتبر.

العنصر الرابع: والعاقبةُ للمتقين.

العنصرُ الأولُ: قارونُ بين المالِ والطغيانِ.

عباد الله! ورد اسم قارون في كتاب اللهِ أربع مرات:

مرتان منهما في سورة القصص:

الأولى: في قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوۡمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيۡهِمۡ﴾ [القصص:٧٦].

الثانية: في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٧٩﴾ [القصص].

والمرة الثالثة في سورة العنكبوت، في قوله تعالى: ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ٣٩ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٤٠﴾ [العنكبوت].

والمرةُ الرابعة في سورة غافر، في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ٢٣ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ ٢٤﴾ [غافر].

عباد الله! فرعون بغى وطغى وتكبر وظلم بسبب ملكهِ وسلطانه.

وهامان بغى وطغى وتكبر وظلم بسبب وزارته ووظيفته .

وقارون بغى وطغى وتكبر وظلم بسبب ماله وغناه.

عباد الله! والمالُ فتنةٌ عظيمةٌ قد يفتتنُ بها الإنسان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾ [التغابن:١٥].

وقال ﷺ: «**إن لكل أمة فتنة، وفتنةُ أمتي المال**»(١).

وقال ﷺ: «**إن الدنيا حلوةٌ خضرةٌ، وإن الله مستخلفكم فيها فينظرُ كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء**»(٢).

عباد الله! ذكر الله -عز وجل- قارون في كتابه ليكون مثالاً على الإنسان الذي افتتن بماله فبغى على قومه وتكبر في الأرض ووصل بماله إلى أخبث المنازلِ.

قال تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [القصص:٧٦].

قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ [القصص:٧٦].

وقال ﷺ: «**إنما الدنيا لأربعةِ نفرٍ: عبدٌ رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقاً، فهذا بأفضل المنازل، وعبدٌ رزقه الله علماً، ولم يرزقه مالاً، فهو صادقُ النيةِ يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان، فهو بنيته فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالاً، ولم يرزقه علماً فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه ولا يصلُ فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقاً، فهذا بأخبث المنازل، وعبدٌ لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملتُ فيه بعملِ فلان، فهو بنيته فوزرُهما سواء**»(٣).

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣٣٦)، وأحمد (٤/ ١٦٠)، وابن حبان (٣٢١٢)، والحاكم (٤/ ٣٥٤)، والطبراني في «الأوسط» (٣٢٩٥)، [«صحيح الترغيب والترهيب » (٣٢٥٣)].

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٧٤٢).

(٣) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣٢٥)، وأحمد (٤/ ٢٣١)، [«المشكاة» (٥٢٨٧)].

فقارون إنسان غبيٌّ جاهلٌ افتتن بماله وبدل أن يشكر الله على نعمة المال سلك سبيل الطغيان فأهلكه الله عز وجل وجعله عبرة للمعتبرين وذكرى للمتقين.

العنصر الثاني: نصيحةٌ غاليةٌ يردها قارون.

عباد الله! قارون افتتن بماله فاستخدم أمواله في البغي والظلم والعدوان والتكبر على عباد الله والبطرِ والخيلاء وكان قارون بماله فتنةً حتى للفقراء من قومه.

عباد الله! وانقسمَ قومُهُ في نظرتهم إليه وإلى ماله وكنوزه إلى قسمين:

القسم الأول: وهم ضعافُ الإيمان الماديون الذين يريدون الحياة الدنيا وزينتها، وأولئك رأوه خارجاً عليهم بزينته سال لُعابهم وقالوا: ﴿يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٧٩﴾ [القصص].

القسم الثاني: هم المؤمنون الثابتون على دينهم الذين يعرفون حقيقة الدنيا وأنها فانية زائلة خداعةٌ غرارةٌ، وأولئك لم يفتتنوا بمال قارون بل تقدموا له بهذه النصائح الغالية فقالوا له:

النصيحة الأولى: ﴿لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦﴾ [القصص].

عباد الله! هكذا نصح المؤمنون -الثابتون على دينهم الصابرون على فتنة الدنيا- قارون فنهوه عن البطر والفرحِ والتكبرِ فقالوا له: ﴿لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ ٧٦﴾.

عباد الله! لقد نهوهُ عن الفرح وأخبروه أن الله لا يحب الفرحين.

وقد يستغربُ بعض الناس فيقول: وهل الفرحُ حرامٌ حتى ينهوه عنه؟ وهل اللهُ لا يحبُّ كل الفرحين؟ وهل يُمنعُ من الفرح؟ وهل علينا أن نعيش في حزنٍ دائمٍ حتى يحبنا الله؟

عباد الله! إذا نظرنا في آيات القرآن الكريم، فإننا نجدها تقسم الفرح إلى قسمين: فرحٌ مباحٌ وفرحٌ منهيٌّ عنه.

أما الفرح المباح الجائز: فهو الانشراحُ والرضا، بحيث يفرح المؤمن بما أنعم الله عليه من النعم وبما وفقه الله إليه من الطاعات والإيمان الصادق وحفظ القرآن والعلم النافع، قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [آل عمران:١٦٩-١٧٠].

أما الفرح المحظور: وهو الفرحُ المنهيُّ عنه. فهو الفرح الذي يقودُ بصاحبه إلى البطر والتكبر قال تعالى في ذم الكفار: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [غافر].

ففرحُ الكفار فرح بغير حق، وهو يقود للمرح والبطر والتكبر والخيلاء.

قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾﴾ [هود]. وهذا النوع من الفرح يفسد صاحبه، ويهلكه، ويجعله سبباً لغضب الله وسخطه وعذابه، ويحرمه من محبته ورضوانه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾.

النصيحة الثانية: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص:٧٧].

أي: استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمةِ الطائلة في طاعة ربك، والتقرب إليه بأنواع القربات التي يحصل لك بها الثواب الجزيل في الآخرة.

﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ أي: مما أباح الله لك فيها من المآكل والمشارب والملابس والمناكح[1].

عباد الله! قالوا له: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ أي: لا تنشغل بجمعِ المالِ وتنسى أن تتزود من دنياك بالزاد الذي ينفعك في الآخرة.

وقالوا: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ أي: لا تنسى الكفن الذي هو نصيبك من هذه الدنيا، وحقيقة هذا المال كما قال القائل:

نصيبك مما تجمعُ الدّهر كله ... رِدِاءَانِ تُلوى فيهما وحنوط

وقال آخر:

هي القناعةُ لا تبغي بها بدلاً ... فيها النعيمُ وفيها راحةُ البدنِ
انظرْ لِمَنْ مَلَكَ الدُّنيا بأجمَعِها ... هل راحَ منها بغيرِ الزادِ والكفنِ

النصيحة الثالثة: ﴿وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص:٧٧].

أي: أحسن إلى خلقه كما أحسن هو إليك[2].

---

(١) ابن كثير (٣/ ١٣١٩).
(٢)ابن كثير (٣/ ٣١٩).

أو أطعْه واعبْده كما أنعم عليك[1].

فالله -عز وجل- يقول: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن].

عباد الله! والإحسانُ من العبد يكون بشكر الله على النعم فتدوم بذلك للعبد؛ فقد قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم:٧].

عباد الله! وشكرُ النعم يقوم على ثلاثةِ أركان:

الركن الأول: أن يعلم العبد أن هذه النعمَ من الله وحده، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل:٥٣].

والركن الثاني: أن يُحدِّث العبد بنعم الله عليه، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى].

الركن الثالث: أن يستخدم العبد هذه النعم في طاعة الله، قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ [القصص:٧٧].

النصيحة الرابعة: ﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص].

أي: لا تقصد وتتعمد الفساد في الأرض، ولا تستخدم نعم الله في الفساد في الأرض، ولا تجعل نعمة المالِ التي أنعم الله بها عليك وسيلةً للفسادِ في الأرض.

قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف:٥٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [البقرة]. وقال تعالى: ﴿وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [العكنبوت].

---

(١) القرطبي: (١٣/ ٣١٤).

عباد الله! الله -عز وجل- يحذرُ عباده من الإفساد في الأرضِ، ويخبرهم أنه لا يحب المفسدين قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾.

عباد الله! والله -عز وجل- يهدد المفسدين في الأرض فيقول لهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [يونس] ويقول لهم: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [يونس]، ويقول سبحانه: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾﴾ [آل عمران] وقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [ص:٢٨].

وقال تعالى: ﴿وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأعراف].

عباد الله! نصيحة غاليةٌ فيها سعادةُ الدنيا والآخرة لمن قَبِلها وعَمِل بها، ولكن ماذا كان جوابُ قارون على نصيحة قومهِ له؟

قال تعالى مخبراً عنه: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص:٧٨] أي: هذا الذي أُوتيتهُ من المال إنما حصلت عليه على علم عندي بوجوه التجارة والمكاسب، ولعلمه تعالى باستحقاقي لما حصلتُ عليه من مال لعلمه تعالى بما عندي من فضل على سائر الناس(١).

عباد الله! قارون وزن أموره بميزانه المقلوب المعكوس، فردَّ نصيحة قومه ولم ينتفع بها، فردَّ الله عليه وبينّ له ولأمثاله أن العطاء والغنى ليس دليلاً على محبةِ الله للعبد، والفقر وقلة المال ليس دليلاً على بغض الله للعبد، فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ

(١) «الكشاف»: (٣/ ٤١٣)، القرطبي: (١٣/ ٣١٥).

ٱللَّهَ قَدۡ أَهۡلَكَ مِن قَبۡلِهِۦ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مَنۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرُ جَمۡعٗاۚ وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [القصص]. أي: قد كان من هو أكثر منه مالاً، وما كان ذلك من محبة منا له وقد أهلكهم الله مع ذلك بكفرهم وعدم شكرهم ولهذا قال: ﴿وَلَا يُسۡـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ أي: لكثرة ذنوبهم[(١)].

العنصرُ الثالثُ: قارونُ يهلك وغيره يعتبر.

عباد الله! قارون الذي افتتن بماله ولم يقبل النصيحة وأصر على البغي والظلم والبطرِ والتكبر على عباد الله أخذ يستعرضُ وبماله بما لديه من الدنيا أمام الناس ليفتنهم، فأهلكه الله هو وما يملك على مرأى ومسمعٍ من الناس ليعتبروا به.

يقول الله -عز وجل- ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٧٩﴾﴾ [القصص]

عباد الله! لما سَمِعَ أهل العلم النافع مقالة أهل الدنيا هذه قالوا لهم: ﴿وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [القصص]. أي: إن جزاء الله لعباده المؤمنين الصالحين في الدار الآخرة خيرٌ مما ترون عند قارون.

قال ﷺ: يقول الله تعالى: «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخراً بَلْهَ ما اطلعتم عليه، ثم قرأ** ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة]»[(٢)].

---

(١) «تفسير القرآن العظيم»: (٣/ ٣٩٩، ٤٠٠) باختصار.

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٧٨٠)، ومسلم (٢٨٢٤).

عباد الله! قارون يهلك بزينته في الوقت الذي خرج بها على الناس جزاءاً وفاقاً، ولا يظلم ربك أحداً قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ [القصص].

قال ﷺ: عن الله -**عز وجل**- قال: **العِزُّ إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني بشيء منهما عذبته**»[(١)].

وقال ﷺ: «**بينما رجلٌ يمشي في حلةٍ، تُعجبه نفسه، مُرَجِّلٌ جمته، إذ خسفَ الله به، فهو يتجلجل إلى يوم القيامة**»[(٢)].

عباد الله! هكذا ينتقم الله من الظلمةِ والجبابرة والمتكبرين قال ﷺ: «**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ثم قرأ:** ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود]» [(٣)].

عباد الله! هلك قارون بماله وزينتهِ واعتبر به الذين تمنوا مكانه بالأمس، فندموا على ما تمنوا وقالوا، قال تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ﴾ [القصص:٨٢].

أي: يوسع الرزق لمن شاء ويضيقه على من يشاء، فليس المال بدالٍّ على رضا الله عن صاحبه في حال بسطه عليه، ولا بدالّ على سخطه في حال تضييقه عليه فإن الله يعطي ويمنع، ويضيق ويوسع ويخفض ويرفع، وله الحكمة التامة والحجة البالغة.

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٦٢٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٥٢)، [«الصحيحة» (٥٤١)].

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٧٨٩)، ومسلم (٢٠٨٨).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣).

وقوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾ أي: لولا لطف الله بنا وإحسانه إلينا لخسف بنا كما خسف به؛ لأنا أردنا ورغبنا أن نكون مثله.

﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ يعنون أنه -أي: قارون- كان كافراً ولا يفلح الكافرون عند الله لا في الدنيا ولا في الآخرة(١).

العنصر الرابع: والعاقبةُ للمتقين.

عباد الله! عَقّب ربنا -جل وعلا- على قصة قارون بقوله: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [القصص].

ونلحظ في هذا التعقيب بعض المعاني والدلالات، منها:

١- توجيه أنظار وقلوب وحياة المستمعين نحو الدار الآخرة، ودعوتهم إلى التجافي عن الدنيا، وأن لا يجعلوها أكبر همهم ولا مبلغ علمهم ولا أقصى آمالهم.

٢- بيان صفات الذين يطلبون الدار الآخرة، ومواصفات الذين جعل الله لهم الدار الآخرة، فإنهم الذين ﴿لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾، ومن خلال هذه الصفات ندرك السر في هلاك قارون: وهو أنه أراد الدنيا ولم يرد الآخرة، وأنه ابتغى العلو في الأرض والفساد.

(١) ابن كثير: (٣/ ٤٠١).

٣- كل من أراد العلو والفساد في الأرض، وكانت حياته نشراً للعلو والفساد فإنه يخسر الحياتين: حياته في الدنيا إذ يحل به عذاب الله، بالهلاك والدمار، وحياته في الآخرة إذ يكون مصيره النار ويكون وقوداً لنار جهنم. وها هو قارون أبرز مثال على ذلك، وهو عبرة لمن يعتبر.

٤- العاقبة للمتقين، نعم؛ فالتقوى هي سر التمكين في الدنيا والقبول عند الله ونيل جنته.

إنها سنة ربانية قاطعة لا تتخلف في أية فترة من فترات التاريخ البشري: العاقبة للمتقين.

ولقد جاءت آيات قرآنية لتقرير هذه السنة الربانية وتأكيدها.

قال موسى لقومه عندما كانوا مستضعفين في مصر: ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِى هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الأنبياء] هذا في الدنيا، حيث تكون العاقبة في الحقيقة للمتقين.

أما في الآخرة، فلا يشك أحدٌ أن العاقبة هناك لا تكون إلا للمتقين، وأن الجنة لا تكون إلا للمتقين، قال تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الزمر].

٥- من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كان يعملون.

تقرير للقواعد الربانية في الثواب والعقاب، في المكافأة والمجازاة وهي التي تقوم على العدل الإلهي المطلق.

من جاء بالحسنة فقد عامل الله بإحسان: وإن الله يثيبه عليها خيراً منها ويضاعفها له أضعافاً مضاعفة لأن الله يرد على الإحسان بإحسان.

ومن جاء بالسيئة فعلى نفسه جنى، حيث يجازيه الله بعدله، ويوقع به نتيجة سيئته وعمله[1].

---

(١) انظر: كتاب «قصص السابقين» (ص٦٠٧، ٦٠٨).

٢٤

ثانياً: الدروس والعظاتُ والعبر التي تؤخذ من قصةُ قارون

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدة من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **الفرقان من قصص القرآن دروس وعظاتٌ وعبرٌ**.

أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **الدروس والعظاتُ والعبرُ التي تؤخذ من قصة قارون.**

عباد الله! قصة قارون التي أخبرنا الله عنها في كتابه والتي تكلمنا عنها في الجمعة الماضية فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: هكذا تفعلُ الدنيا بأهلها.

عباد الله! الذين يحبون الدنيا ويُريدونها ويركنون إليها، ماذا تفعل بهم الدنيا؟

١ - تُهْلِكُهُم: وهذا يؤخذ من قصة قارون فقد أحبَّ الدنيا وركن إليها فهلك كما قال تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [القصص:٧٦]، وسبب بغيه هذا هو المال، الدنيا، الغنى.

قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ [القصص:٧٦] والله -عز وجل- يصفُ لنا قارون وهو مغترٌ بدنياه، فيقول سبحانه: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾ [القصص].

عباد الله! في الوقت الذي اغتر فيه قارون بدنياه أهلكه الله، قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ [القصص].

فالدنيا يا عباد الله! تُهلك من ركن إليها وأحبها ونسي الآخرة يقول ﷺ: **«فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تُبسطَ عليكم الدنيا كما بُسطت على مَن كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها وتُهلككم كما أهلكتهم»**[1].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٠١٥)، ومسلم (٢٩٦١).

وقال ﷺ: «**ما ذئبانِ جائعان أُرسلا في غنمٍ بأفسد لها من حِرصِ المرءِ على المال والشرفِ لدينه**»(١).

٢- تُذِلُّهُم: من أحب الدنيا وركن إليها ونسي الآخرة ذُلّ، قال ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع** -كناية عن حب الدنيا- **وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه** -أي: عنكم- **حتى ترجعوا إلى دينكم**»(٢).

وقال ﷺ: «**تعسَ عبدُ الدينار والدِّرهم والقطيفة والخميصة، إن أُعطي رضيَ وإن لم يُعطَ لم يرض**»(٣).

٣- تُفقِرهم وتشتتُ شملَهُم: قال ﷺ: «من كانت الآخرةُ همَّهُ جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه، جعل الله فقره بين عينيه، وفرّق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدِّر له»(٤).

٤- تُدخلهم النار: قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣٧٦)، وأحمد (٣/ ٤٥٦)، والدارمي (٢٧٢٦)، وابن حبان (٣٢١٨)، [«صحيح الجامع» (٥٦٢٠)].

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٣٤٦٢)، والبيهقي في «السنن» (٥/ ٣١٦)، وأبو نعيم (٥/ ٢٣٧)، [«الصحيحة» (١١)].

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٤٣٥)،

(٤) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٤٦٥)، وأحمد (٥/ ١٨٣)، والدارمي (٢٣٤)، والطبراني في «الكبير» (١١/ ٢٦٦)، [«صحيح الجامع» (٦٥١٠)].

[هود]. وقال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ -أي: الدنيا- عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الإسراء].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [النازعات].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس].

عباد الله! هكذا تفعل الدنيا بأهلها؛ تُهْلِكُهم، وتُذِّلُهم، وتُفْقِرُهم، وتدخلُهم النار **ولذلك حذر الله عز وجل عباده من الدنيا ومن الاغترار بها.**

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾﴾ [فاطر].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [لقمان].

وقال تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾ [التكاثر].

عباد الله! لقد وصفَ اللهُ الدنيا لعبادهِ وبين لهم حقيقها حتى لا ينخدعوا بها:

قال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد].

عباد الله! كما وحذر النبي ﷺ أمتهُ من الدنيا حتى لا ينخدعوا بها فيهلكوا:

قال ﷺ: «**إن الدنيا حُلْوَةٌ خضِرةٌ، وإن اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فيها، فينظُرُ كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء**»(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جلسَ رسول الله ﷺ على المنبر وجلسنا حوله فقال: «**إنّ مما أخافُ عليكم بعدي، ما يُفتحُ عليكم من زهرةِ الدنيا وزينتها**»(٢).

وقال ﷺ: «**إن الدنيا ملعونةٌ، ملعون ما فيها، إلا ذكِرَ الله، وما والاهُ، وعالماً أو متعلماً**»(٣).

عباد الله! وربّى النبيُّ ﷺ أصحابه على الزهد في الدنيا:

يقول ابن عمر رضي الله عنهما: (أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «**كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابرُ سبيل**».

وكان ابنُ عمر رضي الله عنهما يقول: إذا أمسيت، فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحتْ فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك)(٤).

وأتى النبي ﷺ رجلٌ فقال: يا رسول الله! دُلّني على عملٍ إذا أنا عَمِلْتُهُ أحَبَّني اللهُ وأحبني الناسُ. فقال رسول الله ﷺ: «**ازهدْ في الدنيا يُحبّك الله، وازهدْ فيما في أيدي الناسِ يُحِبَّكَ الناسُ**»(٥).

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٧٤٢).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٤٦٥)، ومسلم (١٠٥٢) واللفظ له.

(٣) **حسن**: أخرجه الترمذي (٢٣٢٢)، وابن ماجه (٤١١٢)، [«صحيح الجامع» (١٦٠٩)].

(٤) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٤١٦).

(٥) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٤١٠٢)، والحاكم (٤/ ٣٤٨)، والطبراني في «الكبير» (٦/ ١٩٣)، والبيهقي في «الشعب» (٧/ ٣٤٤)، [«صحيح الجامع» (٩٢٢)].

وضربَ النبيُّ ﷺ لأصحابه ولأمتِهِ أروعَ الأمثلة في الزهد في الدنيا:

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: نامَ رسولُ الله ﷺ على حصيرٍ فقام وقد أثّر في جنبه، فقلنا: يا رسولِ الله لو اتخذنا لك وطاءً فقال: «**مالي وللدنيا؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكبٍ استظلَ تحتَ شجرةٍ ثم راحَ وتركها**»(١).

وعن عمرو بن الحارث رضي الله عنه قال: ما ترك رسولُ الله ﷺ عند موته درهماً ولا ديناراً ، ولا عبداً ولا أمةً، ولا شيئاً إلا بغلتهُ البيضاءَ التي كان يركبُها، وسلاحَهُ، وأرضاً بخيبر جعلها لابن السبيل صدقة»(٢).

ابن آدم! اعتبرْ بهلاكِ قارونَ الذي اغتر بدنياهُ، وتذكر أن الدنيا لا تدوم لأحدٍ ولا يدومُ لها أحدٌ!

ابن آدم!

لا شيء مما ترى تبقى بشاشتهُ ... يبقى الإلهُ ويفنى المالُ والولدُ
لم تغنِ عن هرمز يوماً خزائنه ... والخلدَ قد حاولت عادٌ فما خلدوا
ولا سليمانَ إذ تجري الرياح له ... والإنس والجنُ فيما بينها تردُ
أين الملوكُ التي كانت لعزتها ... من كلِّ أوبٍ إليها وافد يفدُ
حوضٌ هنالك مورودٌ بلا كذبٍ ... لا بد من ورده يوماً كما وردوا

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣٧٧)، وابن ماجه (٤١٠٩)، وأحمد (١/ ٣٩١)، والحاكم (٤/ ٣٤٥)، [«صحيح الجامع» (٥٦٦٨)].

(٢) **صحيح**: «مختصر صحيح البخاري» (١٢٢١).

ثانياً: من الدروس والعظاتِ والعبرِ التي تؤخذ من قصةِ قارون: العاقلْ من اعتبر بغيره.

أيها الغني! اعتبرْ بما حدث لقارون، قال تعالى ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص:٨١] فإنّ العاقلَ منْ اعتبرَ بغيرِهِ، والله -عز وجل- يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف:١١١].

ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾﴾ [الحشر].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾﴾ [الزمر].

أيها الغني! النِّعمُ التي تتقلبُ فيها كُلُّها مِنَ الله تعالى وهي كثيرة جداً،

قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل:٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل:١٨].

أيها الغني! اعلم أن هذه النعمَ التي أنعمَ اللهُ بها عليك ستُسأَلُ عنها يومَ القيامة، قال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات]، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [التكاثر:٨].

وقال ﷺ: «**لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيمَ أفناه، وعن علمه فيمَ فعل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه**»(١).

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٤١٧)، والدارمي (٥٤٠)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٢٦)].

أيها الغني! اعلم أنّ نعم الله تعالى تبقى وتدومُ بالشكرِ وتذهبُ وتزولُ بالمعاصي.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم].

أيها الغني!

إذا كنــت في نعمــةٍ فارعهــا فــإن المعــاصي تُزيــلُ الــنعم

وحــافظْ عليهــا بــشكر الإلــه فــإن الإلــه شــديد الــنقم

أيها الغني! إذا أردت أن تدومَ لك نعمُ الله فتعاملْ معها بما يلي:

١ – ابتغ بنعم الله عليك الدارَ الآخرة استجابة لقوله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ [القصص:٧٧].

٢ – تمتعْ بنعم اللهِ عليك في حياتِك وبما أحلّه اللهُ لك استجابة، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص:٧٧]، ولقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [الأعراف:٣٢].

٣– أحسنْ إلى عبادِ الله بهذه النعم كما أحسنَ اللهُ إليك استجابة لقوله تعالى: ﴿وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص:٧٧]، ولقوله تعالى: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الرحمن:٦٠].

٤ – احذرْ أن تُفسدَ في الأرض بنعم الله استجابة لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص:٧٧] ولقوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف:٥٦].

- فهذا قارون أفسد في الأرض بماله فأهلكه الله.
- وهذا فرعون أفسد في الأرض بملكه فأهلكه الله.
- وهذا هامانُ أفسد في الأرض بمنصبهِ فأهلكه الله.
- وها هم عادٌ أفسدوا في الأرض بقوتهم فأهلكهم الله.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝٨ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝١٠ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ۝١٤﴾ [الفجر].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۝٣٨ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ۝٣٩ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ۝٤٠ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ۝٤١ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ ۝٤٢﴾ [القصص].

وقال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٤٠﴾ [العنكبوت].

٥- احذر أن يغضبَ الله عليك إن أفسدت في الأرض بنعمِ الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۝٧٧﴾ [القصص:٧٧].

أيها الغنيّ! إن أحبك اللهُ أبقى لك نِعَمهُ وزادها لك، وإن غضبَ عليك عذّبكَ في الدنيا والآخرة وحرمكَ نعمهُ فاحذر أن تفسد في الأرض بنعم الله، فالله عز

وجل يقول لك محذراً: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ [البقرة:٢٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [يونس:٤٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [يونس].

ثالثاً: من الدروس والعظاتِ والعبر التي تؤخذ من قصة قارون: المؤمن دائماً ناصحٌ أمين.

عباد الله! وهذا يؤخذُ من قصةِ قارون فعندما انحرف قارون وبغى بماله في الأرض وأفسد نصحهُ المؤمنون من قومه فقالوا له: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [القصص].

فالنصيحة عملُ الأنبياء والمرسلين والمؤمنين الصادقين:

- **فهذا نوحٌ** عليه السلام ينصح قومه فيقول لهم: ﴿يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأعراف].
- **وهذا هودٌ** عليه السلام ينصحُ قومه فيقول لهم: ﴿يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأعراف].
- **وهذا صالح** عليه السلام ينصح قومه فيقول لهم: ﴿يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأعراف].
- **وهذا شعيب** عليه السلام ينصح قومه فيقول لهم: ﴿يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأعراف].
- **وها هو رسولنا** ﷺ يقول: «**الدين النصيحة**». قلنا: لمن -يا رسول الله-؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»[1].

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٥٥).

وقال ﷺ: «**حقُّ المسلم على المسلم ستٌّ**» فذكر منها: «**وإذا استنصحك فانصحْ له**»(١).

وقال ﷺ: «**إذا استنصح أحدُكم أخاه، فلينصحْ له**»(٢).

وقال جريرُ بنُ عبدالله رضي الله عنه: (بايعتُ رسولَ الله على إقام الصلاة وإيتاء الزكاةِ، والنصحِ لكل مسلم)(٣).

وقال الحسنُ البصري -رحمه الله-: (قال بعض أصحاب النبي ﷺ: والذي نفسي بيده إن شئتم لأقسمن لكم بالله إنّ أحب عبادِ الله إلى الله الذين يحببون الله إلى عباده، ويحببونَ عبادَ الله إلى الله ويسعونَ في الأرض بالنصيحة).

عباد الله! والنصيحةُ غالية وإذا خرجت من قلب المؤمن نفعت، فإذا نصحك إنسان مؤمن فاقبل منه ولا ترُدْ نصيحته، فإن في قبول النصيحة السعادة والنجاة، وفي رد النصيحة الشقاوة والهلاك، ومن الأمثلة على ذلك:

١- **موسى** عليه السلام أخذ بنصيحة الرجل المؤمن الذي جاءه من أقصى المدينة يسعى، فلما قبل النصيحة نجا من الهلاك، قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾ [القصص].

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢١٦٢).

(٢) **صحيح لغيره**: أخرجه البخاري معلقاً (٦٨- باب هل يبيع حاضر لباد ...)، انظر [«مختصر صحيح البخاري» (٢/ ٥٣)] و [«الصحيحة» (١٨٥٥)].

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٧)، ومسلم (٥٦).

عباد الله! فلما أخذ موسى بنصيحة الرجل المؤمن نجا من القوم الظالمين، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [القصص].

٢- **قارون** نصحه المؤمنون من قومه فلم ينتصح ورد النصيحة فهلك، قال تعالى: ﴿فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾﴾ [القصص].

٣- **فرعون** وقومه، نصحهم الرجل المؤمن -الذي كان يكتم إيمانه- فلم ينتصحوا وردوا النصيحة فهلكوا جميعاً، قال تعالى: ﴿فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [القصص].

وقال تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر].

٤- **أصحابُ القرية** نصحهم الرجل المؤمن الذي جاء من أقصا المدينة يسعى فقال لهم: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [يس] فلم يستجيبوا له وقتلوه فهلكوا، قال تعالى على لسانه: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [يس].

رابعاً: من الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من قصة قارون: أهل العلم أمنٌ وأمانٌ للناسِ عند اشتداد الفتن.

عباد الله! افتتن قارونُ بماله، وافتتن الناس بقارون وماله عندما خرج عليهم بزينته، فقال الذين افتتنوا بمال قارون: ﴿يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٧٩﴾﴾

[القصص]. عند ظهور هذه الفتنة -فتنةِ الشهواتِ- تقدم أهل العلم بالنصيحة التي فيها الأمن والأمان والسعادةُ في الدنيا والآخرة إلى الذين افتتنوا بقارون وماله، قال تعالى على لسان أهل العلم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [القصص].

فَذكّر أهل العلم الناسَ الذين افتتنوا بمال قارون بالإيمان وبالعمل الصالح اللّذَيْنِ فيهما سعادةُ الدنيا والآخرة؛ فالعلماءُ في الأرض كالنجوم في السماء، وكما أن النجوم في السماء يُهتدى بها في الظلمات، كذلك العلماءُ في الأرضِ يهتدى بهم في ظلمات الفتن.

عباد الله! وأهلُ العلم أمنٌ وأمانٌ عند اشتداد فتن الشبهات كذلك، فها هو ابن عباس حبرُ الأمةِ وتُرجمان القرآن عندما عصفت فتنة الخوارج في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ذهب إليهم وناقشهم وردّ ما عندهم من شبهات، فرجع منهم ألفان عن ذلك الفكر الضال.

وعندما خرج جماعةٌ من المسلمين إلى الحج يحملون فكر الخوارج في رؤوسهم وكانوا يريدون أن يخرجوا على الناس في الحج، فمروا في طريقهم بالمسجد النبوي وجلسوا في مجلس علمٍ لشيخ كبيرٍ جليلٍ وهو جابرُ بنُ عبدالله رضي الله عنه واستمعوا لكلامه فرجعوا جميعاً عن هذا الفكر.

عباد الله! وهكذا ينفعُ العلم أهله، وهكذا ينفعُ أهل العلم الناسَ عند اشتداد الفتن، لذلك أمر الله الناسَ أن يرجعوا إلى أهل العلم فقال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل]

عباد الله! فبالرجوع إلى أهل العلم، وبسؤال أهلِ العلم يكون الأمن والأمان والإيمان وسعادة الدنيا والآخرة.

فهذا الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً ثم أراد أن يتوب، ماذا قال، وماذا فعل؟ تعالوا بنا لنستمع إلى رسول الله ﷺ وهو يخبرنا خبره.

يقول ﷺ: «**كان فيمن كان قبلكم رجلٌ قتلَ تسعةً وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدُلّ على راهبٍ، فأتاهُ فقال: إنه قتل تسعةً وتسعين نفساً، فهل له من توبةٍ؟ فقال: لا، فقتلهُ، فكملَ به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدُلّ على رجلٍ عالم، فقال: إنه قتل مائةَ نفسٍ، فهل لهُ من توبةٍ؟ فقال: نعم، ومن يحولُ بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناساً يعبدون الله تعالى فاعبدِ الله تعالى معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرضُ سوءٍ، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكةُ الرحمةِ وملائكةُ العذابِ، فقالت ملائكة الرحمةِ: جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي، فجعلوه بينهم** -أي: حكماً- **فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضتهُ ملائكة الرحمة**»[1].

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦) واللفظ له.

عباد الله! يجبُ على المسلمين أن يرجعوا إلى أهل العلم عند اشتداد الفتن، ولما لم يرجع بعض الشباب المنخدع بفكر التكفير إلى أهل العلم ضلوا ضلالاً مبيناً وأفسدوا في الأرض بالقتل والتفجير والتدمير، وإلى الله المشتكى وإنا لله وإنا إليه راجعون.

٢٥
ثالثاً: قصةُ صاحب الجنتين

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف].

ويقول سبحانه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾ [الكهف:١٣].

ويقول -عز وجل-: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران:٦٢].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدة من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **الفرقان من قصص القرآن دروس وعظاتٌ وعبرٌ**.

أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **قصةُ صاحبِ الجنتين**.

عباد الله! قصة صاحب الجنتين يُخبرنا عنها ربنا -جل وعلا- في كتابه فيقول
سبحانه: ﴿ ۞ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كِلْتَا
الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ
مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً
وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن
نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا (٣٧) لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨) وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا
بِاللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ
فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١) وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ
فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا
(٤٣) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (٤٤) وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ
نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (٤٥) الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَالْبَاقِيَاتُ
الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (٤٦) ﴾ [الكهف].

عباد الله! قصةُ صاحب الجنتين ذُكرتْ في القرآنِ مثالاً على الكافرين المغرورين بدنياهم، ومثالاً على المؤمنين المعتزين بإيمانهم، وكلامنا عن قصة صاحب الجنتين سيكون حول العناصر التالية:

العنصر الأول: ودخل جنتهُ وهو ظالمٌ لنفسه.

العنصر الثاني: ابنَ آدم أكفرتَ بالذي خلقك من تراب؟

العنصر الثالث: الجزاءُ من جنس العمل.

العنصر الرابع: ندمٌ في وقتٍ لا ينفعُ فيه الندم.

العنصر الأولُ: ودخلَ جنته وهو ظالم لنفسه.

عباد الله! كثير من الناس يظنُّ أن الغنى دليلٌ على محبة الله للعبد، وأنّ الفقرَ دليلٌ على بغض الله للعبد، وهذا ظنٌّ خاطئٌ؛ قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا﴾ [الفجر].

أي: ليس الأمرُ كما تظنون فإن الله يُعطي الدنيا من يُحب ومن لا يحبُّ، ولكنه لا يُعطي الإيمان والدين إلا لمن يُحبُّ فقط.

عباد الله! وهذا الميزانُ المقلوبُ والظن الخاطئ وقع فيه كفارُ مكة فظنوا أنهم أفضلُ من أصحاب محمد ﷺ الفقراء، حتى أنهم طلبوا من رسول الله ﷺ أن يطرد الفقراء من مجلسه ليجلسوا هم إليه، فأنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف].

عباد الله! وأنزل الله عز وجل على رسوله في نفس السورة قصة صاحب الجنتين مع صاحبه الفقير.

فقال تعالى: ﴿۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ [الكهف:٣٢].

الرجل الأول: هو صاحبُ الجنتين الغنيُّ المغرورُ بماله.

الرجل الثاني: هو المؤمن الفقير المعتزُّ بإيمانه.

عباد الله! تعالوا بنا لنستمع إلى وصف الجنتين كما جاء في كتاب ربنا –جل وعلا– قال تعالى: ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ﴾ [الكهف:٣٢-٣٤]

عباد الله! وصف الله -عز وجل- الجنتين بصفاتٍ وهي:

الصفة الأولى: كون كل واحدة منهما جنةٌ.

الصفة الثانية: ﴿وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ﴾ أي: وجعلنا النخل محيطاً بهما.

الصفة الثالثة: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ أي: جعلنا بين الأشجار زرعاً.

الصفة الرابعة: ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا﴾ أي: لم تنقص منه شيئاً.

الصفة الخامسةُ: ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا﴾ أي: كان النهر يجري في داخل الجنتين.

الصفة السادسة: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾ أي: كان لذلك الرجل ثمرٌ عظيمٌ.

عباد الله! يقول الله -عز وجل-: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧)﴾ [عبس] وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى (٦) أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى (٧)﴾ [العلق] فبدل أن يشكرَ صاحبُ الجنتين نعمةَ الله عليه لتبقى له وتدوم، كفر وظلم وتكبر.

عباد الله! ولنستمع إلى الآيات القرآنية التي يخبرنا الله فيها عن تصرفات وأقوال وصفات صاحب الجنتين هذا.

قال تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (٣٦)﴾ [الكهف].

فانظروا عباد الله إلى هذا الغني المغرور:

١ - دخل جنته وهو ظالمٌ لنفسه.

٢- ظن أن تلك الجنة باقيةٌ وأن نعيمها دائمٌ، ولذلك ركن إليها، وقال: ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ٣٥﴾.

٣- ونتج عن ركونه إلى جنتهِ واكتفائه بما فيها؛ نسيانُهُ للدارَ الآخرة، وإنكارهُ لقيام الساعة، فقال: ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً ﴾.

٤- وقال لئن كان هناك معادٌ وبعثٌ بعد الموت ورجعةٌ ومردٌ إلى الله ليكوننّ لي هنالك أحسن مما عندي الآن؛ فلولا منزلتي العالية عند الله وكرامتي عليه ما أعطاني هذا في الدنيا، ولذلك قال: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ٣٦﴾.

٥- دفعه هذا الغرور بالغنى إلى أن يتكبر على صاحبه الفقير، فقال له: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ٣٤﴾.

وظن المسكينُ المغرورُ بمالِهِ أن مجالَ التفاضل هو كثرةُ المالِ، فهو لكثرةِ ماله أفضل من صاحبه، وهذا ميزانٌ باطلٌ ومقلوبٌ؛ فالله -عز وجل- يقول: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ٥٦﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ٣٧ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ٣٨﴾ [سبأ].

وقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ٧٧ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ٧٨﴾ [مريم].

عباد الله! وهذا الغرورُ والكبرُ الذي أصاب صاحب الجنتين بسبب الغنى هو نفسه الذي أصاب قارون.

فقارون كان من قوم موسى فبغى عليهم بسبب الغنى، ولما نصحه قومه وقالوا له: ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ -أي: لا تفرح بكثرة المال والغنى، وَزَنَ الأمورَ بميزانهِ الباطلِ -كما فعل صاحب الجنتين هذا- فقال قارون: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ فرد الله عز وجل عليه، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [القصص].

العنصرُ الثاني: ابنَ آدم أكفرتَ بالذي خلقك من تراب؟!

عباد الله! لما رأى الرجلُ المؤمن صاحبهُ -صاحب الجنتين- ظلم نفسه بالكفرِ والشركِ والكبر ردّه وذكره بأصله؛ لينتبه من غفلته وليستيقظ من نومه قبل فوات الأوان.

عباد الله! تعالوا بنا لنستمع إلى الرجل المؤمن وهو يذكر صاحبه بأصله الذي خُلق منه، ويذكره بفضل الله عليه لعله ينتفع:

قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّـٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾ [الكهف].

عباد الله! يقول الله تعالى مخبراً عما أجاب به الرجل المؤمن صاحبه واعظاً له وزاجراً إياه عما هو فيه من الكفر بالله، وعما هو فيه من الاغترار بما يملك: ﴿أَكَفَرْتَ

﴿بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ وهذا إنكارٌ عظيمٌ منه لما وقع فيه صاحبه، من جحودِ لربه الذي خلقه، وابتدأ خلقه من طين ﴿ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾ أي: عدّلك وكمّلك إنساناً ذكراً بالغاً مبلغ الرجال، والمؤمن إنما اعتبر صاحبه كافراً بالله جاحداً لأنعمه لشكه في البعث بعد الموت.

ثم قال الرجل المؤمن لصاحبه: ﴿لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾، أي: لكن أنا لا أقول بمقالتك، بل اعترف لله بالوحدانية والربوبية ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾ أي: بل هو الله المعبودُ وحده لا شريك له فلا أعبدُ سواه، ولا أعبدُ معه غيرهُ.

ابن أدم! أيها المغرور بمالك، بغناك، بجاهلك، بمنصبك، لا تنسَ أصلك الذي بدأ من الترابُ، ثم النطفةُ، العلقة، الطفولة، الشبابُ، الشيخوخةُ، ثم يأتيك الموتُ، القبرُ، البعثُ، الحساب والجزاءُ والجنةُ أو النار.

عباد الله! إن الله -عز وجل- يُذكر ابن آدم بأصله وبما ينتقل به من مرحلة إلى مرحلة حتى لا يطغ ولا يكفر ولا ينس أصله، كما فعل صاحب الجنتين هذا، إذ دفعه الغنى إلى الكبر والظلم والكفر وإنكار البعث بعد الموت.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج].

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [غافر].

عباد الله! والإنسان إذا نسي أصله وقابل نعم الله بالكفر لعنه الله وتوعده بالقتل والدمار قال تعالى: ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴿٢٢﴾﴾ [عبس].

عباد الله! وبعد أن ردّ المؤمن على كفر صاحبه وضلاله، ردّ عليه أيضاً غروره وافتخاره بماله وتعييره له بفقره.

قال تعالى حكاية عما قاله المؤمن لصاحبه الكافر: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾﴾ [الكهف].

والمعنى: هلا إذا دخلت جنتك ونظرت إلى ما رزقك الله منها، وأعجبك ما فيها ﴿قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ أي: الأمر ما شاء الله، وهذه الجنة هي ما شاء الله، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، اعترافاً بأنها وكل خير فيها إنما هو حصل بمشيئة الله وفضله، وإن أمر جنتك بيده وحده سبحانه، إن شاء تركها عامرة وإن شاء خرّبها.

وقلت: ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ إقراراً منك بأن ما قويت به على عمارتها وتدبير أمرها إنما هو بمعونته تعالى، وتأييده، إذ لا يقوى أحدٌ في بدنه ولا في ملك يده إلا بالله تعالى[1].

---

(١) «الكشاف»: (٢/ ٧٢٣)، القرطبي: (١٠/ ٤٠٦).

ولهذا قال بعض السلف: من أعجبه شيءٌ من حاله أو ماله أو ولده فليقل: ما شاء الله لا قوة إلا بالله[(١)].

وقوله: ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ۝٣٩﴾ أشار المؤمن لصاحبه بأن تعييره إياه بالفقر وقلة الولد والنصر، لا يبعد أن ينعكس فيه الأمر ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ۝٤٠ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ۝٤١﴾.

والمعنى: إن ترني أفقر منك فأنا أتوقع من صنع الله أن يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى، فيرزقني لإيماني جنة ﴿خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ﴾ ويسلبك لكفرك نعمته عليك ويخرب بستانك بأن يرسل عليها حسباناً من السماء أي: مقداراً قدّره الله وحسبه، وهو الحكيم بتدميرها من صواعق وآفات سماوية ﴿فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ۝٤٠﴾ أي: تراباً أملس لا تثبت عليها قدم لملاستها فيزلق عليها الماشي زلقاً، أو يهلكها بآفة سفلية من جهة الأرض بأن ﴿يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا﴾ أي: غائراً في الأرض ﴿فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا ۝٤١﴾ أي: وسيلة تدركه بها بالحفر أو بغيره[(٢)].

العنصر الثالثُ: الجزاء مِن جنس العمل.

عباد الله! لله في هذا الكون سننٌ لا تتبدلُ ولا تتحولُ ولا تتغير كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ۝٤٣﴾ [فاطر].

---

(١)ابن كثير: (٣/ ٨٤).

(٢) «الكشاف»: (٢/ ٤٢٣)، القاسمي: (١١/ ٤٥-٤٦).

عباد الله! ومن سنن الله في هذا الكون أن الجزاء من جنس العمل

- **فهذا فرعونُ الذي تكبّر** على الناس بملكه وقال: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الزخرف]. أهلكه الله في تلك الأنهار وجعلها تجري من فوق رأسه.

- **وهذا قارون تكبّر** على الناس بماله فخسف الله به وبماله الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة.

- **وهذا صاحب الجنتين تكبّر** على صاحبه بجنّتيه فأهلك الله جنتيه، قال تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾﴾ [الكهف].

قال ﷺ: «**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**» ثم قرأ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود])[1].

وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [القلم].

العنصر الرابع: ندمٌ في وقتٍ لا ينفعُ فيه الندم.

عباد الله! فوجئ الرجل الكافر المغرور بهلاك جنّتيه وماله، وضياع أعماله، في لحظة عابرة، فشعر بخسارته وضلاله، وضياع مستقبله ومصيره، فندم ندامةً بالغةً، عبر عنها ربنا -جل وعلا- بقوله: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣).

خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ لقد أصبح يقلب كفيه حسرةً وندامة وحيرة؛ ندم على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها، راجع حساباته، ونظر إلى رصيده، وجمع نفقاته، التي أنفقها عليها وكلمة «ما أنفق فيها» كلمةٌ عامةٌ، شاملة لكل صور الإنفاق المادية والمعنوية.

لقد أنفق عليها الكثير من المال، ومع ذلك ضاع وتبدد، أنفق عليها من وقته، الذي كان يقضيه فيها ومن أجلها، وأخيراً ذهب وقته هباءً وخسارةً.

أنفق عليها الكثير من جهده البدني، في مسيره إليها، وتفقُّده لها وجولاته خلالها، وها هو جهده يضيع.

أنفق عليها الكثير من مشاريعه ومخططاته وبرامجه وخبراته، وها هي كلها أمامه دماراً وهلاكاً وفناء.

أنفق عليها الكثير من أحلامه وخيالاته، وآماله وأمنياته التي حلم بها وعاش لها واعتمد عليها، وها هي تتبدد تحت الحقيقة المرة الواقعية.

أنفق عليها حياته التي عاشها من أجلها، وعمره الذي قضاه فيها ولها وماله الذي صده لها.

وها هو كل ما أنفقه أمامه، يراه ويتعامل معه، دماراً وخسارة وفناء. ولذلك ندم ندامة بالغة، وأصبح يقلب كفيه، وهو يسترجع هذه النفقات ويستحضر تلك الخسائر. فانطلق لسانه قائلاً: ﴿يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾.

ما أبلغها ندامة! وما أفدحها خسارة! وما أتعسها حياة! وما أضيعه من عمر! وما أضله من إنسان! هذا الإنسان الذي كان يختال تيهاً وانتعاشاً وبطراً واستعلاءً، هذا الإنسان الذي افتخر على صاحبه المؤمن بماله وجنته، وقال له: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾.

هذا الإنسان الذي نظرَ إلى جنته فقال عنها: ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾﴾ هذا الإنسان الآن يرى جنته قد بادت وانتهت، فندم ندامةً عملية تمثلت في تقليبه لكفيه وندامة قولية، تمثلت في قوله: ﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾[1].

عباد الله! هكذا يندم الكافر والمجرم والمفرط والظالم في وقت لا ينفع فيه الندم.

فعند الموت يندم المفرط والكافر، قال الله -عز وجل-: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ يقال له: ﴿كَلَّآ﴾ [المؤمنون:٩٩-١٠٠].

عند نزول العذاب يندم الكافر والمفرط، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [غافر].

وقال تعالى عن فرعون: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس].

---

(١) انظر «قصص السابقين» (ص٣٧١، ٣٧٢).

ويوم القيامة يندم الكافر والمفرط، قال تعالى: ﴿وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان]

وعند الوقوف على أبواب جهنم يندم الكافر والمفرط، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام].

وفي جهنم يندم الكافر والمفرط، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾ [الأحزاب].

وقال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾ [غافر].

فاحذر يا ابن آدم أن تندم في وقت لا ينفع فيه الندم واستيقظ من غفلتك قبل فوات الأوان.

عباد الله! أما الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من قصة صاحب الجنتين فهذا الذي سنتحدث عنه في الجمعة المقبلة -إن شاء الله-.

٢٦

رابعاً: الدروس والعظاتُ والعبر التي تؤخذ من قصة صاحب الجنتين

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف].

ويقول سبحانه: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدة من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **الفرقان من قصص القرآن دروس وعظاتٌ وعبرٌ**.

أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **الدروس والعظاتُ والعبرُ التي تؤخذ من قصة صاحب الجنتين**.

عباد الله! قصة صاحب الجنتين التي أخبرنا الله عنها في سورة الكهف، وتكلمنا عنها في الجمعة الماضية فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: نعم الله تدومُ وتبقى بالحمدِ والشكرِ، وتزولُ وتذهبُ بالكفرِ والمعاصي:

وهذا يؤخذ من قصة صاحب الجنتين فقد أنعم الله عليه بنعمٍ كثيرةٍ، كما قال تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ٣٢ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ٣٣ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ﴾ [الكهف:٣٢-٣٤].

عباد الله! فقابلَ صاحب الجنتين نعمَ اللهِ عليه بالكفر والمعاصي، قال تعالى: ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ٣٤ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ٣٥ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ٣٦﴾ [الكهف].

عباد الله! فبسبب هذه المعاصي **حرمَ اللهُ صاحب الجنتين من هذه النعمِ التي أنعم بها عليه،** قال تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٤٢﴾ [الكهف].

عباد الله! فنعمُ الله تبقى وتدومُ بالحمد والشكرِ، وتذهبُ وتزولُ بالكفر والمعاصي، والعاقل من اتعظ بغيره، **ومع ذلك نرى كثيراً من الناس يقابلون** نعم الله الكثيرة بالكفر والمعاصي كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤﴾ [إبراهيم]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ٧٣﴾ [النمل].

وقال تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾ [لقمان].

عباد الله! أنعم اللهُ على عبادهِ نعماً كثيرةً لا تُعدُّ ولا تُحصى وأمرهم بشكرها وحذرهم من كفرها وإلا ستزال من بين أيديهم في الدنيا، ويكون لهم العذاب في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [لقمان].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾ [إبراهيم].

ابن آدم!

إذا كنتَ في نعمة فارعها ... فإن المعاصي تُزيل النعم

وحافظْ عليها بشكرِ الإله ... فإن الإله شديد النقم

عباد الله! نعمُ الله تدومُ وتبقى بالحمدِ والشكر فحافظوا على نعمِ الله وعليكم بحمدهِ وشكره.

يقول ﷺ: «**إنّ الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأَكْلَةَ فيَحْمَدهُ عليها، أو يَشْرَبَ الشَّرْبةَ فيحمَدُهُ عليها**»(١).

وقال الحسن البصري: (إن الله ليُمتع بالنعمة ما شاء فإذا لم يُشكر عليها قلبها عذاباً).

وقال عمرُ بن عبدالعزيز: (قيدوا نعم اللهِ بشكرِ الله).

وقال ﷺ: «**التحدثُ بنعمةِ الله شكرٌ، وتركُها كفرٌ، ومن لا يشْكُر القليل لا يشكر الكثير، ومن لا يشكرُ الناسَ لا يشكرُ اللهَ، والجماعة بركةٌ، والفرقةُ عذاب**»(٢).

عباد الله! الإنسان لا يعرفُ قدر النعمة إلا بعد زوالها؛ ولذلك كان رسول الله ﷺ يدعو بهذا الدعاء: «**اللهم إني أعوذ بك من زوالِ نعمتكَ، وتحوُّلِ عافِيَتك، وفُجاءةِ نقمتِكَ، وجميع سَخْطَك**»(٣).

عباد الله! تعالوا بنا لنتعلم من رسول الله ﷺ كيف نتعامل مع نعمِ الله، فرسولُ الله ﷺ هو سيد الشاكرين وهو أشدُّ الناسِ إحساساً بنعمةِ الله وفضله.

١ - كان ﷺ إذا تناول طعامه يحمد الله ويشكره.

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٧٣٤).

(٢) **حسن**: أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٥١٦)، والإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٧٨)، [«صحيح الجامع» (٣٠١٤)].

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٧٣٩).

عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبيّ ﷺ كان إذا رفع مائدته قال: «**الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، غير مَكْفيٍّ ولا مُودَّعٍ ولا مُسْتَغْنًى عنه ربَّنا**»[1].

وقال ﷺ: «**مَن أكلَ طعاماً فقال: الحمدُ لله الذي أطعمني هذا، ورزقنيه من غير حولٍ مني ولا قوةٍ غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه**»[2].

و «كان إذا قُرِّبَ إليه الطعامُ؛ يقول: **بسم الله، فإذا فرغ؛ قال: اللهم! أطعمتَ وأسقيت، وأقنيتَ، وهديت، وأحييتَ؛ فلك الحمدُ على ما أعطيت**»[3].

٢- و «كان إذا أتاهُ الأمرُ يسُرّهُ قال: **الحمدُ لله الذي بنعمتهِ تتمُّ الصالحاتِ، وإذا أتاه الأمرُ يكرههُ قال: الحمد لله على كلِّ حالٍ**»[4].

٣- و «كان إذا استجد ثوباً سماهُ باسمه قميصاً أو عِمامة أو رداءً، ثم يقول: **اللهم لك الحمدُ، أنت كَسَوُتنيه، أسالك من خيره، وخير ما صُنِعَ له، وأعوذُ بك مِنْ شره، وشرِّ ما صُنِعَ له**»[5].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٤٥٨).

(٢) **حسن**: أخرجه الترمذي (٣٤٥٨)، وابن ماجه (٣٢٨٥)، وأبو داود (٤٠٢٣)، وأحمد (٣/ ٤٣٩)، [«الكلم الطيب» (١٨٧)].

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ٦٢)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٤/ ٢٠٢)، [«الصحيحة» (٧١)].

(٤) **صحيح**: أخرجه الحاكم (١/ ٦٧٨)، والبيهقي في «الشعب» (٤/ ٩١)، [«صحيح الجامع» (٤٦٤٠)].

(٥) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٤٠٢٠)، والترمذي (١٧٦٧)، وأحمد (٣/ ٣٠)، والحاكم (٤/ ٢١٣)، [«صحيح الجامع» (٤٦٦٤)].

٤- و «كان إذا عطس حمدَ الله، فيقال له: يرحمك الله، فيقول: **يهديكم الله ويصلحُ بالَكم**»[١].

٥- و «كان إذا أوى إلى فراشه قال: **الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا، وكفانا وآوانا، فكم ممن لا كافيَ له ولا مُؤوي** »[٢].

و«كان إذا استيقظ من نومه قال: «**الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا، وإليه النشور**»[٣].

٦- و «كان لا يقوم من مجلس إلا قال: **سبحانك اللهم ربي وبحمدك، لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، وقال: لا يقولُهن أحدٌ حيث يقوم من مجلسه إلا غفر له؛ ما كان منه في ذلك المجلس**»[٤].

٧- و «كان إذا قفلَ من غزو أو حج، أو عمرة يكبر على كل شرفٍ من الأرض ثلاث تكبيرات، ثم يقول: **لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد وهو على كلِّ شيء قدير، آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون، صدق اللهُ وعده ونصرَ عبدهُ وهزمَ الأحزاب وحده**»[٥].

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٢٠٤)، والبيهقي في «الشعب» (٧/ ٢٨)، والطبراني في «الكبير» (١٢/ ٣١٤)، [«صحيح الجامع» (٤٧٥٤)].

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٧١٥).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٣٢٤)، ومسلم (٢٧١١).

(٤) **صحيح**: أخرجه الحاكم (١/ ٦٧٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٦/ ١٠٦)، [«صحيح الجامع» (٤٨٦٧)].

(٥) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٧٩٧)، ومسلم (١٣٤٤).

٨- وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يا معاذ والله إني لأُحِبُّكَ، أوصيك يا معاذ لا تدعنَّ في دُبر كلِّ صلاةٍ أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشُكركِ وحسنِ عبادتك**»(١).

٩- عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى قامَ حتى تفطَّرت رجلاه، قالت عائشة: يا رسول الله! أتصنع هذا، وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «**يا عائشة! أفلا أكونُ عبداً شكورًا؟!**»(٢).

١٠- وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم: «**ربِّ أعني ولا تُعنْ عليَّ، وانصرني ولا تنصرْ عليّ، وامكُرْ لي ولا تمكرْ عليّ، واهدني ويسر هداي إليّ، وانصرني على من بغيّ عليّ. اللهم اجعلني لك شاكراً، لك ذاكراً، لك راهباً، لك مطواعاً، إليك مخبتاً، إليك أوَّاهاً منيباً ...**»(٣).

عباد الله! هذا رسولنا صلى الله عليه وسلم عبدٌ غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهذا حالهُ مع نعم الله، فاتقوا الله يا عباد الله في نعم الله واشكروا ربكم لتدوم النعمة لكم، كما قال إبراهيم لقومه: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾ إلى أن قال لهم: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [العنكبوت].

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (١٥٢٢)، والنسائي (١٣٠٣)، وأحمد (٥/ ٢٤٤-٢٤٥)، وابن خزيمة (٧٥١)، [«صحيح الجامع» (٧٩٦٩)].

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٨٣٧)، ومسلم (٢٨٢٠) واللفظ له.

(٣) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٢٢٧)، وأبو داود (١٥١٠)، والترمذي (٣٥٥١)، وابن ماجه (٣٨٣٠)، [«صحيح الجامع» (٣٤٨٥)].

ليسألنكم عن نعمه ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات]، ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [التكاثر].

ثانياً: -ومن الدروس والعظاتِ والعبرِ التي تُؤخذ من قصةِ صاحبِ الجنتين- هكذا يفعل الظلم بأهله.

قال تعالى عن صاحب الجنتين: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ [الكهف:٣٥].

نعم، لقد ظلم صاحب الجنتين نفسه بأنواع من الظلم:

١ - ظلم نفسه **بالكفرِ** كما قال تعالى على لسانه: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾ [الكهف:٣٦-٣٧].

عباد الله! والله -عز وجل- يقول: ﴿وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البقرة:٢٥٤]، **ولقد توعد الله الكافرين بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة.**

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَـٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النحل]. وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾ [فاطر]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾ [الأحزاب].

٢ - ظلم نفسه **بالشرك.**

كما قال تعالى على لسانه: ﴿يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾ [الكهف].

عباد الله! والله -عز جل- يقول: ﴿لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمان]، **وتوعد الله عز وجل المشركين بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة**، قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾ [المائدة]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ٦﴾ [البينة]. وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٨٨﴾ [الأنعام].

٣- ظلمَ نفسَه **بالكبر**.

عباد الله! لقد تكبرَ صاحبُ الجنتين على صاحبه المؤمن، قال تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ٣٤ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ٣٥﴾ [الكهف].

والله -عز وجل- توعدَ المتكبرين بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٧٢﴾ [الزمر].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ [غافر].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٤٠﴾ [الأعراف].

وفي الحديث القدسي: «**قال الله عز وجل: الكبرياءُ ردائي، والعزةُ إزاري، فمن نازعني واحداً منهما أُلقيه في النار**»(١).

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد، (٢/ ٢٤٨)، وأبو داود (٤٠٩٠)، وابن ماجه (٤١٧٥)، [«الصحيحة» (٥٤١)].

عباد الله! وحذر رسول الله ﷺ أمتهُ من الكبر:

فقال ﷺ: «**لا يدخلُ الجنةَ من كان في قلبه مثقال ذرةٍ من كبر**» قال رجلٌ: إن الرجل يُحبُّ أن يكونَ ثوبه حسناً ونعلُهُ حسنةً؟

وقال -رسول الله ﷺ-: «**إن الله جميلٌ يحبُّ الجمال، الكبرُ: بطر الحق، وغمطُ الناس**»(١).

وقال ﷺ: «**ألا أخبركم بأهل النار: كلُّ عُتلٍّ جواظٍ مستكبر**»(٢).

ويقول ﷺ: «**احتجت النارُ والجنةُ، فقالت هذهِ** -أي النار-: **يدخلني الجبارون والمتكبرون، وقالت هذه** -أي: الجنة-: **يدخلني الضعفاء والمساكين، فقال الله -عز وجل- لهذه: أنت عذابي أُعذب بكِ من أشاء- وربما قال: أُصيب بك من أشاء-. وقال لهذه: أنت رحمتي أرحم بكِ من أشاء، ولكل واحدةٍ منكما ملؤها**»(٣).

عباد الله! صاحب الجنتين ظلم نفسه بالكفر والشركِ والكبر فعاقبهُ الله -عز وجل- وحرمه جنتيهِ، والعاقلُ من اتعظ بغيره، وهكذا يفعل الظلم بأهله.

عباد الله! اتقوا الله وكونوا من الظلم -بجميع أنواعهِ- على حذر؛ لأن الله -عز وجل- **هدد الظلمة وتوعدهم في كتابه** فقال تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء].

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٩١).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٩١٨)، ومسلم (٢٨٥٣).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦).

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [إبراهيم:٤٢].

وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾ [الكهف].

وقال ﷺ: «**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلته**» قال: ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود] [(١)].

وقال ﷺ: «**اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلماتٌ يوم القيامة**»[(٢)].

ثالثاً: ومن الدروس والعظاتِ والعبر التي تؤخذ من قصةِ صاحب الجنتين: نعيمُ الدنيا زائلٌ، ونعيمُ الآخرةِ دائمٌ.

عباد الله! بعد أن أخبر الله عباده بقصة صاحب الجنتين -الذي افتتن بجنتيه ونسي الآخرة فدمرّ الله جنتيه في لحظاتٍ-، ضربَ الله مثلاً للحياة الدنيا يلفت فيه الأنظار إلى سرعة زوال الدنيا، وينبه من خلاله إلى أن نعيم الآخرة دائمٌ لا يزول ولا ينقطع، قال تعالى في آخر قصة صاحب الجنتين: ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف].

عباد الله! ضرب الله للناس مثلاً للحياةِ الدنيا وسرعةِ زوالها بعد أن أخبرهم بقصة صاحب الجنتين وكأنه يقول لهم مَنْ أراد أن ينظر إلى سرعةِ زوال الدنيا فلينظر إلى قصة صاحب الجنتين هذه.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٥٧٨).

عباد الله! ومع ذلك نرى كثيراً من الناس رضوا بالحياة الدنيا واطمأنّوا بها وركنوا إليها، حتى نسوا الآخرة

والله عز وجل يقول لهم: ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿وَمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [العنكبوت].

وقال تعالى: ﴿يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَـٰعٌ وَإِنَّ ٱلْـَٔاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾ [غافر].

وقال تعالى: ﴿وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الزخرف].

وقال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾ [الأعلى].

وقال تعالى: ﴿وَلَلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾﴾ [الضحى].

وقال ﷺ: «والله! ما الدنيا في الآخرة إلا مثلَ ما يَجعلُ أحدُكُم إِصبُعَهُ هذه في اليمِ، فلينظرْ بمَ يرجعُ؟»[1].

وقال ﷺ: «يُؤتَى بأنعمِ أهل الدُنيا، من أهل النارِ، يوم القيامة، فيُصبغُ في النار صبغةً، ثم يقال: يا ابن آدم! هل رأيت خيراً قطّ؟ هل مرّ بك نعيمٌ قط؟ فيقول: لا، والله! يا رب! ويُؤتى بأشد الناس بُؤساً في الدنيا، من أهل الجنة فيُصْبَغُ

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٨٥٨).

صبغةً في الجنة، فيقال له: يا ابن آدم! هل رأيت بُؤساً قط؟ هل مرّ بك شدةٌ قطّ؟ فيقول: لا، والله! يا رب! ما مرّ بي بؤسٌ قطّ، ولا رأيتُ شدّة قط»(١).

وقال ﷺ: «**إني لأعلمُ آخِرَ أهلِ النارِ خروجاً منها، وآخرَ أهلِ الجنةِ دخولاً الجنة: رجلٌ يخرجُ من النار حبواً، فيقول الله تبارك وتعالى له: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها، فيُخيَّل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقولُ: يا ربِّ! وجدتها ملأى. فيقول الله تبارك وتعالى له: اذهب، فادخل الجنة، قال: فيأتيها فيُخيّل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا رب! وجدتها ملأى. فيقول الله تعالى له: اذهب فادخل الجنة، قال: فإن لك مثل الدنيا وعشرةَ أمثالها- أو إن لك مثل عشرةِ أمثال الدنيا- فيقول: أتسخرُ بي -أو تضحكُ بي- وأنت المَلِكُ؟**» قال: لقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه فكان يقول: ذاك أدنى أهل الجنة منزلةً (٢).

وقال ﷺ: «**لَقابُ قوسٍ في الجنةِ خيرٌ مما تطلعُ عليه الشمسُ وتغرب**»(٣).

عباد الله! هذه هي الدنيا، وهذه هي الآخرة ولكل منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرةِ ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عملٌ ولا حساب وغداً حسابٌ ولا عمل.

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٨٠٧).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٥٧١)، ومسلم (١٨٦) واللفظ له.

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٧٩٣).

رابعا: من الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من قصةِ صاحب الجنتين:

﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ٤٩﴾ [الكهف]

عباد الله! بعد أن أخبر اللهُ عبادهُ بقصةِ صاحب الجنتين -الذي اغتر بدنياه الفانية فنسي الآخرة- ضرب مثلاً للحياة الدنيا وسرعة زوالها ثم ذكر بعد ذلك مباشرة القيامة والرجوع إلى الله للحساب وللجزاء فقال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ٤٧ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا ٤٨ وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرٗاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا ٤٩﴾ [الكهف].

عباد الله! رجع صاحب الجنتين الذي افتتن بجنتيه إلى الله، ورجع الرجل المؤمن الذي اعتز بإيمانه وزهد في الدنيا إلى الله، وسيرجع كل أهلُ الدنيا -الذين زهدوا في الآخرة فلم يعملوا صالحاً- وأهلُ الآخرة -الذين زهدوا في الدنيا وعملوا صالحاً- إلى الله -عز وجل-: ﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ٣١﴾ [النجم] وهناك يندمُ كل من لم يعمل صالحاً.

قال تعالى عن الذي يأخذ كتابه بشماله: ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ٢٥ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ٢٦ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ٢٧ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ٢٩ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ٣٠ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ٣١ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ٣٢ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ٣٣ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ٣٤ فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ٣٦ لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ٣٧﴾ [الحاقة].

وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ٤٠﴾ [النبأ]

ابن آدم:

مثل وقوفك يوم العـرض عريانـا مستوحشاً قلـق الأحـشاء حيرانـا
والنار تلهب من غيظ ومـن حنـقٍ على العصاة ورب العرش غضبانا
اقـرأ كتابـك يـا عبـدِ عـلى مهـل فهل ترى فيه حرفـاً غـير مـا كانـا
لمـــا قـــرأت ولم تنكـــر قراءتـــه إقرار مـن عـرف الأشـياء عرفانـا
نادى الجليل خـذوه يـا ملائكتـي وامضوا بعبد عصى للنار عطـشانا
المجرمـون غـداً في النـار يلتهبـوا والمؤمنـون في دار الخلـد سـكانا

٢٧
خامساً: قصة سبأ

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾ [الكهف:١٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران:٦٢].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدة من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **الفرقان من قصص القرآن دروس وعظاتٌ وعبرٌ**.

أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **قصة سبأ**.

عباد الله! قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾ [سبأ].

عباد الله! بعدما بيّن تعالى حال الشاكرين لنعمه بذكر داود وسليمان عليهما السلام، بيَّن حال الكافرين لأنعمِهِ بقصة سبأ، ليكون ذلك موعظة وتحذيراً وتنبيهاً لقريش وغيرها على ما جرى من المصائب والنكبات لهؤلاء لقاء كفرهم بأنعمِ اللهِ، ثم ذكّر سبحانه كفار مكةَ بنعمهِ عليهم ليعبدوه ويشكروه.

عباد الله! وكلامنا عن قصة سبأ سيكون حولَ العناصر التالية:

العنصر الأولُ: نعمٌ تنقلب إلى نقمِ.

العنصر الثاني: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ﴾ [سبأ].

العنصر الثالثُ: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾﴾ [العنكبوت].

العنصر الأولُ: نِعمٌ تنقلبُ إلى نِقم.

عباد الله! لله في هذا الكون سننٌ لا تتبدل ولا تتغيرُ ولا تتحولُ ومن هذه السنن: أنّ الله تعالى يُنعمُ على عبادهِ نعماً كثيرةً لا تعدُ ولا تحُصى فإن شكروه أبقاها

لهم وزادها، وإن كفروا أزالها من بين أيديهم وحولها عليهم نقمة وعذاباً، جزاءً وفاقاً ولا يظلمُ ربك أحداً.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [لقمان].

عباد الله! ومن عقوبات المعاصي والذنوب: أنها تُزيل النِعَم وتُحلُّ النِقَمَ، فما زالتْ عن العبدِ نعمةٌ إلا بذنبٍ، ولاحلتْ به نقمةٌ إلا بذنبٍ، كما قال عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه: (ما نزل بلاءٌ إلا بذنبٍ ولا رُفعَ إلا بتوبةٍ) كيف لا؟ والله عز وجل يقول: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال:٥٣]، فأخبر الله تعالى أنه لا يُغير نعمةُ التي أنعم بها على عبدٍ حتى يكون هذا العبد هو الذي يُغير ما بنفسه، فيغير طاعةَ الله بمعصيته، وشكرهِ بكفره، وأسباب رضاه بأسباب سخطه، فيغيّر الله عز وجل عليه، ﴿جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾ [النبأ]. ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت].

فإن غيرّ العبد المعصية بالطاعة غيّر الله عليه العقوبة بالعافية، والذلَّ بالعزِّ، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ [الرعد].

عباد الله! ويقولُ الحسن البصري -رحمه الله-: (إن الله يُمتعُ بنعمه ما شاء فإذا لم يُشكرْ عليها قلبها عذاباً).

عباد الله! فالنعمُ تنقلبُ إلى نقمٍ بسبب الكفرِ والمعاصي، وبسبب الإعراض عن دينِ الله، ومن الأمثلة على ذلك: قصةُ سبأ فهم قومٌ أنعم الله عليهم نعماً كثيرةً منها:

١ - ﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ [سبأ:١٥].

عباد الله! كان لأهل سبأ وادٍ عظيمٍ، تأتيه سيولٌ كثيرة، وكانوا قد بنوا سداً محكماً، ليكون مجمعاً للماء، وكانت السيولُ تصب فيه، فيجتمع هناك ماءٌ عظيمٌ، فيفرغونه على بساتينهم، التي عن يمين ذلك الوادي وشماله، وتغلُ لهم تلكَ الجنتان العظيمتان، من الثمار ما يكفيهم ويحصلُ لهم به الغبطة والسرور.

حتى لقد ذكر غيرُ واحدٍ من السلف منهم قتادةُ: (أن المرأة كانت تمشي تحت الأشجارِ وعلى رأسها مِكتلٌ أو زنبيلٌ وهو الذي تخترف فيه الثمار فيتساقط من الأشجار في ذلك ما يملؤه من غير أن يُحتاجَ إلى كُلفةٍ ولا قطافٍ لكثرته ونضجه واستوائه) [(١)].

٢- **ومن نعم الله عليهم: أيضاً أنه جعل بلدهم بلدةً طيبةً**، لحُسنِ هوائها، وقلة وخمها، وحصول الرزق الرغدِ فيها حتى ذكروا أنه لم يكن ببلدهم شيءٌ من

(١) «تفسر القرآن العظيم» لابن كثير (٣/ ٧٠٣).

الذباب ولا البعوض ولا البراغيث ولا شيء من الهوام، وذلك لاعتدال الهواء وصحة المزاج وعناية الله بهم، كما قال تعالى: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ أي: طيبةٌ في كل شيء.

٣- ومن نعم الله عليهم: أنه سبحانه وتعالى وعدهم إن شكروه أن يغفر لهم ويرحمهم ولهذا قال تعالى: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾.

٤- ومن نعم الله عليهم: أن الله لما علم احتياجهم في تجارتهم ومكاسبهم إلى الأرض المباركة -وهي بلاد الشام- هيأ لهم من الأسباب ما يتيسر به وصولهم إليها بغاية السهولة، من الأمنِ وعدم الخوفِ، ويُسر تواصل القرى فيما بينهم وبينها، بحيث لا يكون عليهم مشقة بحمل الزاد والمزاد خلال أسفارهم ولهذا قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا﴾أي: (سيراً) مقدراً يعرفونه ويحكمون عليه، بحيث لا يتيهون عنه ﴿لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ أي: مطمئنين في السير، في تلك الليالي والأيام، غير خائفين، وهذا من تمام نعمة الله عليهم، أن أمنهم من الخوف.

عباد الله! نعمٌ كثيرةٌ لا تُعدُّ ولا تُحصى: ﴿جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾، مياه كثيرةٌ أمام السد، ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾، استراحات في طريقهم من بلادهم إلى بلاد الشام، أمنٌ وأمان، لكن بدل أن يقابلوا نعم الله بالشكر قابلوها بما يلي:

١- الإعراض.

قال تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا﴾ أي: كفروا بالله ورفضوا عبادته وشكره، وتولوا عن طاعته.

عباد الله! وهذا الإعراضُ من طبعِ الإنسانِ دائماً -إلا من رحم ربي- كما قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾﴾ [الإسراء]، وقال تعالى: ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [الإسراء]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [التوبة] وقال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنبياء:٢-٣]، وقال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾﴾ [القمر].

عباد الله! فالإنسان -إلا من رحم ربي- يُعرِضُ عن طاعة ربه فلا يشكر، ويعرضُ عن الآياتِ فلا يتدبر ولا يعتبر ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [عبس].

٢- البطر والبغي.

عباد الله! قوم سبأ قابلوا نعمَ الله التي لا تُعدُّ ولا تحصى بالبطرِ والبغي، فقال تعالى عنهم: ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ [سبأ:١٩].

قال ابن كثير -رحمه الله-:

(يذكر تعالى ما كانوا فيه من النعمةَ والغبطةِ، والأماكن الآمنةِ، والقرى المتواصلة المتقاربة مع كثرة أشجارها وزروعها وثمارها بحيث أن مُسَافِرُهم لا يحتاج إلى حملِ زادٍ ولا ماءٍ، بل حيثُ نزلَ وجدَ ماءً وثمراً، ويقيل في قرية ويبيتُ في أخرى، بمقدار ما يحتاجون إليه في سيرهم.

ولهذا قال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [سبأ:١٨] أي: كانوا يسيرون من اليمن إلى الشام في قرى ظاهرة متواصلة، وقيل هي قرى بصنعاء ﴿قُرًى ظَٰهِرَةً﴾ أي: واضحة يقيلون في واحدة ويبيتون في أخرى ولهذا قال تعالى: ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾ أي: جعلناها بحسب ما يحتاج المسافرون إليه ﴿سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ۝١٨﴾ أي: كان أمنهم دائماً، ﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾ وذلك أنهم بطروا هذه النعمة، وأحبوا مفاوز وصحارى يحتاجون في قطعها إلى الزاد والرواحل، والسير في الحرور والمخاوف)[(١)].

كقول بني إسرائيل: ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة:٦١]. وكما قال كفارُ مكة: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٢﴾ [الأنفال].

٣- الظلم، وهو: اقتراف المعاصي والذنوب.

كما قال تعالى ﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ﴾.

عباد الله! أهلُ سبأ قابلوا نعمَ اللهِ التي لا تُعدُّ ولا تُحصى بالظلم فظلموا أنفسهم بالكفرِ والمعاصي، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ۝٣٢ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۝٣٣ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۝٣٤﴾ [إبراهيم].

---

(١) ابن كثير: (٣/ ٥٣١).

عباد الله! الإنسان إذا قابل نعم الله بالمعاصي والذنوب زالت النعمُ من بين يديه وهلك، قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت].

عباد الله! قومُ سبأٍ قابلوا نعمَ الله الكثيرة عليهم بالإعراض عن دينه وعن عبادته وبالبطر والظلم، فحقت عليهم سنةُ الله؛ فما من أمةٍ تكفرُ بالله، وتستخدمُ نعمةُ في الكفر والفسادِ إلا ويحلُّ بها عذاب الله فيَسْلِبُها النعم ويوقع بها الهلاك، وتتحول النعمُ إلى نقمٍ يعذبون بها وهذا ما نزل بقوم سبأ، فتأمل واعتبر بما حل بهم:

١ – قال تعالى: ﴿فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾ [سبأ:١٦].

عباد الله! إن الإعراض عن شرع الله ودينه يعقبهُ عذاب الله وانتقامهُ وإن هذا الإعراض هو طريقٌ للهلاكِ والدمار.

عباد الله! الماءُ والسدُّ والسيلُ نعمٌ من الله على قوم سبأٍ تحولت بالكفر والمعاصي إلى نقم.

الماءُ كان نعمة أنشأوا به الجنات، وحجزوه خلف السد، وعاشوا به سعداء.

والماء نفسه جعله الله نقمةً وعذاباً، فأرسل عليهم سيلاً عَرِماً من خلف السد، وكان بهذا الماء تدميرُ جناتهم، وهلاك مزروعاتهم وهذا من آياتِ الله، بالماء تنشأ لهم الجنات، ثم بالماء نفسه تُدمرُ تلك الجنات!

بالماء عاشوا أغنياءَ سعداء، وبالماء نفسه ذُلّوا وافتقروا. ولعل هذا درسٌ للأممِ والشعوبِ التي منحها الله النعم، لعلها أن تعبد الله وتشكرهُ، لتُبقى على تلك النعم نعماً، وإلا فإن النعم نفسها تتغيرُ وتتحول إلى نقمٍ.

عباد الله! وكم من الناسِ من تتحول نعم الله عليه بكفره وفساده إلى نقمة وعذاب! وكم من أمة شقيت بها كان المأمول به سعادتها! وصدق الله: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة].

٢- قال تعالى: ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾﴾ [سبأ] أي: ثمرٍ مرٍّ لا يؤكل وشجرٍ لا ثمر له، وشجرٍ مثمر لا يسمن ولا يغني من جوع، فهذا تبديلُ النعمِ بالنقم لمن لم يشكر النعم.

٣- قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ أي: جعلناهم حديثاً للناس وسمراً يتحدثون به من خبرهم وكيف مكرَ اللهُ بهم وفرق شملهم بعد الاجتماع والإلفة والعيش الهنئ، حتى تفرقوا في البلاد ههنا وههنا وصاروا مضرب المثل، ولهذا تقول العربُ في القومِ إذا تفرقوا: تفرقوا أيدي سبأ.

عباد الله! هكذا تتحولُ النعم إلى نقمٍ إذا قابلها الإنسانُ بالإعراض عن دين الله وبالمعاصي.

قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل].

العنصر الثاني: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سبأ].

عباد الله! إبليسُ أعلن الحرب على آدم وذريته من اللحظةِ الأولى لخلق آدم عليه السلام.

عباد الله! لما خلق اللهُ آدم بيده ونفخَ فيه منذ روحه، وأمر الملائكة -وكان معهم إبليسُ وهو من الجن- بالسجود لآدم امتنع إبليس فقال الله -تعالى- له: ﴿يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص:٧٥]. وقال له أيضاً: ﴿يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الحجر:٣٢]، وقال له أيضاً: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف:١٢].

فماذا كان جواب إبليس؟

قال تعالى مخبراً عنه: ﴿لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الحجر]. وقال أيضاً: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾ [ص].

فطرده الله من الجنة ملعوناً مذموماً مدحوراً.

قال الله تعالى له: ﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [ص]، وقال تعالى: ﴿فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾ [ص].

عباد الله! فأعلن إبليسُ الحربَ على آدم وذريته،

فقال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [ص]، وقال: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [الحجر]، وقال: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف]. وقال: ﴿لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ

عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾﴾ [النساء]، وقال: ﴿أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾﴾ [الإسراء].

عباد الله! وهذا الذي قاله إبليس قاله قبل أن يقع ظناً منه بأنه سيتمكن من إضلال أكثر بني آدم وقد بين الله تعالى أن إبليس صدق ظنه هذا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾ [سبأ] أي: حقق فيهم هدفهُ وغايتهُ ورسالته، ونجح في إغوائهم وإضلالهم وإبعادهم عن الصراط المستقيم.

عباد الله! وهؤلاء قومُ سبأٍ نجحَ إبليس في إغوائهم، فأعرضوا عن عبادة الله وعن شكره وما كان لإبليس عليهم من سلطان كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ﴾ [سبأ:٢١].

قال القرطبي: (أي: لم يقْهرهُم إبليسُ على الكفر وإنما كان منه الدعاء والتزيينُ)(١).

وقال الحسنُ: (والله ما ضربهم بعصا، ولا أكرههم على شيء، وما كان إلا غروراً وأماني دعاهم إليها فأجابوه)(٢).

عباد الله! والله -عز وجل- حذر عباده من الشيطان؛ لأن الشيطان يدعو حزبهُ ليكونوا معهُ في النار.

---

(١) «تفسير القرطبي» (١٣/ ٢٩٣).

(٢) «مختصر تفسير ابن كثير»: (١٣/ ١٢٨).

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر].

عباد الله! لكن اعلموا أن الشيطان يتبرأ من حزبه بعد إضلالهم في الدنيا والآخرة.

أما في الدنيا: قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الحشر].

وأما في الآخرة، في نار جهنم: فإن الشيطان يقوم ويخطب في حزبه فيقول لهم كما أخبر الله تعالى عنه: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم].

فكيف يكون الناس بعد هذا البيان أن يعبدوا الشيطان؟! وقد قال الله تعالى: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾ [يس].

العنصر الثالث: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾﴾ [العنكبوت].

عباد الله! يمتحنُ الله عبادهُ بالسراءِ والضراءِ، والخيرِ والشرِّ، ليميز الخبيث من الطيب، وليتبين الصادق من الكاذب كما قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾ [سبأ].

عباد الله! المؤمن بالآخرة يثبتُ عند الفتن وينجحُ في الامتحان، أما الكافرُ بالآخرة والشاك فيها فلا يثبتُ عند الفتن ويفشل في الامتحان كما حدث لقوم سبأ.

ويوم القيامة إذا رجع الناسُ إلى ربهم ووقفوا بين يديه للحساب وللجزاء فاز المؤمنون بالله وباليوم الآخر فوزاً عظيماً، وندم الذين كفروا بالله وبالآخرة في وقتٍ لا ينفع فيه الندم.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ
تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ
فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ
بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ
ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الجاثية].

٢٨

سادساً: الدروس والعظاتُ والعبر التي تؤخذ من قصةِ سبأ

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف].

ويقول سبحانه: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدة من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **الفرقان من قصص القرآن دروس وعظاتٌ وعبرٌ.**

أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **الدروس والعظاتُ والعبرُ التي تؤخذ من قصة سبأ.**

عباد الله! قصة سبأ التي أخبرنا الله عنها في كتابه والتي تكلمنا عنها في الجمعة الماضية فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: الرزقُ من الله تعالى يدوم بالطاعةِ ويذهبُ بالمعصية.

وهذا يؤخذ من قصة سبأٍ:

من قوله تعالى: ﴿كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ﴾ [سبأ:١٥].

ومن قوله تعالى: ﴿فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ [سبأ].

عباد الله! الرزق من الله تعالى وحده:

قال تعالى: ﴿كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ﴾ [سبأ]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الروم]. وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾﴾ [البقرة]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات]. وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ﴾ [سبأ:٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سبأ]. وقال تعالى: ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾﴾ [الجمعة].

عباد الله: رزقُ الله يدوم ويبقى ويزدادُ بالطاعات، ومنها:

١ – الشكر:

قال تعالى: ﴿كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ﴾ [سبأ:١٥]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة].

عباد الله! والشكر يقومُ على ثلاثة أركان:

الركن الأول: أن يعتقد العبدُ أن ما به من نعمة فمن الله وحده، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل:٥٣].

والركن الثاني: أن يُحدث العبدُ بنعمةِ الله عليه، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى]. .

وقال ﷺ: «**التحدثُ بنعمةِ الله شكرٌ، وتركها كفرٌ، ومن لا يشكرُ القليل لا يشكر الكثير، ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله، والجماعةُ بركةٌ، والفرقةُ عذابٌ**».(١)

الركن الثالث: أن يستخدم نعمةَ الله في طاعة الله ومرضاته، قال تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ [القصص:٧٧].

٢- التقوى:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف].

٣- التوكلُ على الله:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣] أي: كافيه.

---

(١) حسن: أخرجه أحمد (٤/ ٣٧٥)، والبيهقي في «الشعب» (٦/ ٥١٦)، [«صحيح الجامع» (٣٠١٤)].

وقال ﷺ: «**لو أنكُم تتوكلونَ على اللهِ حقَّ توكلِهِ؛ لرزقكم كما يرزُقُ الطيرَ؛ تغدُو خِماصاً، وتروحُ بطاناً**»(١).

٤ - الاستغفارُ:

قال تعالى على لسان نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح].

وقال تعالى على لسان هود عليه السلام: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هود].

٥ - الدعاءُ:

قال تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [المائدة].

وقال ﷺ: «**الدعاء ينفعُ مما نزلَ ومما لم ينزلْ، فعليكم عبادَ اللهِ بالدعاء**»(٢).

وكان ﷺ: يقول في دعائه بعد صلاة الفجر: «**اللهم إني أسألك علماً نافعاً، ورزقاً طيباً، وعملاً متقبلاً**»(٣).

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٣٠)، والترمذي (٢٣٤٤)، وابن ماجه (٤١٦٤)، والحاكم (٤/ ٣٥٤)، [«الصحيحة» (٣١٠)].

(٢) **حسن**: أخرجه الحاكم (١/ ٦٧٠)، والترمذي (٣٥٤٨)، [«صحيح الجامع» (٣٤٠٩)].

(٣) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٩٢٥)، وأحمد (٦/ ٣٢٢)، والطيالسي (١٦٠٥)، وأبو يعلى (١٢/ ٣٦١)، [«صحيح ابن ماجه» (٧٦٢)].

عباد الله! الرزقُ من الله يدومُ ويزداد بالطاعاتِ ويذهب بالمعاصي كما حدث لقوم سبأٍ والعاقل من اتعظ بغيره.

ابن آدم!

إذا كنــــت في نعمـــــةٍ فارعهـــــا   فـــإن المعـــاصي تزيـــل الـــنعم
وحـــافظ عليهـــا بـــشكر الإلـــه   فـــإن الإلـــه شـــديد الـــنقم

عباد الله! اعلموا أن الرزق مقدرٌّ عند الله وأنه لن تموت نفسٌ حتى تستكمل رزقها وأجلها، فأجملوا في طلب الرزق فإن ما عند الله لا يُطلبُ بمعصيةِ الله

يقول ﷺ: «**إن روح القُدس نفثَ في روعي، أن نفساً لن تموت حتى تستكمل أجلها، وتستوعب رزقها، فاتقوا الله، وأجملوا في الطلب، ولا يحملنَّ أحدكَمُ استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله، فإن الله تعالى لا يُنالُ ما عنده إلا بطاعته**»(١).

وقال ﷺ: «**من كانت الآخرةُ همّه جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همّه ، جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدِّر له**»(٢).

ثانياً: جنةُ المؤمن دائمةٌ، وجنة الكافر زائلةٌ.

عباد الله! إن للمؤمنِ عند ربه في الآخرة جنة عرضها كعرض السماءِ والأرض فيها من النعيم ما لا عينٌ رأتْ، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ. جنةٌ

---

(١) صحيح: أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٢٦)، [«صحيح الجامع»: (٢٠٨٥)].

(٢) حسن: أخرجه الترمذي (٢٤٦٥)، [«الصحيحة» (٩٤٩)].

دائمةٌ من دخلها لا يموتُ أبداً، قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾﴾ [الرعد].

عباد الله! أما جنةُ الكافرِ والعاصي والمجرم فهي في الدنيا فقط كما قال ﷺ: «**الدنيا سجنُ المؤمنِ وجنةُ الكافر**»[1].

عباد الله! وبالنظر في كتاب الله نجد أن جنة الكافر والمجرمِ والعاصي مصيرها إلى زوال؛ سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا، قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [فاطر].

ومن الأمثلة على هذا:

١- **قوم سبأ**: الذين أنعم الله عليهم بجنتين عن يمين وشمالٍ، ولما كفروا وطغوا وأعرضوا، أبدلهم الله بهما جنتين ذواتي أُكل خمطٍ وأثلٍ وشيءٍ من سدر قليل، جزاءً وفاقاً ولا يظلم ربك أحداً.

٢- **صاحب الجنتين المذكور في سورة الكهف**، الذي جعل الله له: ﴿جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الكهف] ثم ماذا حصل بعد كفره وبطره وغروره؟ ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾﴾ جزاءاً وفاقاً، ولا يظلم ربك أحداً.

٣- **أصحابُ الجنةِ الذين ذكروا في سورة القلم**، قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ [القلم].

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٥٦).

عباد الله! لما قرر أصحابُ الجنة أن يحرموا الفقراء والمساكين زالت جنتهم جزاءً وفاقاً، ولا يظلم ربك أحداً.

٤- قومُ فرعون لما استجابوا لفرعون وحاربوا موسى عليه السلام ومن آمن معه ولحقوا بهم، أغرقهم الله مع فرعون: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٧) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٥٨) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (٥٩)﴾ [الشعراء].

٥- هود عليه السلام حذر قومه من زوال الجنات عنهم: ﴿وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ (١٣٢) أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ (١٣٣) وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٣٤) إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٣٥)﴾ [الشعراء] فلما كفروا أهلكهم الله، وأزال تلك الجنات وتلك العيون.

٦- ويحذرُ ربُّنا -جل وعلا- كُلَّ من كفر وطغى واستخدم نعمة الله في الفساد، ويهدده بزوال جنته وتدميرها واحتراقها، قال تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢٦٦)﴾ [البقرة].

عباد الله! كل جناتِ الكفارِ والمجرمين في الدنيا إلى زوالٍ، هذه هي سنة الله مع المجرمين العصاة الذين يستخدمون نعم الله في معصية الله.

ثالثاً: الأرض المباركةُ هي بلاد الشامِ، فاتقوا الله يا أهل الشام في بلاد الشام.

عباد الله! الأرض المباركة هي بلاد الشام، ولقد ذكرها الله في كتابه في أربعة مواضع:

الموضع الأولُ: في قصة سبأ من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ [سبأ].

الموضعُ الثاني: في سورة الإسراء، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء].

الموضع الثالث: في سورة الأنبياء، قال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنبياء].

الموضع الرابع: في سورة الأنبياء أيضاً، قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ [الأنبياء:٨١].

قال ابن جُرير الطبري: الأرض التي باركنا فيها، يعني الشام.

عباد الله! والشام تشمل أرض فلسطين والأردنِ وسوريا ولبنان وجزء من العراق.

عباد الله! وجاءت الأحاديث النبويةُ الكثيرة تخبرُ عن فضائلِ الشام.

١- قال ﷺ: «**يا طوبى للشامِ، يا طوبى للشامِ، يا طوبى للشام**» قالوا: يا رسول الله، وبِمَ ذلك؟ قال ﷺ: «**تلكَ ملائكةُ الله باسطوا أجنحتها على الشام**»(١).

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٩٥٤)، وأحمد (٥/ ١٨٤)، والحاكم (٢/ ٢٤٩)، والطبراني في «الكبير» (٥/ ١٥٨)، [«فضائل الشام» (١)].

٢- وقال ﷺ: «**ستُجندونَ أجناداً، جنداً بالشامِ، وجنداً بالعراق، وجنداً باليمن**».

قال عبدالله بن حوالة رضي الله عنه: فقمتُ فقلتُ: خِرْ لي يا رسول الله!

فقال: «**عليكم بالشام، فمن أبى فليلحق بيمنه، وليستق من غدره، فإن الله عز وجل قد تكفلَ لي بالشامِ وأهله**».

قال ربيعةُ: فسمعتُ أبا أدريس يُحدثُ بهذا الحديث يقول: ومن تكفَّل الله به فلا ضيعة عليه[1].

٣- وقال ﷺ: «**إني رأيت عمودَ الكتاب، انتزع من تحتَ وسادتي، فنظرتُ فإذا هو نورٌ ساطعٌ عُمِدَ به إلى الشام، ألا إن الإيمان إذا وقعتْ الفتن بالشام**»[2].

٤-وقال ﷺ: «**إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم، لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة**»[3].

٥- وقال ﷺ: «**ورأتْ أُمي حينَ حملتْ بي أنه خرجَ منها نورٌ أضاءَت له قصور الشام**»[4].

---

(١) **صحيح**: أخرجه الحاكم (٤/ ٥٥٥)، وأحمد (٦/ ٣٣)، وابن حبان (٧٢٦٢)، [«فضائل الشام» (٢)].

(٢) **صحيح**: أخرجه الحاكم (٤/ ٥٥٥)، وأحمد (٥/ ١٩٨)، والطبراني في «مسند الشاميين» (١/ ١٨٠)، [«فضائل الشام» (٣)].

(٣) **صحيح**: أخرجه أبو داود الطيالسي (١٠٧٦)، وأحمد (٣/ ٤٣٦)، [«فضائل الشام» (١٩)].

(٤) **صحيح**: أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٢)، والدارمي (١٣)، وابن حبان (٦٣٧٠)، والحاكم (٢/ ٦٥٦)، [«الصحيحة» (١٥٤٥)].

٦- وقال ﷺ: «**ستخرجُ نارٌ في آخر الزمانِ من حضرموت تحشرُ الناسَ**» قلنا: فماذا تأمرنا يا رسول الله؟ قال: «**عليكم بالشام**»(١).

فيا معشر المسلمين عامةً، ويا معشر أهلَ الشام خاصةً! اتقوا الله في بلاد المسلمين عامةً، وفي بلاد الشام خاصة، واعلموا أن الله تعالى له سننٌ في هذا الكون لا تتبدل ولا تتغيرُ منها:

١-قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد:١١].

٢- وقال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾ [محمد]. وقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج:٤٠].

رابعاً: الأمنُ والأمانُ نعمةٌ من اللهِ على عبادهِ تدومُ بالشكرِ وتذهبُ بالكفرِ والمعاصي.

وهذا يؤخذ من قصة سبأٍ فقد كانوا يعيشون ويسافرون في أمن وأمان، كما قال تعالى: ﴿كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ۝١٥﴾ [سبأ] وقال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا قُرٗى ظَٰهِرَةٗ وَقَدَّرۡنَا فِيهَا ٱلسَّيۡرَۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ۝١٨﴾ [سبأ]، قال تعالى: ﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ۝١٩﴾ [سبأ].

عباد الله! إن الأمن والأمانَ من أجل نعمِ الله تعالى، وقد امتن الله بها على قريش في أكثر من آيةٍ.

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن حبان (٧٢٦١)، وأحمد (٢/ ٥٣، ٦٩)، والترمذي (٢٢١٧)، [«فضائل الشام» (١١)].

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت:٦٧].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [القصص].

فالأمنُ والأمانُ من أجل نعمِ الله تعالى على العباد، فبها يجدُ الإنسانُ نفسه، ويؤدي وظيفته وهو مطمئن، لذلك فإن الله عز وجل لما امتن على قريش بنعمة الأمن أمرهم أن يعبدوه شكراً على نعمه، فقال سبحانه: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾ [قريش].

وفي هذا الأمر إشارة لطيفة إلى أن الناس في حال الأمن يتمكنون من عبادة الله تعالى، وفي حال الخوف والقلق لا يتمكنون من عبادة الله تعالى وإن أدّوها لا يؤدونها على وجهها المشروع أصلاً، وإنما يترخصون بما رخصه الله لهم في حال الخوف والقلق، لذلك كانت صلاةُ الخوفِ تختلفُ في صفتها عن صفة الصلاة في حال الأمن، قال تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾﴾ [البقرة].

فلما كذبتْ قريشٌ رسولَها، وعصتْ أمرَ ربها، ولم يشكروه على ما أنعم به عليهم من نعمة الأمن، بدّل أمنهم خوفاً، وأذاقهم لباسَ الجوع والخوف كما قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [النحل].

وفي الوقت الذي بدّل الله فيه حال قريش من الأمن إلى الخوف بدّل سبحانه وتعالى حالَ الطائفةِ القليلةِ المؤمنةِ من الخوفِ إلى الأمنِ، وحقق لهم وعده الذي وعدهم إياه في قوله سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ [النور:٥٥].

وامتن الله على هذه العصبة المؤمنة بما حباها من نعمةِ الأمن فقال سبحانه: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنفال].

عباد الله! كيف نتحصلُ على الأمن والأمان في مجتمعاتنا؟

الأمن والأمان يسودُ في المجتمعاتِ بالأسباب التالية:

السببُ الأولُ: الإيمانُ الصادق، العقيدة الصحيحة، إفراد الله بالعبادة والابتعاد عن الشرك.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ -أي: بشرك- ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام].

السببُ الثاني: تطبيقُ شريعة الإسلام في المجتمع هو طريق إلى الأمن والأمان، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة:٦٦].

السببُ الثالث: إعطاءُ وردّ الحقوقِ لأصحابها.

عباد الله! إذا أعطى الناسُ حق اللهِ عليهم بأن عبدوه وحده لا شريك له، وأعطى كل واحد منا ما عليه من حق للآخرين فإن الأمن والأمان سيسود في المجتمعات الإسلامية.

قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء].

عباد الله! ومن الحقوق العظيمة التي إذا أُديت فإنها توفر الأمن والأمان والإيمان في البلاد حق الراعي والرعية، حق الحاكم والمحكوم، فإذا أدى الراعي حق رعيته وأدت الرعيةُ حق الراعي عليها ساد الأمن والأمان في البلاد.

٢٩
تاسعاً: قصةُ أصحاب الجنةِ

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾ [الكهف:١٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران:٦٢].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدة من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **الفرقان من قصص القرآن دروس وعظاتٌ وعبرٌ**.

أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **قصة أصحاب الجنة**؛ والجنةُ هي البستان المثمر.

عباد الله! قصة أصحاب الجنة يُخبرنا عنها ربنا -جل وعلا- في كتابه فيقول سبحانه: ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ (١٧) وَلَا يَسْتَثْنُونَ (١٨) فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (١٩) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (٢٠) فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ (٢١) أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ (٢٢) فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ (٢٣) أَنْ لَا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ (٢٤) وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ (٢٥) فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ (٢٦) بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ (٢٧) قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ (٢٨) قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ (٢٩) فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢) كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٣٣)﴾ [القلم]..

عباد الله! قصةُ أصحاب الجنةِ لا يكاد يخلو من مِثلها زمانٌ ولا مكانٌ فهي تتكرر في كل يومٍ .. إنها قصةُ الحرصِ على الدنيا وزينتها الفانية وعدم الإحساسِ بآلام الفقراء واليتامى والمساكين الذين أوجبَ الله لهم الحقّ في هذا المال -الذي يجمعه الأغنياءُ- ليعيش المجتمع المسلم في وئام ومحبة، وليخرج الغلُّ والحقدُ والحسدُ من قلوب الفقراء على الأغنياء؛ فإن الغني إذا أخرج زكاة مالهِ وأعطاها للفقير فإن هذا الفقير بدلاً من أن يحسد الغني ويحقدَ عليه فإنه يدعو الله له بأن يوسعَ عليه ويبارك له في ماله.

عباد الله! وكلامُنا عن قصة أصحاب الجنة سيكون حولَ العناصرِ التالية:

العنصر الأول: الابتلاءُ سُنةُ اللهِ في خلقه.

العنصر الثاني: هكذا يفعلُ البخلُ بأهلهِ.

العنصرُ الثالث: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٣٣)﴾.

العنصرُ الأولُ: الابتلاءُ سنةُ الله في خلقهِ.

عباد الله! الإنسانُ خُلِقَ في هذه الدنيا للامتحانِ والابتلاء،

قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الإنسان]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢]، وقال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت]، وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [البقرة].

عباد الله! والابتلاء يكونُ بالسراء والضراءِ، وبالحسناتِ والسيئاتِ، وبالخير والشرِّ، وبالفقرِ والغنى.

قال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾ [الأعراف]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء].

عباد الله! فعلى المؤمن إذا ابتُلِيَ بالسراء -بالغنى بالصحة بالمنصب-، أن يشكرَ لينجحَ في الامتحان، وإذا ابتُلي بالضراء فعليه أن يصبر.

فهذا سليمان عليه السلام أنعمَ الله عليه نعماً كثيرةً، فقال سليمان عليه السلام: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل].

ولما شكر سليمانُ عليه السلام ربهُ في السراء قال الله عنه: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾﴾ [ص].

وهذا أيوبُ عليه السلام ابتلى بالضراءِ: بالفقرِ وموتِ الولدِ والمرضِ فصبرَ، فنجح في الامتحان، فقال الله تعالى عنه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾ [ص].

ولذلك يقول النبي ﷺ: «**عجباً لأمر المؤمن، إن أمرَهُ كُلَّهُ له خير، وليسَ ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن، إن أصابتهُ سراءُ شكرَ، فكان خيراً له، وإن أصابتُهُ ضراءُ صبرَ، فكان خيراً له**»[1].

عباد الله! كثيرٌ من الناس لا يعرفون سُنةَ الابتلاءِ فتراهم إذا أنعم الله عليهم بنعمهِ الكثيرة ظنوا أن الله أكرمهم، وإذا ابتلاهم بالضراء ظنوا أن الله أهانهم، والأمر في الحقيقة ليس كذلك إنما الابتلاء بالسراءِ ليشكروا وبالضراء ليصبروا، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا﴾ [الفجر: ١٥-١٧].

عباد الله! ومن الأمثلة على سنةِ الابتلاء بالسراء والضراء:

المثالُ الأولُ: قريشٌ: أنعم الله عليها بنعمٍ كثيرٍ جداً من أعظمها أنه أرسل إليهم رسولاً منهم فقابلوا هذه النعم بالكفرِ والتكذيبِ والصدِّ عن سبيل الله فحرمهم الله نِعمهُ.

قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [النحل].

المثال الثاني: أصحاب الجنة الذين نحن في صدد الحديث عن قصتهم.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٩٩).

عباد الله! لقد أنعم الله على أصحابِ الجنة بنعمٍ عظيمةٍ في بستانهم فقابلوا هذه النعم بالعزم على حرمان الفقراءِ والمساكين، فحرمهم الله جنتهم، ﴿جَزَآءً وِفَاقًا ۝٢٦﴾ [النبأ]. و﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝٤٩﴾ [الكهف].

قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَـٰهُمْ﴾ -أي: كفار مكة- ﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۝١٧ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ۝١٨ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝١٩ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ۝٢٠﴾ [القلم].

المثالُ الثالثُ: قصة الأبرصُ، والأقرعُ، والأعمى من بني إسرائيل.

عباد الله! يقول النبيُّ ﷺ: «**إنَّ ثلاثةً في بني إسرائيل: أبرصَ وأقرعَ وأعمى، فأرادَ الله أن يبتليهم، فبعثَ إليهم ملكاً، فأتى الأبرصَ فقال: أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: لونٌ حسنٌ، وجلدٌ حسنٌ، ويذهب عني الذي قد قذرني الناسُ، قال: فمسحه فذهبَ عنه قذَرُهُ، وأُعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً، قال: فأيُّ المالِ أحبُّ إليك؟ قال: الإبلُ أو قال: البقرُ**-شك إسحق- **فأُعطيَ ناقةً عُشراءَ، فقال: بارك اللهُ لك فيها**».

قال: «**فأتى الأقرعَ فقال: أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: شعرٌ حسنٌ، ويذهب عني هذا الذي قذرني الناسُ، قال: فمسحهُ فذهب عنه، وأُعطِي شعراً حسناً، قال: فأيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: البقرُ، فأُعطيَ بقرةً حاملاً، قالَ: بارك اللهُ تعالى لك فيها**».

قال: «**فأتى الأعمى فقال: أيُّ شيءٍ أحبُّ إليك؟ قال: أن يَرُدَّ الله إليّ بصري فأُبصرُ به الناس، قال: فمسحهُ فردّ اللهُ إليه بصره، قال: فأيُّ المالِ أحبُّ إليك؟**

قال: الغنمُ، فأُعطيَ شاةً والداً، فأُنتجَ هذان وولَّد هذا، قال: فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقرِ، ولهذا وادٍ من الغنم».

قال: «ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجلٌ مسكينٌ، قد انقطعتْ بي الحبالُ في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك، بالذي أعطاك اللون الحسنِ والجلد الحسنِ والمالَ، بعيراً أتبلغُ عليه في سفري،

فقال: الحقوقُ كثيرةٌ، فقال له: كأني أعرفُك، ألم تكن أبرصَ يقذرُكَ الناسُ؟ فقيراً فأعطاك الله؟

فقال: إنما وُرِّثتُ هذا المالَ كابراً عن كابر، فقال: إن كنتَ كاذباً، فصيَّرَكَ الله إلى ما كنتَ».

قال: «وأتى الأقرعَ في صورتهِ، فقال له مثل ما قال لهذا، وردَّ عليه مثل ما ردّ على هذا. فقال: إن كنت كاذباً فصيّركَ الله إلى ما كنتَ».

قال: «وأتى الأعمى في صورته وهيئته فقال: رجلٌ مسكينٌ وابنُ سبيلٍ، انقطعت بي الحبالُ في سفري، فلا بلاغَ لي اليوم إلا باللهِ ثم بكَ، أسألك، بالذي ردّ عليك بصرَك، شاةً أتبلغ بها في سفري.

فقال: قد كنتُ أعمى فردَّ الله إليّ بصري، فخُذ ما شئت، ودع ما شئت، فوالله! لا أجهدكَ اليوم شيئاً أخذتَهُ لله.

فقال: أمسِكْ مالَكَ، فإنما ابتُليتُم، فقد رُضي عنك وسُخِطَ على صاحبيكَ»[1].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤) واللفظ له.

عباد الله! الأبرصُ والأقرعُ ابتلاهم اللهُ بالسراء فلم ينجحوا في الابتلاء فسخط الله عليهم وزالت النعمةُ من بين أيديهم، وأما الأعمى فقد ابتلاهُ الله بالسراء فشكرَ ونجح في ذلك الابتلاء والامتحان، فرضيَ الله عنه وبقيتْ له النعمةُ.

فيا **عباد الله!** نحن في هذه الدنيا في امتحانٍ وابتلاءٍ فمن ابتُلي منكم بالسراء فليشكر، ومن ابتُلي بالضراء فليصبر؛ فالإبتلاء سنةُ الله في خلقه.

العنصرُ الثاني: هكذا يفعلُ البخلُ بأهلهِ.

عباد الله! ابتلى اللهُ الأغنياء بأن جعلَ في أموالهم حقاً للفقراء كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴿٢٥﴾﴾ [المعارج]. وفرض الله على الأغنياء أن يُخرجوا هذا الحق للفقراءِ والمساكين ولا يبخلوا به فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦٠]، وقال تعالى: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦ﴾ [الأنعام:١٤١].

ولما أرسل رسولُ الله ﷺ معاذاً إلى اليمن -ليدعو أهلها إلى الإسلام- قال له: «**فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم، فَتُردُّ على فقرائهم**»[1].

عباد الله! فمن أخرج حق الفقراء والمساكين ولم يبخل به يفوز بما يلي:

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٤٩٦)، ومسلم (١٩).

١- يكون قد طهر نفسه وماله كما قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة:١٠٣].

٢- يتحصَّل على فلاحِ الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [المؤمنون]. وقال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التغابن].

٣- يرحمه الله في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُولَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة] وقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [الأعراف:١٥٦].

٤- يحفظُ الله له ماله كما قال ﷺ: «**احفظْ اللهَ يحفظكْ**».

ومن الأمثلة على ذلك:

يقول ﷺ: «**بينا رجلٌ بفلاةٍ من الأرضِ، فسمعَ صوتاً في سحابةٍ: اسقِ حديقة فلانٍ. فتنحى ذلك السحابُ، فأفرغَ ماءهُ في حَرَّةٍ، فإذا شَرْجَةٌ من تلك الشِّراجُ قد استوعبت ذلك الماء كُلّهُ، فتتبع الماء، فإذا رجلٌ قائمٌ في حديقته يُحوِّل الماء بمسحاتهِ، فقال له: يا عبدالله! ما اسمك؟ قال: فلانٌ، للاسم الذي سمع في السحابة، فقال له: يا عبدالله! لم سألتني عن اسمي؟ قال: إني سمعتُ صوتاً في السحاب الذي هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلانِ، لاسمك، فما تصنع فيها؟ قال:**

أما إذ قلت هذا، فإني أنظر إلى ما يخرجُ منها، فأتصدقُ بثُلْثِه، وآكلُ أنا وعيالي ثلثاً، وأردُّ فيها ثُلْثَهُ»(١).

عباد الله! أما الذين يبخلون بزكاة أموالهم ويحرمون الفقراء والمساكين من حقهم فأولئك:

١- يَحْرِمُهم الله المطر، قال ﷺ: «**ولم يمنعوا زكاةَ أموالهم إلا منعوا القطر من السماءِ، ولولا البهائم لم يُمطروا**»(٢).

٢- تتعسر عليهم جميع أمورهم، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [الليل].

٣- يجرهمُ البخل إلى النفاق والكذب، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [التوبة].

٤- البخل يدفعُ بصاحبه إلى قطيعةِ الرحمِ وسفكِ الدماءِ والفجورِ واستحلال المحارمِ.

قال ﷺ: «**اتقوا الظلم، فإن الظلمَ ظلماتٌ يوم القيامة، واتقوا الشحَّ** -وهو أعلى درجات البخل- **فإنّ الشحَّ أهلك مَن كان قبلكم، حَمَلهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم**»(٣).

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٨٤).

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٤٠١٩)، والحاكم (٤/ ٥٨٣)، والطبراني في «الأوسط» (٤٦٧١)، [«صحيح الجامع» (٧٩٧٨)].

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٥٧٨).

وقال ﷺ: «**إياكم والشُحُّ؛ فإنما هَلَكَ من كان قبلكم بالشحِّ؛ أمرهم بالبخلِ فبخلوا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالفجور ففجروا**»(١).

٥- كما أن البخلُ وحرمان الفقراء والمساكين سببٌ للعذاب في الدنيا قبل الآخرة.

عباد الله! لما قرر أصحاب الجنة وعزموا على حرمان الفقراء والمساكين عذبهم الله في الدنيا بأن حرمهم جنتهم، قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾- أي: أصبحت كالليل الأسود لاحتراقها- ثم قال تعالى في آخر القصة: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [القلم].

عباد الله! تعالوا بنا لنستمع إلى الآيات القرآنية، التي يخبرنا فيها الله عز وجل عن أصحاب الجنة وهم في طريقهم إلى جنتهم، ماذا كانوا يقولون؟ وتأملوا حالهم عندما وصلوا إلى جنتهم فأخذوا يندمون ويتلاومون:

قال تعالى: ﴿فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ أي: فنادى بعضهم بعضاً وقت الصباح ولم يشعروا بما جرى على بستانهم بالليل، ﴿أَنِ ٱغْدُوا۟﴾ أي: اخرجوا غدوةً، ﴿عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾ أي: زرعكم، ﴿إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ أي: قاصدين قطع ثمارها، ﴿فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾﴾ أي:

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (١٦٩٨)، والحاكم (١/ ٥٧٦)، والبيهقي في «السنن» (٤/ ١٨٧)، [«صحيح سنن أبي داود» (١٤٨٩)].

يكتمون ذهابهم ويتسارون فيما بينهم، ﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾﴾ أي: لا تمكنوه من الدخول إلى جنتكم، ﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ أي: غدوا إلى جنتهم على نشاط وسرعة وجدّ وقصدٍ وقدرةٍ في أنفسهم، ويظنون أنهم تمكنوا من تحقيق مرادهم.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾﴾ أي: فلما وصلوا إليها ورأوها محترقاً ثمرها ﴿قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾﴾ أي: قال بعضهم لبعض: لقد ضللنا الطريق إلى جنتنا. ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾﴾أي: حُرِمنا جنتنا بما صنعنا.

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ قال: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أي: قال أعدلهم وخيرهم رأياً: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾﴾ أي: تذكرون الله وتتوبون إليه من خبث نيتكم وسوء قصدكم، بحرمان المساكين حقهم من ثمرة جنتنا، وتخشون انتقام ربكم من المجرمين، وكان أوسطهم قد حذرهم وأنذرهم حين عزموا على أمرهم الخبيث فعصوه، فلامهم وذكرهم، والدليل على هذا قولهم: ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ فتكلموا بما كان قد دعاهم إليه إثر إظهار عزمهم الخبيث وقالوا ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ أي: في عدم استثناء حق المساكين في ثمر البستان.

قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾﴾ أي: أخذ يلوم بعضهم بعضاً على ما كانوا أصرواعليه من منع حق المساكين من ثمر جنتهم عند قطفه وجمعه، فما كان جواب بعضهم لبعضٍ إلا الاعتراف بالخطيئة والذنب ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾﴾ أي: كنا متجاوزين حدود الله في تفريطنا وعزمنا السيء، حتى أصابنا ما أصابنا ﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ

﴿٣٢﴾أي: عسى أن يبدلنا ربنا خيراً من جنتنا التي فقدنا ثمرها وشجرها بتوبتنا إليه وندمنا على ما فعلنا، وعزمنا على عدم العود إلى مثل ما عزمنا عليه، من منع حق المساكين فيما يكون لنا ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾﴾أي: في العفو عما فرّطنا فيه والتعويض عما فاتنا وذهب منا.

عباد الله! يقول الله -عز وجل-:﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ﴾ أي: كذلك يعذبُ الله من اعتدى على حق الفقراءِ والمساكين، فاحذرْ أيها الغنيُّ أن تبخلَ بزكاةِ مالك وتحرمَ الفقراءَ والمساكين فينزل بك عذابُ الله وتُحرمَ نعمَ الله، وتندم في وقت لا ينفعُ فيه الندم، كما فعل أصحابُ الجنة، والعاقلُ من اتعظ بغيره.

العنصر الثالث: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

عباد الله! الذي يعتدي على حقِّ الفقراء والمساكين يعذبه الله في الدنيا والآخرة.

وقد وصف الله عز وجل عذاب الآخرة بأوصاف، منها:

وعذاب الآخرة أكبرُ، قال تعالى:﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [القلم].

وعذاب الآخرة أخزى، قال تعالى:﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [فصلت].

وعذابُ الآخرةِ أشدُّ وأبقى، قال تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ [طه].

عباد الله! تعالوا بنا لنتعرف على عذاب الآخرة الذي أعده الله لمانعي الزكاة -الذين يعتدون على حق الفقراء والمساكين- من خلال الكتاب والسنةِ؛ ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيَّ عن بينة.

١ - يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة].

عباد الله! ويفسر لنا رسول الله ﷺ: ذلك بقوله: «**ما من صاحب ذهبٍ ولا فضةٍ، لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة، صُفحتْ له صفائح من نارٍ، فأُحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبهُ وجبينه وظهرُه، كلما رُدَّتْ أُعيدت له، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يُقضى بين العباد، فيرى سبيله، إما إلى الجنة وإما إلى النار**»[1].

عباد الله! لماذا اختار الله عز وجل الجبهةَ والجَنبَ والظهرَ ليوقع عليه العذاب دونَ سائر الجسدِ؟

الجواب: إن الفقير كان في الدنيا إذا ذهب إلى الغني ليسأله أن يعطيه مما أعطاه الله فإنّ الغني يعبسُ بجبهته في وجه الفقير، فإذا تكرر السؤال من الفقير فإن الغني يعطيه جانبه، فإذا ازداد إلحاحُ الفقير فإن الغني يعطيه ظهره!! فاختار الله -عز وجل- تلك المواطن الثلاثة التي أعرض بها الغنيُّ عن الفقير لتُعذّب بنفس أمواله التي منع حقها بعد أن يُحمى عليها في نار جهنم، والعياذ بالله.

٢ - وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ [آل عمران:١٨٠] ويفسر لنا رسول الله ﷺ ذلك بقوله:

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٩٨٧).

«**من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته، مُثِّلَ له ماله يومَ القيامةِ شجاعاً أقرع له زبيبتان، يُطوِّقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه -يعني بشدقيه- ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك!** » ثم تلا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ الآية[١].

٣- وقال ﷺ: «**ولا صاحبُ بقرٍ ولا غنمٍ لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يومُ القيامة بُطح لها بقاعٍ قرقرٍ، لا يفقد منها شيئاً، ليس فيها عقصاءُ ولا جلحاء ولا عضباءُ، تنطحهُ بقرونها، وتطؤه بأظلافها، كلما مرّ عليه أُولاها رُدّ عليه أُخراها، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنةٍ، حتى يُقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار**»[٢].

فيا مانع الزكاة! يا من تعتدي على حق الفقراء والمساكين! ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [القلم]

عباد الله! أما الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من قصة أصحاب الجنة فهذا ما سنعرفهُ في الجمعة القادمة -إن شاء الله تعالى- إن كان في العمر بقية.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (١٤٠٣).

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٩٨٧).

٣٠

ثامناً: الدروس والعظاتُ والعبر التي تؤخذ من قصةُ أصحاب الجنةِ

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدة من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **الفرقان من قصص القرآن دروس وعظاتٌ وعبرٌ.**

أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **الدروس والعظاتُ والعبرُ التي تؤخذ من قصة أصحابِ الجنة.**

عباد الله! قصة أصحاب الجنة التي أخبرنا الله عنها في كتابه والتي تكلمنا عنها في الجمعة الماضية فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: المكرُ السيءُ لا يحيقُ إلا بأهله.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر:٤٣]

عباد الله! وهذا يؤخذ من قصة أصحاب الجنة عندما مكروا بالليل مكرهم وعزموا على أن يحرموا الفقراء والمساكين من ثمار جنتهم، وأقسموا على ذلك، والله -عز وجل- يقول: ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ﴾ [النمل:٥٠-٥١]

فكان عاقبة مكرهم أن حرمهم الله جنتهم، قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ [القلم].

عباد الله! المكر السيئ دائما لا يحيق إلا بأهله ومن الأمثلة على ذلك:

١ - فرعون عندما مكر بنبي الله موسى عليه السلام.

فقال فرعون لموسى: ﴿فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾﴾ [طه]

ثم ماذا فعل فرعون ؟ قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾﴾ [طه]

عباد الله! أتدرون ما هو كيد فرعون ؟

جمع السحرة من كلِّ مكانٍ، كما أشارت عليه بطانة السوء الذين قالوا: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الشعراء].

ثم جمع الناس في مكانٍ واحدٍ، قال تعالى: ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (٣٨) وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ (٣٩) لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ (٤٠)﴾ [الشعراء].

وأخذ فرعون يُنفر الناس عن موسى عليه السلام ويقول لهم: ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧)﴾ [الشعراء]، ويقول لهم: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ (٥٢)﴾ [الزخرف]، ويقول لهم: ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (١٠٩) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (١١٠)﴾ [الأعراف]

فتأملوا عباد الله إلى هذا المكر السيئ من فرعون، ولكن الله -عز وجل- يقول: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ﴾ [النمل:٥٠-٥١]

عباد الله! الأمر الملفت أن السحرة الذين جاء بهم فرعون لينتصر بهم على موسى آمنوا برب العالمين رب موسى وهارون! قال تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى (٧٠)﴾ [طه]

عباد الله! وهكذا فلا يحيق المكر السيئ إلا بأهله.

٢- المفسدون المجرمون من قوم ثمود الذين مكروا بنبي الله صالح عليه السلام، وقرروا بالليل وأقسموا بالله أن يقتلوا نبي الله صالحا عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (٤٨) قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (٤٩) وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٠) فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ (٥١) فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٥٢) وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٥٣)﴾ [النمل]

٣- كفّار مكة عندما مكروا برسول الله ﷺ ليقتلوه أو يخرجوه من مكة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال]

عباد الله! ولما خرج كفار مكة إلى بدر مكروا وحلفوا بالله أن يقتلوا محمداً وأصحابه وأن يشربوا الخمور عند بدر حتى تعلم بهم العرب! ولكن في بدر قُتل منهم من قتل وأسر من أسر ورجع بقيتهم يجرون أذيال الخيبة والندامة والحسرة وهكذا لا يحيق المكر السيئ إلا بأهله.

فالذين يمكرون بالإسلام والمسلمين من أعداء الإسلام نقول لهم: اعملوا ما شئتم، وامكروا ما شئتم فإن المكر السيئ لا يحيق إلا بأهله، والله عز وجل يقول لهم: ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤٧﴾﴾ [إبراهيم]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾﴾ [الطارق]

ثانيا: أن العزم على العمل مما يؤاخذ به الإنسان.

وهذا يؤخذ من قصة أصحاب الجنة فإنهم عزموا بالليل على حرمان الفقراء والمساكين فعوقبوا على ذلك قبل إنفاذ الفعل، قال تعالى: ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ [القلم] .

عباد الله! فالإنسان يُعاقب على عزمه على فعل المعصية قبل فعلها، ومن الآدلة على ذلك من الكتاب والسنة:

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [الحج]

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار**»، فقلت: يا رسول الله، هذا القاتل، فما بال المقتول؟! قال: «**إنه كان حريصاً على قتل صاحبه**»(١).

فعلق الوعيد بدخول النار للمقتول على حرصه على قتل صاحبه، يعني عزمه على قتل صاحبه.

وقوله ﷺ: «**إنما الدنيا لأربعة نفرٍ: عبدٌ رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه، ويصلُ فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقاً، فهذا بأفضل المنازل. وعبدٌ رزقه الله علماً ولم يؤته مالاً فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلانٍ، فهو بنيته فأجرهما سواء. وعبدٌ رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً فهو يخبط في ماله بغير علم، ولا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقاً، فهذا بأخبث المنازل، وعبدٍ لم يرزقه الله مالاً ولا علماً، فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلانٍ، فهو بنيته فوزرهما سواء**»(٢).

عباد الله! والنية في هذا الحديث هي العزم على الفعل.

ولو قال قائل إن هذا يتعارض مع قوله ﷺ: «**ومن هم بسيئةٍ فلم يعملها لم تكتب شيئاً، فإن عملها كُتبتْ سيئةً واحدةٌ**»(٣).

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨).

(٢) صحيح لغيره: أخرجه الترمذي (٢٣٢٥)، وأحمد (٤/ ٢٣١)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٦)].

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (١٦٢).

الجواب: إنه لا تعارض بين الأحاديث فالعزم يختلفُ عن الهمّ ففي قوله ﷺ: «**من همَّ بسيئة فلم يعملها**» أي: فلم يعزم على عملها.

ثالثا: احذر الندم والحسرة في وقتٍ لا ينفع فيه ندمٌ ولا حسرةٌ.

وهذا يؤخذ من قصة أصحاب الجنة، فإنهم عندما وصلوا إلى جنتهم ووجدوها قد احترقت -بسبب ما كانوا قد عزموا عليه من حرمان المساكين والفقراء من ثمرها- ندموا ندماً شديداً، قال تعالى في وصفهم: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾﴾ [القلم]

عباد الله! العصاه والمجرمون يندمون في وقتٍ لا ينفع فيه ندم، ويتحسرون في وقتٍ لا تنفعُ فيه حسرةٌ ومن الأمثلة على ذلك:

١ -**عند الموت**. قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآ﴾ [المؤمنون:٩٩-١٠٠].

٢ - **في أرض المحشر**. قال تعالى: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِىۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفرقان]، وقال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنعام].

٣- **عند تطاير الصحف.** قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩)﴾ [الحاقة]

٤- **عند الحساب.** قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩)﴾ [الكهف]

٥- **على أبوب جهنم.** قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٧) بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٢٨)﴾ [الأنعام]

٦- **في داخل جهنم.** قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (٣٦) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ (٣٧)﴾ [فاطر]. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا (٦٦) وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (٦٨)﴾ [الأحزاب].

وقال تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ (١١)﴾ [غافر]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠) فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ (١١)﴾ [الملك]

رابعاً: من عصى ثمّ ندم على معصيته وبادر بالتوبة النصوح إلى الله تعالى قبل فوات الأوان تاب الله عليه.

وهذا يؤخذُ من قصةِ أصحابِ الجنةِ فقد نَدِموا على معصيتهم ورغبوا إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ (٣٠) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ (٣١) عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ (٣٢)﴾ [القلم]

عباد الله! الإنسان في هذه الدنيا ليس معصوماً عن الذنب، -وإن الله عز وجل عَصَمَ أنبياءه فقط- فإذا أذنب الإنسان ذنباً كبيراً كان أو صغيراً فيجب عليه **أن يبادر بالتوبة من قريبٍ.**

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [النساء].

وقال ﷺ: «**كل ابن آدم خطّاء وخيرُ الخطّائين التّوابون**»(1).

وقال ﷺ: «**الندمُ توبةٌ**»(2).

وقال ﷺ: «**الندمُ توبةٌ، والتائبُ من الذنب كمن لا ذنب له**»(3).

عباد الله! وقسم الله الناس إلى قسمين: تائبٌ وظالمٌ.

قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات].

فعلى العاقل إذا أذنب ذنبا أن يبادر بالتوبة إلى الله تعالى؛ استجابةً لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم:٨]، ولقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور:٣١].

---

(١) **حسن**: أخرجه الترمذي (٢٤٩٩)، وابن ماجه (٤٢٥١)، وأحمد (٣/ ١٩٨)، والحاكم (٤/ ٢٧٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٣١٣٩)].

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٤٢٥٢)، وأحمد (١/ ٣٧٦)، والحاكم (٤/ ٢٧١)، [«صحيح الجامع» (٦٨٠٢)].

(٣) **حسن**: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٣٠٦)، وأبو نعيم (١٠/ ٤٣٢)، [«صحيح الجامع» (٦٨٠٣)].

وفي الحديث القدسي يقول سبحانه وتعالى: «**يا عبادي! إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم**»(١).

وقال أيضاً في الحديث القدسي: «**يا ابن آدم! إنك ما دعوتني ورجوتني؛ غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم! لو بلغت ذنوبك عنان السماء، ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم! إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة**»(٢).

عباد الله! على العاقل أن يبادر بالتوبة إلى الله -عز وجل-؛ استجابة لقوله ﷺ: «**يا أيها الناس! توبوا إلى الله، فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة**»(٣).

ولقوله ﷺ: «**لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم السماء، ثم تبتم لتاب عليكم**»(٤).

عباد الله! ومن الأمثلة على من استجاب وسارع في التوبة إلى الله:

١- الرجل الذي قتل مائة نفس ومع ذلك قال: أريد أن أتوب دلوني على عالم.

٢- المرأة التي زنت في عهد رسول الله ﷺ، وجاءت إلى رسول الله ﷺ تقول له: «يا نبي الله! أصبت حداً فأقمه عليَّ»(٥).

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

(٢) **حسن**: أخرجه الترمذي (٣٥٤٠)، وأحمد (٥/ ١٦٧)، والدارمي (٢٧٨٤)، [«الصحيحة» (١٢٧)].

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٧٠٢).

(٤) **حسن**: أخرجه ابن ماجه (٤٢٤٨)، [«الصحيحة» (٩٠٣)].

(٥) **صحيح**: أخرجه مسلم (١٦٩٦).

٣- ماعز بن مالك الذي جاء إلى النبي ﷺ يقول له : «يا رسول الله! إني قد ظلمت نفسي وزنيت وإني أريد أن تطهرني»(١).

عباد الله! وقد أخبر الله عباده وبشرهم بأنه سبحانه وتعالى يغفر الذنوب جميعا، وفتح أبواب التوبة أمامهم على مصراعيها، وحذرهم من تأخير التوبة.

فقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [الزّمر]

عباد الله! يجب على العصاه أن يبادروا بالتوبة النصوح إلى الله تعالى قبل فوات الأوان، وقبل أن يندموا في وقت لا ينفع فيه الندم.

خامساً: -من الدروس والعظات والعبر تؤخذ من قصة أصحاب الجنة- أن الخوف من عذاب الآخرة يدفع إلى الطاعة ويمنع من المعصية.

ولذلك ختم الله قصة أصحاب الجنة بقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [القلم]

عباد الله! المسلم الذي يعلمُ أن هناك عذاباً في الآخرةِ يدفعه علمه وإيمانه هذا إلى العمل الصالح، ويمنعه من اقترافِ المعاصي.

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٦٩٥).

قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [الإنسان]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ [الفرقان]، وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴿١٦﴾﴾ [الزمر]

عباد الله! وهذا الحر الشديد في هذه الأيام تذكير من الله سبحانه وتعالى لنا بحر جهنم ليسارع العصاة بالتوبة من قريب، قال ﷺ: «**اشتكتْ النارُ إلى ربها فقالت: يا رب! أكل بعضي بعضاً، فأَذِنَ لها بنفسينِ: نفس في الشتاءِ، ونفس في الصيف، فهو أشد ما تجدون من الحرِّ، وأشدُّ ما تجدون من الزمهرير**»(١).

عباد الله! ومع ذلك ترى كثيرا من الناسِ عن الموتِ والقبر والحشر وعذاب الآخرة غافلون وحالهم.

كما قال القائل:

أمـــا والله لـــو علـــم الأنـــام   لمـا خلقـوا لمـا هجعـوا ونـاموا

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٢٦٠)، ومسلم (٦١٧) واللفظ له.

لقــد خلقــوا لأمــر لــو رأتــه عيــون قلــوبهم تــاهوا وهــاموا
ممــات ثــم قــبر ثــم حــشر وتـــوبيخ وأهـــوال عظـــام
ليـوم الحـشر قـد عملـت رجـال فــصلوا مــن مخافتــه وصــاموا
ونحـــن إذا أمرنـــا أو نهينـــا كأهـــل الكهـــف أيقـــاظٌ نيـــام

٣١

تاسعاً: قصة عالم السوء الذي أخلد إلى الأرض واتبع هواه

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ﴾ [الكهف:١٣].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ [آل عمران:٦٢].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدة من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **الفرقان من قصص القرآن دروس وعظاتٌ وعبرٌ.**

أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **قصة عالمِ السوءِ الذي أخلَد إلى الأرض واتبعَ هواه**

عباد الله! قصة عالم السوءِ يُخبرنا عنها ربنا -جلا وعلا- في كتابه الكريم، هناك في سورة الأعراف فيقول سبحانه: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [الأعراف].

عباد الله! عالمُ السوءِ: هو عالمٌ قد انسلخ مِن علمه، فهو عالمٌ جاهلٌ. أخلدَ إلى الأرض، أي: باعَ دينه بعرضٍ من الدنيا، واتبعَ هواه.

﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ [الأعراف:١٧٦].

ومثله كمثل الحمار، قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾ [الجمعة:٥].

عباد الله! فعالمُ السوءِ الذي انسلخ من علمه نزل من منزلةِ العلماء إلى منزلةِ الكلابِ والحَميرِ، ولذلك بعد أن قال الله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ قال: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف].

عباد الله! عالم السوءِ الذي انسلخ من علمه وباعَ دينه بعرضٍ من الدنيا أخطرُ على الأمة من أعدائها، ولذلك وصفه الله لنا في كتابه ووصفه لنا رسول الله ﷺ في سنته.

عباد الله! فهذه صفاتُ عالم السوءِ لتكونوا منه على حذر:

الصفةُ الأولى: إذا أمرَ الناس بالبر نسي نفسه!

وهذا يدل على **أنه إنسان لا عقل له،** قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة].

وقال ﷺ: «**مثلُ العالم الذي يُعَلمُ الناسَ الخيرَ وينسى نفَسهُ كمثلِ السراجِ يضيءُ للناسِ ويحرقُ نفسه**»(١).

وقال ﷺ: «**رأيت ليلة أُسري بي رجالاً تُقرضُ شفاههم بمقاريض من النار، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: الخطباءُ من أمتكَ، يأمرون الناس بالبرّ وينسون أنفسهم وهم يتلون الكتاب أفلا يعقلون**»(٢).

ويقولُ القائل:

يـــا أيهـــا الرجـــلُ المعلـــم غـــيرَه	هـــلاَّ لنفـــسك كـــان ذا التعلـــيمُ
تصفُ الدواءَ لذي السقام من الضنا	كـــيما يـــصحَّ بـــه وأنـــت ســـقيمُ
ابـــدأ بنفـــسكَ فانههـــا عـــن غيِّهـــا	فـــإذا انتهيـــت عنـــه فأنـــت حكـــيمُ
لا تنـــهَ عـــن خلـــقٍ وتـــأتي مثلـــهُ	عـــارٌ عليـــك إذا فعلـــتَ عظـــيمُ

(١) **صحيح:** أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ١٦٦)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٣١٤)، [«صحيح الجامع» (٥٨٣١)].

(٢) **صحيح:** أخرجه أحمد (٣/ ٢٣٩)، وأبو يعلى (٧/ ٦٩)، ومسند عبد بن حميد (١٢٢٢)، [«الصحيحة» (٢٩١)].

الصفةُ الثانيةُ: فِعْلُهُ يُخالِفُ قولَهُ!

والله -عز وجل- يمقتُ ذلك، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف].

وقال ﷺ: «**يؤتى بالرجل يوم القيامة فيُلقى في النار، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمعُ إليه أهل النار، فيقولون: يا فلان! ما لك؟ ألم تكن تأمرُ بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقولُ: بلى، قد كنت آمُرُ بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه!**»[1].

قال ابنُ القيم -رحمه الله-: (علماءُ السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناسَ بأقوالهم، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم! فكلما قالت أقوالهم للناس: هلموا، قالت أفعالهم: لا تسمعوا منهم!! فلو كان ما دعوا إليه حقاً كانوا أوّل المستجيبين له، فهم في الصورة أدلاء، وفي الحقيقة قطّاع الطرق)[2].

عباد الله! ولذلك كان ﷺ يستعيذ بالله من علمٍ لا ينفع فيقول ﷺ: «**اللهم! إني أعوذُ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفسٍ لا تشبع، ومن دعوةٍ لا يستجاب لها**»[3].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٢٦٧) ومسلم (٢٩٨٩) واللفظ له.

(٢) «فوائد الفوائد» (ص٢٤٩).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧٢٢).

عباد الله! والله -عز وجل- يقول في أمثال هؤلاء الذين يدعون الناسَ إلى الجنة بأفواههم، ويدعونهم إلى النار بأفعالهم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ (٤)﴾ [المنافقون].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ (٢٠٦)﴾ [البقرة].

ويقول ﷺ: «**إن أخوفَ ما أخافُ على أُمتي كلُّ منافقٍ عليم اللسان**»(١).

الصفةُ الثالثة: عالمُ السوءِ الذي انسلخ من علمه لا يريدُ إلا الدنيا الفانية ورضا الناس، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ [الأعراف].

ورسول الله ﷺ يقول: «**من التمس رضا الله بسخطِ الناسِ؛ رضي الله عنه، وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله، سخِطَ الله عليه وأسخط عليه الناس**»(٢).

فالعاقل من يحرصُ على رضا الله وإن سخط عليه الناس، وعالم السوء يحرص على رضا الناس عنه وإن سخط الله عليه!

عباد الله! عن الوليد بن الوليد أبي عثمان المديني، أن عقبة بن مسلم حدّثه، أن شُفَيّاً الأصبحيّ حدّثه: أنه دخل المدينة فإذا هو برجلٍ قد اجتمع عليه الناسُ، فقال:

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٢٢)، والبزار (٣٠٥)، [«الصحيحة» (١٠١٣)].

(٢) **صحيح لغيره**: أخرجه ابن حبان (٢٧٦)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٥٠)].

من هذا؟ قالوا: أبو هريرة، قال: فدنوت منه، حتى قعدت بين يديه؛ وهو يحدّث الناس، فلما سكت وخلا، قلت له: أسألك بحقٍّ وبحق، لـمّا حدثتني حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ وعَقِلته وعَلِمته، فقال أبو هريرة: أفعل، لأحدثنك حديثاً حدثنيه رسول الله ﷺ عقلته وعلمته، ثم نشغ أبو هريرة نشغةً -أي: شهق حتى كاد يغشى عليه أسفاً أو خوفاً- فمكثنا قليلاً ثم أفاق، فقال: لأحدثنك حديثاً حدثنيه رسولُ الله ﷺ أنا وهو في هذا البيت، ما معنا أحدٌ غيري وغيره، ثم نشغ أبو هريرة نشغةً أخرى، ثم أفاق ومسح عن وجهه، فقال: أفعل، لأحدثنك حديثاً حدثنيه رسول الله ﷺ أنا وهو في هذا البيت، ما معنا أحدٌ غيري وغيره، ثم نشغ أبو هريرة نشغةً شديدةً، ثم مال خاراً على وجه، فأسندته طويلاً، ثم أفاق فقال: حدثني رسول الله ﷺ: «**إن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة، ينزل إلى العباد ليقضيَ بينهم، وكلُّ أمةٍ جاثية، فأول من يُدعى به رجلٌ جمع القرآن ورجلٌ قُتل في سبيل الله، ورجلٌ كثير المال، فيقول الله عز وجل للقارئ: ألم أعلِّمك ما أنزلتُ على رسولي؟ قال: بلى يا رب، قال: فما عَمِلت فيما عَلِمت؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار، فيقول الله عز وجل له: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله تبارك وتعالى: بل أردت أن يقال: فلان قارئ، وقد قيل ذلك.**

ويؤتى بصاحب المال، فيقول الله عز وجل: ألم أُوْسعْ- أي: أُغنِك- **عليك حتى لم أدعكَ تحتاج إلى أحدٍ؟**

قال: بلى يا رب؛ قال: فماذا عملت فيما آتيتك؟

قال: كنتُ أصلُ الرحمَ وأتصدق. فيقول الله له: كذبت. وتقول الملائكة: كذبت، ويقول الله تبارك وتعالى: بل أردت أن يقال: فلانٌ جوادٌ، وقد قيل ذلك.

ويؤتى بالذي قُتل في سبيل الله، فيقول الله له: فيماذا قُتلت؟ فيقول: أي ربِّ! أَمرت بالجهادِ في سبيلك، فقاتلت حتى قُتلت، فيقول الله له: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، ويقول الله: بل أردتُ أن يقال: فلانٌ جريء، فقد قيل ذلك». ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي فقال: «**يا أبا هريرة! أولئك الثلاثة أول خلق الله تُسعر بهم النار يوم القيامة**».

قال الوليد أبو عثمان المديني: وأخبرني عُقبة أن شُفَيّاً هو الذي دخل على معاوية فأخبره بهذا.

قال أبو عثمان: وحدثني العلاء بن أبي حكيم أنه كان سيّافاً لمعاوية قال: فدخل عليه رجلٌ فأخبره بهذا عن أبي هريرة. فقال معاوية: قد فُعل بهؤلاء هذا، فكيف بمن بقيَ من الناس؟ ثم بكى معاوية بكاءً شديداً، حتى ظننا أنه هالكٌ، وقلنا: قد جاءنا هذا الرجلُ بشرٍ!، ثم أفاق معاوية، ومسح عن وجهه، وقال: صدق الله ورسوله: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾**﴾ [هود] [(١)].

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن خزيمة (٢٤٨٢)، والترمذي (٢٣٨٢)، والحاكم (١/ ٥٧٩)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢)].

الصفة الرابعةُ: علماءُ السوءِ: دعاةٌ على أبواب جهنم.

ويقول حذيفةُ بنُ اليمان رضي الله عنه: كان الناسُ يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنتُ أسأله عن الشرِّ مخافة أن يدركني. فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهليةٍ وشرٍّ، فجاءنا اللهُ بهذا الخيرِ، فهل بعد هذا الخير من شرٍّ؟ قال: «**نعم**» قلتُ: وهل بعد هذا الشرّ من خيرٍ؟ قال: «**نعم وفيه دخن**» قلتُ: وما دخنه؟ قال: «**قومٌ يهدون بغير هديي، تعرفُ منهم وتنكر**» قلت: فهل بعد ذلك الخير من شرٍّ؟ قال: «**نعم، دعاةٌ إلى أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها**» قلت: يا رسول الله صفهم لنا فقال: «**هم من جلدتنا؛ ويتكلمون بألسنتنا**». قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «**تلزمُ جماعة المسلمين وإمامهم**» قلت: فإن لم يكن لهم جماعةٌ ولا إمام؟ قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلّها، ولو أن تعضَّ بأصل شجرةٍ حتى يدركك الموتُ وأنت على ذلك**»[1].

الصفة الخامسةُ: عالمُ السوءِ الذي انسلخ من علمه متبعٌ لهواه في الحقيقة.

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾ [الأعراف:١٧٦].

- فالهوى إلهه الذي يأمرهُ وينهاهُ.

قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ [الجاثية:٢٣]، وقال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان].

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٦٠٦).

واعلموا أن الإنسان إذا اتبع هواه هلك، قال ﷺ: «**ثلاثٌ مهلكاتٌ، وثلاثٌ منجياتٌ، وثلاثٌ كفاراتٌ، وثلاثٌ درجاتٌ، فأما المهلكاتُ: فشحٌّ مطاعٌ، وهوىً متبعٌ، وإعجابُ المرء بنفسه**»[1].

الهوى يمنع صاحبه من الاستجابة لله ولرسوله، ولذلك قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص]، **الهوى يضل صاحبه عن سبيل الله**، قال تعالى: ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص].

---

(١) **حسن**: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥٧٥٤)، [«صحيح الجامع» (٣٠٤٥)].

٣٢

عاشراً: الدروس والعظاتُ والعبر التي تؤخذ من قصةٌ عالم السوء

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدة من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **الفرقان من قصص القرآن دروس وعظاتٌ وعبرٌ.**

أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **الدروس والعظاتُ والعبرُ التي تؤخذ من قصة عالم السوء**

عباد الله! قصة عالم السوء التي أخبرنا الله عنها في كتابه والتي تكلمنا عنها في الجمعة الماضية فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: المنسلخ مِنْ علمهِ مذمومٌ من كل وجه، وهو قد خسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين.

عباد الله! في قصة عالم السوء ذمَّ الله عالمَ السوءِ المنسلخُ من علمه من عشرة وجوهٍ:

أولها: أنه ضلَّ بعد العلم، واختار الكفر على الإيمان عمداً لا جهلاً، قال تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا ﴾ **[الأعراف:١٧٥]**.

عباد الله! فعالم السوءِ ضلَّ وكفر بعد علمٍ والله -عز وجل- يقول: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾ [الكهف]، ويقول سبحانه: ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ [الإسراء:١٥]، ويقول -عز وجل-: ﴿قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ [مريم:٧٥].

ثانيها: أنهُ فارق العلمَ مفارقة من لا يعودُ إليه أبداً، فإنه قد انسلخ من الآيات بالجملة كما تنسلخ الحيةُ من قشرها.

قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ [الأعراف:١٧٥].

ثالثها: أن الشيطان أدركه ولحقَه فظفر به وافترسهُ.

ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الأعراف:١٧٥].

عباد الله! والشيطانُ إذا أدرك الإنسان ولحقه واستحوذ عليه فماذا سيأمره، وإلى ماذا سيجره؟

١- يغويه، كما قال تعالى في قصة عالم السوء: ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝١٧٥﴾ [الأعراف:١٧٥] وذلك لأن الشيطان أقسم بالله ليُغوينَّ بني آدم أجمعين إلا المخلصين منهم، قال تعالى: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٨٣﴾ [ص].

٢- يدعوه إلى الكفر، قال تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٦ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٧﴾ [الحشر].

٣- يصدهُ عن سبيل الله، وعن كل خير يوصل إلى رضا الله والجنة، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۝٣٦ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۝٣٧ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ۝٣٨ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۝٣٩﴾ [الزخرف]، وقال تعالى: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ۝١٧﴾ [الأعراف].

٤- يأمرهُ بالفحشاءِ والمنكر، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [النور:٢١].

٥- يُنْسِيه ذكر الله ويدعوه إلى حزبه، قال تعالى: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝١٩﴾ [المجادلة]، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا

ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر].

٦- يأمره ويزين له الكذب على الله وعلى رسوله ﷺ، فيحلل ويحرمُ هذا الإنسان بغير علمٍ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [البقرة]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [النحل].

عباد الله! فعالم السوءِ الذي انسلخ من علمه أدركه الشيطان واستحوذ عليه وجندَّهُ في حزبه حتى أصبح لا يعرفُ إلا هواه ولا يتبعُ إلا شهواته ثم دفعه ذلك إلى الكذب على الله وعلى رسوله ﷺ، وإلى تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله كما قال تعالى عن علماء السوء: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم]. وقال تعالى فيهم أيضاً: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [الأعراف].

رابعُها: أنه غوى بعد الرشدِ.

قال تعالى: ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [الأعراف].

عباد الله! ومن سلك سبيلَ الغي كان من أهل النار، قال تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ

أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَـٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾﴾ [الشعراء].

عباد الله! فعالم السوء الذي انسلخ من علمه ينطبق عليه قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأعراف].

خامسها: أنه سبحانه لم يشأ أن يرفعه بالعلم، فكان العلم سببَ هلاكه، لأنه لم يُرفع به! فصار وبالاً عليه، ولو لم يكن عالماً لكان خيراً له وأخف لعذابه، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا ﴾ [الأعراف:١٧٦].

عباد الله! العالم الذي لم يعمل بعلمه يدخلُ النارَ قبلَ عُباد الوثن، وأنتم تعرفن حديث النبي ﷺ عن أولِ من تُسعرُ بهم النار ومنهم العالم الذي لم يعمل بعلمه وأراد بعلمه الدنيا الفانية.

سادسها وسابعها: أنه سبحانه أخبر عن خِسَّةِ همتِهِ، وأنهُ اختارَ الأسفلَ الأدنى على الأشرف الأعلى.

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَـٰهُ بِهَا وَلَـٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف:١٧٦].

عباد الله! والأرض هي الدنيا، فعالم السوءِ أخلدَ إلى الدنيا، أي: ركن إليها وترك الآخرة!

• ركن إلى الدنيا التي حذر الله منها في كتابه فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥﴾ [فاطر].

• عالمُ السوءِ ركن إلى الدنيا التي قال الله في وصفها: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ٢٠﴾ [الحديد].

وقال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا لَهۡوٞ وَلَعِبٞۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٦٤﴾ [العنكبوت].

• عالم السوء ركن إلى الدنيا التي توعد الله من ركن إليها بالعذاب الأليم في النار، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٦﴾ [هود].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ٣٧ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ٣٨ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ٣٩﴾ [النازعات].

• عالم السوء ركن إلى الدنيا التي ذمها رسول الله ﷺ، قال ﷺ: «**إنّ مما أخاف عليكم بعدي، ما يُفتح عليكمُ من زهرةِ الدنيا وزينتها**»(١).

وقال ﷺ: «**إنّ الدُّنيا حلوةٌ خضرةٌ، وإن الله مُستخلفُكُمْ فيها، فينظرُ كيف تعملون، فاتقوا الدُّنيا واتقوا النساء**»(٢).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٤٦٥)، ومسلم (١٠٥٢) واللفظ له.

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٧٤٢).

وقال ﷺ: « **الدنيا ملعونةٌ معلونٌ ما فيها، إلا ذكر الله تعالى ما والاهُ، أو عالماً أو مُتعلماً**»(١).

وقال ﷺ: «**مَن كانت الآخرةُ همَّه، جعل الله غناه في قلبه، وجمعَ له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همّه، جعل الله فقره بين عينه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قُدِّر له**»(٢).

ثامنها: أنه رَغِبَ عن الهدى واتبع هواه، فجعل هواه إماماً له يقتدى به ويتبعه.

قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الأعراف:١٧٦].

عباد الله! والله -عز وجل- يقول في وصف الذين يتبعون أهوائهم: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية].

وقال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان].

تاسعها: أن الله عز وجل شبَّهُه بالكلب الذي هو أخسُّ الحيوانات همّة، وأسقطُها نفساً، وأبخلُها وأشدُّها كَلَباً، ولهذا سُمِّي كلباً، قال تعالى: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾ [الأعراف:١٧٦].

---

(١) **حسن**: أخرجه الترمذي (٢٣٢٢)، وابن ماجه (٤١١٢)، [«الصحيحة» (٢٧٩٧)].

(٢) **حسن**: أخرجه الترمذي (٢٤٦٥)، [«الصحيحة» (٩٤٩)].

وعاشرُها: أنه شبّه لهثَه على الدنيا وعدم صبره عنها وجزعه لفقدها وحرصه على تحصيلها؛ بلهث الكلب في حالتي تركه أو الحمل عليه بالطرد، فهذا المنسلخ من علمه؛ إن تُرِك فهو لهثان على الدينا، وإن وُعظ وزُجرَ فهو كذلك، فاللهث لا يفارقه في كل حال كلهث الكلب.

قال تعالى: ﴿إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ [الأعراف:١٧٦]

ثانياً: العلم الشرعي يرفعُ صاحبهُ إلى أفضل المنازل، والجهلُ ينزلُ بصاحبه إلى أخبث المنازل

وهذا يؤخذ من قصة عالم السوءِ، فعالمُ السوءِ نزل من منزلة العلماء وهي من أفضل المنازل إلى منزلة الكلاب وهي من أخبث المنازل.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [الأعراف].

وقال ﷺ: «**إنما الدنيا لأربعة نفرٍ: عبدٍ رزقهُ الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربهُ، ويصلُ فيه رحمهُ، ويعمل لله فيه حقاً، فهذا بأفضل المنازل، وعبدٍ رزقه الله تعالى علماً ولم يرزقه مالاً، فهو صادق النية، يقول: لو أن لي مالاً، لعملت بعمل فلانٍ فهو بنيته، فأجرهما سواءٌ، وعبدٍ رزقهُ الله مالاً، ولم يرزقه علماً، يخبط في ماله بغير علمٍ، لا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعمل لله فيه حقاً، فهذا بأخبث المنازل، وعبدٍ لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول: لو أن لي مالاً لعملتُ فيه بعمل فلان، فهو بنيته، فوزرهما سواء**»(١).

---

(١) **صحيح**: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٣٤٥)، وأحمد (٤/ ٢٣١)، والترمذي (٢٣٢٥)، [«صحيح الجامع» (٣٠٢٤)].

فانظروا عباد الله! العلم رفع صاحبه إلى أفضل المنازل في حال الفقر والغنى، والجهلُ نزل بصاحبه إلى أخبث المنازل في حال الفقر والغنى.

عباد الله! العلم يرفع أهله في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١].

وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [يوسف].

وقال ﷺ: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضعُ به آخرين**»[(١)].

وقال ﷺ: «**يُقالُ لصاحب القرآن: اقرأ وارتق، ورتل كما كنت تُرتِّلُ في الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها**»[(٢)].

عباد الله! إن الإنسان الذي يُفتي الناس بغير علمٍ قد يقتلُ نفسَهُ وقد يقتلُ غيره، بل إنه يدمر أمته.

أما أنه يقتلُ نفسه فمثال ذلك الراهب الذي ذكر في حديث الرجل الذي قتل تسعةً وتسعين نفساً وأراد أن يتوب فقال: دلوني على عالم، فدلوه على راهب لا

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٨١٧).

(٢) **حسن صحيح**: أخرجه أبو داود (١٤٦٤)، والترمذي (٢٩١٤)، وأحمد (٢/ ١٩٢)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٥/ ٢٢)، [«صحيح سنن أبي داود» (١٣٠٠)].

علم عنده فقال له: قتلتُ تسعةً وتسعين نفساً فهل لي من توبة؟ فقال الراهب: لا، فقتله فكمل به المائة.

أما أنه يَقتلُ غيرهُ فمثال ذلك في حديث الرجل الذي شُجَّ في رأسه فسأل أصحابه هل لي من رخصةٍ في التيمم؟ فقالوا: لا، فاغتسل فمات. فلما وصل الخبرُ إلى النبي ﷺ قال: «**قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا فإنما شفاء العِيِّ السؤال**»[1].

أما أنه يدمر أمته فاستمع إلى قوله ﷺ: «**إن الله -تعالى- لا يقبضُ العلم انتزاعاً، ينتزعه من العباد، ولكن يقبضُ العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يُبْق عالماً اتخذ الناسُ رؤساء جُهالاً، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضَلّوا وأضلّوا**»[2].

عباد الله! وعالمُ السوء الذي انسلخ من علمه أشد ضرراً من هذا الذي يُفتي الناس بغير علم فاحذروا.

ثالثاً: ابن آدم! فكرْ واعتبرْ قبل أن تندم.

وهذا يؤخذ من قصة عالم السوء من قوله تعالى: ﴿**فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ١٧٦﴾ [القصص].

ابن آدم! فكر في قصص القرآن ترى أن المعاصي سببٌ لكل شر:

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٣٣٦)، وابن ماجه (٥٧٢)، وأحمد (١/ ٣٣٠)، [«صحيح الجامع» (٤٣٦٢)].

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

- فما الذي أخرج الأبوين من الجنة، دار اللذة والنعيم والبهجةِ والسرور، إلى دار الآلام والأحزان والمصائب؟!
- وما الذي أخرج إبليس من ملكوت السماء وطرده ولعنهُ، ومسخ ظاهره وباطنه فبُدّل بالقرب بُعداً، وبالرحمة لعنةً، وبالجمال قُبحاً، وبالجنة ناراً تلظى؟!
- وما الذي أغرق أهل الأرض -في زمن نوح عليه السلام- حتى علا الماء فوق رؤوس الجبال؟!
- ما الذي سلط الريح على قوم عادٍ حتى ألقتهم موتى على وجه الأرض كأنهم أعجاز نخل خاويةٍ؟!
- وما الذي أرسل على قوم ثمود الصيحة حتى قُطِّعت قلوبهم في أجوافهم وماتوا عن آخرهم؟!
- وما الذي رفع قرى اللوطية حتى سمعت الملائكة نباح الكلاب، ثم قلبها عليهم، فجعل عاليها سافلها، وأهلكهم جميعاً، ثم أتبعهم بحجارة من السماء أمطرها عليهم، فجمع عليهم من العقوبة ما لم يجمعه على أمةٍ غيرهم، ولإخوانهم أمثالها ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ۝٨٣﴾ [هود].
- وما الذي أغرق فرعون وقومه في البحر ثم نقلت أرواحهم إلى جهنم فالأجساد للغرق، والأرواح للحرق؟!

• وما الذي خسف بقارون وداره وماله وأهله؟!

• وما الذي أهلك أصحاب القرية إذا جاءها المرسلون؟!

• وما الذي أحرق الجنة لأصحاب الجنة؟!

• وما الذي أبدل قوم سبأٍ أمنهم خوفاً وشبعهم جوعاً؟!

• وما الذي أنزل عالمَ السوءِ من منزلة العلماء إلى منزلة الكلاب والحمير؟!

عباد الله! أليس السبب في ذلك كله المعاصي والذنوب!!

فيا ابن آدم! فكر واعتبر بعاقبة المعاصي والذنوب قبل فوات الأوان.

وإليكم بعضاً من آثار الذنوب والمعاصي:

١- المعاصي سببٌ لزوال النعم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم]، وقال تعالى: ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ۝١٥ فَأَعْرَضُوا﴾ -أي: لم يشكروا واقترفوا المعاصي- ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ۝١٦ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ۝١٧﴾ [سبأ].

ابن آدم!

إذا كنت في نعمة فارعها فإن المعاصي تزيلُ النعم
وحافظ عليها بشكر الإله فإن الإله شديد النقم

٢- المعاصي والذنوب سببٌ للهلاك: قال تعالى: ﴿فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ [الأنعام:٦]، وقال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ﴾ [العنكبوت:٤٠].

وقال ﷺ: «**إن الله ليملي للظالم، حتى إذا أخذهُ لم يفلته**»، قال: ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود] (١).

٣- المعاصي والذنوب سببٌ للهزيمة والذل، قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [آل عمران].

عباد الله! وهذه الآية نزلت في شأن أصحاب رسول الله ﷺ، إذا خالف الرماة في غزوة أحد أمر رسول الله ﷺ ونزلوا عن الجبل قبل أن يأمرهم بذلك، فنسأل الله عز وجل الرحمة والعفو والمغفرة؛ فكم من أمر لله ورسوله قد عصيناه وخالفناه!!

ويقول ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**»(٢).

٤- المعاصي والذنوب سببٌ لغياب الأمن والأمان والإيمان، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [النحل].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣).

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٣٤٦٢)، والبيهقي في «السنن» (٥/ ٣١٦)، وأبو نعيم (٥/ ٢٣٧)، [«الصحيحة» (١١)].

٣٣

الحادي عشر: قصةُ أصحاب السبت

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾ [الكهف:١٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران:٦٢].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدة من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **الفرقان من قصص القرآن دروس وعظاتٌ وعبرٌ**.

أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **قصة أصحاب السبت.**

عباد الله! أصحاب السبتِ قومٌ من اليهودِ، سكنوا قريةً على ساحل البحر، حرّمَ الله عليهم الصيد يوم السبت، فاعتدوا في السبت واحتالوا على أوامر الله، فمسخهم الله قردةً خاسين جزاءً وفاقاً ولا يظلم ربك أحداً.

عباد الله! قصة أصحاب السبت يخبُرنا عنها ربنا -جل وعلا- في كتابه فيقول سبحانه: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾ [الأعراف].

عباد الله! وكلامنا عن قصة أصحاب السبت سيكون حولَ العناصر التالية:

العنصر الأول: اليهود والسبت.

العنصر الثاني: قصة أصحاب السبت تُبيّن حقيقة اليهود.

العنصر الثالث: الدعوةُ إلى الله سفينةُ النجاة.

العنصر الأول: اليهود والسبتُ.

يوم السبتِ مقرون باليهود وقد ذُكِرَت كلمة «السبت» ومشتقاتها في القرآن سبع مراتٍ، ووردت المرات السبعُ كلُّها في سياق الحديث عن اليهود.

- **في قصة أصحاب السبت** -التي نحن في صدد الحديث عنها- ذُكرتْ كلمة السبتِ ومشتقاتها ثلاث مرات:

- قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ [الأعراف:١٦٣].

- وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ [النحل].

- وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلسَّبْتِ﴾ [النساء:٤٧].

- وقال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَـٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾﴾ [النساء].

- وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾ [البقرة].

عباد الله! فالسبتُ يوم راحة لليهود، حيثُ طلبَ اللهُ منهم الانقطاع عن العمل فيه، وعدم القيامِ بأي عملٍ، قال لهم: ﴿لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ لكن اليهودُ -الذين تعودوا على المخالفة وارتكابِ المحظور- عصوا ربهم، وخالفوا أمره، فاعتدوا في السبت، وقاموا بالأعمال المحظورة فحقتْ عليهم لعنة الله، قال تعالى: ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَـٰبَ ٱلسَّبْتِ﴾ ، وعاقبهم اللهُ لاعتدائهم هذا بأن مسخهم قردةً خاسئين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾.

عباد الله! وقد أخبرنا رسول الله ﷺ أنّ الله فرض على اليهود يوم الجمعةِ فأضلهم الله إلى يوم السبت وهدانا نحن ليوم الجمعة.

قال ﷺ: «**ما طلعتِ الشمسُ ولاغربتْ على يومٍ خيرٍ من يوم الجمعة، هدانا الله له، وضلّ الناس عنه، فالناس لنا فيه تَبَعٌ، فهو لنا، ولليهود يوم السبتِ، وللنصارى يومُ الأحدِ، إن فيه لساعةً لا يوافقها مؤمنٌ يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه**»(١).

وقال ﷺ: «**نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيدَ أنهم أُوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، وهذا يومُهُم الذي فُرض عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا الله له، فهم لنا فيه تَبَعٌ، فاليهودُ غداً والنصارى بعد غدٍ**»(٢).

وقال ﷺ: «**أضلّ الله عن الجمعةِ من كان قبلنا، فكان لليهود يومُ السبتِ، وكان للنصارى يومُ الأحدِ، فجاء الله بنا، فهدانا الله ليوم الجمعة، فجعل الجمعة والسبت والأحدَ، وكذلك هم تَبَعٌ لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة، المقضِيُّ لهم قبل الخلائق**»(٣).

عباد الله! ورفضُ اليهودِ ليوم الجمعة، واختيارهم ليوم السبتِ دليلٌ على طبيعة اليهود في التمردِ على أوامرِ الله، قال تعالى في وصفهم: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ

---

(١) **صحيح**: أخرجه ابن خزيمة (١٧٢٦)، وأحمد (٢/ ٥١٨)، وابن الجعد (٢٨٥٢)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (٦٩٥)].

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٨٧٦)، ومسلم (٨٥٥) واللفظ له.

(٣) **صحيح**: أخرجه مسلم (٨٥٦).

بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [البقرة].

العنصرُ الثاني: قصةُ أصحابِ السبتِ تُبين حقيقة اليهود

عباد الله: قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية (أي: واسأل هؤلاء اليهود الذين بحضرتك عن قصة أصحابهم الذين خالفوا أمر الله ففاجأتهم نقمته على صنيعهم واعتدائهم واحتيالهم في المخالفة، وحذّر هؤلاء من كتمان صفتك التي يجدونها في كتبهم، لئلا يحل بهم ما حل بإخوانهم وسلفهم).

وقوله تعالى: ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ﴾ أي: يتجاوزون حد الله فيه، وهو نهيهم عن الصيد في يوم السبتِ، فقد أُخذت عليهم العهودُ والمواثيقُ أن يحفظوا يوم السبت من أي عمل.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾ أي: ظاهرةٌ على وجه الماءِ من كل مكان ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾.

عباد الله! في هذه الآية جاء ذكر ثلاثة ابتلاءاتٍ:

الأول: نهيهم عن الصيد يوم السبت.

الثاني: مجيء الحيتان إلى اليهود يوم السبت «شرّعاً» أي: على وجه الماء بحيثُ تكون قريبة منهم، تغريهم بصيدها.

الثالث: ذهابُ الحيتان يوم لا يسبتون، واختفاؤها عندما يتوجهون لصيدها في الأيام الأخرى.

عباد الله! لم يصمد فريقٌ من سكان القرية أمام إغراء الحيتان لهم، فتحايلوا على أمر الله لهم، بأن نصبوا الحبال والشباك وحفروا الحفر التي جرى فيها الماء إلى مصائد قد أعدوها فإذا دخل السمك فيها فلا يستطيع أن يخرج منها، وفعلوا ذلك في يوم الجمعة حتى إذا جاءت الحيتان مسترسلة يوم السبت علقت في هذه المصايد فإذا خرج يوم السبت أخذوها في اليوم التالي، فغضب الله عليهم ولعنهم لما احتالوا به على مخالفة أمره.

عباد الله! انقسم أهلُ القريةِ في هذه المخالفة إلى ثلاثة أممٍ:

١-الأمة المعتدية الباغية التي احتالت على أمر الله وصادت السمك يوم السبتِ بالحيلة.

٢- الأمة الواعظة الصالحةُ التي وعظتْ المخالفين فأمرتهم بالمعروف ونهتهم عن المنكر.

٣- الأمةُ الساكتةُ عن الإنكارِ، التي توجهتْ باللومِ على الواعظين، بدلَ أن تتوجه به على المخالفين، قال تعالى عنهم: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الأعراف:١٦٤].

عباد الله! أجاب المصلحون الناصحون الآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر على الأمة الساكتة اللائمة فقالوا: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ فبينوا لهم أن هناك دافعين يدفعان للنصح والتذكير وإنكار المنكر:

الدافع الأول: «**معذرةً إلى ربكم**» وكأنهم يقولون لهم: إننا نريد أن نقدم العذر لأنفسنا أمامَ الله حتى ننجوا من يوم الحساب والعقاب.

عباد الله! عندما ننكرُ المنكرَ علينا أن نحرصُ على تحقيق ما يلي:

١ - أن نقوم بالواجب الذي كلفنا الله به، وهو واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأننا إن لم نقم به فسوف نكون عرضةً للعذاب.

٢- نقدم عذراً أمام اللهِ لأنفسنا بأننا بذلنا جهدنا، واستطاعتنا وقمنا بالمطلوب منا.

عباد الله! إن من رحمة الله بنا أنه لما أمرنا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يُطالبنا بالنتائج، وإنما طالبنا ببذلِ الجهدِ ولم يحاسبنا على الثمرة والنتيجة، فنحن نكون قد قمنا بالواجب عندما نُذَكِرُ وننصحُ ونُنْكِرُ المنكر، ولو لم يستجب لنا الناس، ولقد قال الله لرسوله ﷺ: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾﴾ [الغاشية].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾ [الرعد]، وقال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [يونس].

وقال ﷺ: «**عُرضتْ عليَّ الأممُ، فرأيتُ النبيَّ ومعه الرُهيْطُ، والنبيَّ ومعهُ الرجلُ والرجلانِ، والنبيَّ ليس معه أحد**»(١).

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠) واللفظ له.

عباد الله! فالداعي إلى الله وإن لم يستجبْ له أحدٌ فقد أعذر لنفسه عند الله سبحانه وتعالى.

عباد الله! وتقديمنا للمعذرة ينجينا من العذاب الدنيوي إذا وقع بأهل المنكرِ، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [هود].

٣- أن نقيمَ الحجةَ على أصحاب المنكر فإنّ لهم علينا حق النصح والتذكير.

عباد الله! فالتذكير قد ينفع قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات]، والنصيحة قد تنفعُ قال تعالى: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ [الأعراف:٦٢]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الأعراف] وقال ﷺ: «**الدين النصيحة**»[1].

وإنكارُ المنكر قد ينفعُ، قال ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**»[2].

عباد الله! فإذا لم ينفع مع الناس التذكيرُ، وإذا لم تفلح معهم النصيحة، وإذا لم يتركوا المنكر، نكون قد أقمنا الحجة عليهم، وأقمنا عليهم شاهداً من أنفسهم.

الدافع الثاني: «**ولعلهم يتقون**»: أي: لعل وعظهم وتذكيرهم، يوجدُ عندهم التقوى والطاعة والاستقامة.

عباد الله! إن قيام الدعاة المصلحين بواجبِ النصح والبيانِ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قد يُوجدُ عند الناس التقوى والعبادة والإيمان والاستقامة.

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٥٥).

(٢) **صحيح**: أخرجه مسلم (٤٩).

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ -أي: فلما تركوا ما ذكرهم به صلحاؤهم وأعرضوا عنه إعراضاً كلياً، بحيث لم يخطر ببالهم شيءٌ من تلك المواعظ أصلاً- ﴿أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾ وهم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ وهم العصاة المرتكبون للمعصية، ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ -أي: شديد- ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٥)﴾ بفعلهم المنكر، ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (١٦٦)﴾ [الأعراف].

عباد الله! الأمة إذا نسيت دينها وأقبلتْ على معصية الله وظهر الفساد في برها وبحرها نزل بهم عذاب الله وهذه سنةُ الله في خلقه.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٥)﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٤٣) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ (٤٤) فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٥)﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (٩٤) ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩٥)﴾ [الأعراف].

عباد الله! نسيان الدين والغفلةُ عن أوامر الله وعن الحساب والجزاء والجنة والنار سببٌ للعذاب في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ

مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [السجدة].

وقال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الأعراف].

عباد الله! ومع هذا التهديد من رب العالمين بالعذاب في الدنيا والآخرة للعصاة والمجرمين الذين يبارزون الله بالمعاصي ترى كثيراً من الناس قد أقبل على المعاصي ونسي الموت والقبر والبعث والحساب والجزاء والجنة والنار فانطبق على أولئك قول القائل:

أمـا والله لـو علـم الأنـام … لمـا خلقـوا لمـا هجعـوا ونـاموا
لقـد خلقـوا لأمـر لـو رأتـه … عيـون قلـوبهم تـاهوا وهـاموا
ممـات ثـم قـبر ثـم حـشر … وتـوبيخ وأهـوال عظـام
ليـوم الحـشر قـد عملـت رجـال … فـصلوا مـن مخافتـه وصـاموا
ونحـن إذ أمرنـا أو نهينـا … كأهـل الكهـف أيقـاظٌ نيـام

العنصر الثالث: الدعوة إلى الله سفينةُ النجاة.

عباد الله! الدعوةُ إلى الله أفضل الأعمال عند الله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف].

والدعوة إلى الله عمل الأنبياء والصالحين والدعاة المخلصين وفي مقدمتهم رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب].

عباد الله! الدعوةُ إلى الله سفينةُ النجاة إذا نزل العذابُ بالعصاة، قال تعالى في قصة أصحاب السبت ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ وقال تعالى: ﴿فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [هود].

عباد الله! الدعوةُ إلى الله سببٌ للنجاة من الخسران المبين، قال تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾ -أي: أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر-: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر].

عباد الله! الدعوةُ إلى الله سببٌ للنجاة من اللعنة.

قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة].

عباد الله! الدعوةُ إلى الله والأمرُ بالمعروف والنهيُّ عن المنكر سببٌ للنجاةِ من الهلاك، قال ﷺ: «**مَثَلُ القائم في حدود الله والواقع فيها كمثلِ قومٍ استهموا على سفينةٍ، فأصاب بعضهُمُ أعلاها، وبعضُهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا**

استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا؛ فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً»[١].

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٢٤٩٣).

٣٤

الثاني عشر: الدروس والعظاتُ والعبر التي تؤخذ من قصةُ أصحاب السبت

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدة من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **الفرقان من قصص القرآن دروس وعظاتٌ وعبرٌ**.

أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **الدروس والعظاتُ والعبرُ التي تؤخذ من قصة أصحابِ السبتِ.**

عباد الله! قصة أصحاب السبتِ التي أخبرنا الله عنها في كتابه والتي تكلمنا عنها في الجمعة الماضية فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ كثيرةٌ جداً، منها:

أولاً: اليهود سببٌ لكل شرٍّ، والله -عز وجل- لهم بالمرصاد.

لقد ظهر هذا في قصة أصحاب السبتِ بشكل واضح، فأصحاب السبت قومٌ من اليهودِ اعتدوا واحتالوا على أوامر الله وفسقوا وظلموا وعتوا عن أمر ربهم فغضب الله عليهم وجعلهم قردةً خاسئين.

عباد الله! ما من شرٍّ أو فسادٍ أوظلم يقعُ في الأرض إلا وكان وراءه اليهودُ، فتعالوا بنا لنتعرف على حقيقة اليهود من خلال الكتاب والسنة لنكون منهم على حذرٍ؛ ليهلك من هلك عن بينةٍ ويحيا من حي عن بينة.

وأذكركم بأن الرسول ﷺ يقول: «**وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**»(١).

١ - حال اليهودُ مع ربهم عز وجل.

عباد الله! الله -عز وجل- خلق اليهودَ وأنعمَ عليهم نعماً كثيرةً لا تعدُّ ولا تُحصى، فبدل أن يقابلوا هذه النعم بالشكرِ، قالوا عن الله عز وجل ما أخبرنا به سبحانه في كتابه، قال تعالى ﴿لَّقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران:١٨٦]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة:٦٤].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٤٦١).

٢- موقف وحال اليهود مع الملائكة:

عباد الله! اليهود يكرهون جبريل عليه السلام! فلما سأل يهودي من أهل المدينة رسول الله ﷺ بعض الأسئلة فقال رسول الله ﷺ: «**أخبرني بهن جبريل آنفاً**»، قال اليهودي: ذاك عدو اليهود من الملائكة(١).

والله عز وجل يقول: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة].

٣- اليهودُ مع أنبياءِ الله:

عباد الله! اليهود هم قتلت الأنبياء، قال تعالى في وصفهم: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۖ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [البقرة]، وعللوا موقفهم هذا بقولهم: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ [البقرة]

واليهود هم الذين ذبحوا أنبياء الله يحيى وزكريا -عليهما السلام-!

٤- اليهودُ مع نبي الله موسى عليه السلام.

عباد الله! اليهودُ قالوا لموسى عليه السلام: ﴿يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٤٨٠) من حديث عبدالله بن سلام رضي الله عنه.

ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ [البقرة].

اليهود قالوا لموسى عليه السلام: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ [النساء:١٥٣].

اليهودُ اتخذوا العجل وعبدوه في غياب موسى، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [البقرة].

اليهود لما جاوزَ موسى عليه السلام بهم البحر -ونجاهم الله من فرعون وجنوده- مروا على قوم يعكفون على أصنامٍ لهم، فقالوا: يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة! قال تعالى: ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [الأعراف].

٥- اليهود مع عيسى عليه السلام وأمه.

عباد الله! اليهودُ اتهموا مريم عليها السلام بالزنا، وهّموا بقتل عيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء:١٥٦-١٥٧].

٦- اليهود مع رسولنا محمد ﷺ:

أنكروا صفته التي جاءت في التوراة.

قال تعالى عنهم: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى عنهم: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى أيضاً في وصفهم: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [البقرة].

عباد الله! دخل النبي ﷺ على رجلٍ من اليهودِ ناشراً التوراة يقرؤها، يعزي بها على نفسه عن ابن له في الموت كأحسن الفتيان وأجملهم، فقال رسول الله ﷺ: «**أنشدك بالذي أنزل التوراة، هل تجدُني في كتابك ذا، صفتي ومخرجي؟**» فقال برأسه هكذا؛ أي: لا، فقال ابنه: إي والذي أنزل التوراة، إنا لنجدُ في كتابنا صفتك ومخرجك، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وأنك رسولُ الله، فقال ﷺ: «**أقيموا اليهوديّ عن أخيكم**» ثم ولي كفنه والصلاة عليه(١).

عباد الله! ولم يكتف اليهود بذلك **بل أعلنوا عداوتهم للنبي ﷺ وفكروا بقتله** ويظهر ذلك فيما يلي:

يقول أبو هريرة ﷺ: (لما فُتحتْ خيبرُ أُهديت للنبي ﷺ شاةٌ فيها سم فقال النبيُّ ﷺ: «**اجمعوا إليَّ من كان هاهنا من يهود**» فجُمعوا له: فقال: «**إني سائلكم عن شيءٍ فهل أنتم صادقي عنه؟**» فقالوا: نعم. قال لهم النبي ﷺ: «**من أبوكم؟**» قالوا: فلان. فقال: «**كذبتم بل أبوكم فلانٌ**» قالوا: صدقت. قال: «**فهل أنتم**

(١) **إسناده جيد**: أخرجه أحمد (٥/ ٤١١)، [«صحيح السيرة النبوية» (ص٧٣)].

صادقي عن شيء إن سألت عنه؟» فقالوا: نعم يا أبا القاسم وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا. فقال لهم: «**من أهل النار؟**».

قالوا: نكون فيها يسيراً ثم تخلفونا فيها.

فقال النبي ﷺ: «**اخسئوا فيها، والله لا نخلُفُكم فيها أبداً**». ثم قال: «**هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟**» فقالوا: نعم يا أبا القاسم. قال: «**هل جعلتم في هذه الشاة سُمّاً؟**» قالوا: نعم. قال: «**ما حملكم على ذلك؟**» قالوا: أردنا إن كنت كاذباً نستريحُ، وإن كنت نبياً لم يضرك) (١).

عباد الله! وإليكم موقفٌ آخر يبين عداوة اليهود لرسول الله ﷺ:

فعن أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها أنها قالت: كنتُ أحبُّ ولدِ أبي إليه وإلى عمي أبي ياسر؛ لم ألقهما قط مع ولدٍ لهما إلا أخذاني دونه قالت: فلما قدم رسول الله ﷺ، ونزل قباء في بني عمرو بن عوف غدا عليه أبي، حيي بن أخطب، وعمي أبو ياسر بن أخطب مُغلسين -أي: وقت صلاة الفجر- قالت: فلم يرجعا حتى كانا مع غروب الشمس، قالت: فأتيا كالين كسلانين ساقطين يمشيان الهويني قالت: فهششت إليهما كما كنت أصنعُ. فوالله! ما التفتَ إليّ واحدٌ منهما مع ما بهما من الغمِّ.

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣١٦٩).

قالت: وسمعتُ عمي أبا ياسر، وهو يقول لأبي حيي بن أخطب: أهو هو؟ -أي: أهو الرسول الذي نعرفه في التوراة- قال: نعم والله! قال: أتعرفه وتُثبته؟ قال: نعم قال: فما في نفسك منه؟ قال: عداوته والله! ما بقيتُ(١) -وهذا هو الشاهد-.

٧- اليهودُ مع المؤمنين.

عباد الله! اليهودُ أشدُّ الناس عداوةً للمؤمنين، قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة:٨٢].

اليهود يشعلون الحرب دائماً على المؤمنين ليردوهم عن دينهم، قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ﴾ [البقرة:١٠٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة:٢١٧]، وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٦٤)﴾ [المائدة].

عباد الله! ما من حربٍ تشتعلُ على جه الأرض، وما من فسادٍ يقعُ في الأرض إلا كان وراءه اليهود.

إن اليهود يعملون بكل ما يملكون من قوةٍ لمنع الخير عن المؤمنين، قال تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (١٠٥)﴾ [البقرة].

---

(١) «سيرة ابن هشام» (١/ ٥١٨-٥١٩).

٨- موقف اليهودُ من أوامر الله عز وجل.

عباد الله! اليهودُ إذا أمرهم الله قالوا سمعنا وعصينا، وحرفوا كلام الله عن مواضعه، واحتالوا على أمر الله!

قال تعالى في وصفهم: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾﴾ [النساء]

وقال تعالى في وصفهم: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾﴾ [النساء].

عباد الله! هذا حال اليهودُ مع أوامر الله، إذا أمرهم الله أو نهاهم قالوا سمعنا وعصينا!

- أمرهم الله أن يدخلوا الباب سجداً، فدخل كلُّ واحدٍ منهم على إسته!
- قال الله لهم: قولوا: حِطة -أي: حط عنا خطايانا- فقالوا: حنطةٌ في شعيرة!
- نهاهم الله أن يعتدوا في السبت فاحتالوا على أوامر الله واعتدوا في السبت!

٩- شيمة اليهودُ الغدرُ والخيانة ونقض العُهود والمواثيق.

عباد الله! اليهود أساتذةٌ في الغدر والخيانة ونقد العهود والمواثيق في العالم أجمع، قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [النساء:١٥٥].

عباد الله! ولا يخفى على أحدٍ منا غدر اليهود بالمسلمين في غزوة الأحزاب مثلاً. كما قال تعالى في وصفهم أيضاً: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [البقرة].

١٠- اليهودُ والسحر.

عباد الله! اليهود هم أساتذةُ السحر في العالم، قال تعالى في وصفهم: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾[البقرة:١٠١-١٠٢].

عباد الله! اليهودُ أساتذةُ الشرِّ والفسادِ والظلم في العالم كما وصفهم الله في كتابه وكما وصفهم رسول الله ﷺ في سنته.

عباد الله! وفي قصة أصحاب السبت يقول ربنا -جل وعلا- لرسوله ﷺ: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأعراف]. أي: اسأل اليهود الموجودين عندك في المدينة عن أجدادهم أصحاب القرية الذين احتالوا على أوامر الله واعتدوا في السبت، فغضب الله عليهم وجعلهم قردةً

خاسئين. إلى أن قال رب العزةِ -لرسوله ﷺ في آخر قصة أصحاب السبت- مهدداً لليهود في كل زمان ومكان: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾ [الأعراف].

عباد الله! فاليهود كلما أفسدوا في الأرض وعلوا دمرهم الله، ولا يزالُ وعد الله بتسليط العذاب عليهم سارياً إلى أن يقتلهم المسلمون في المعركة الفاصلة إن شاء الله تعالى، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

عباد الله! اليهودُ دائماً أنصار لكل شرٍّ وفسادٍ وسيستمرون على ذلك حتى يكونوا أنصاراً للدجال فيقتلهم المسلمون مع عيسى عليه السلام في آخرَ الزمانِ.

ثانياً: الجزاءُ من جنس العمل.

عباد الله! وهذا يؤخذ من قصة أصحاب السبت عندما ابتلاهم الله بأمور وهي:

١ - تحريم الصيد يوم السبت.

٢ - مجيء الحيتان يوم السبت على وجه الماء قريباً منهم.

٣- ذهاب الحيتان في باقي الأيام.

عباد الله! انقسم أهل القرية في هذا الامتحان إلى ثلاثة أمم:

١ - أمةٌ معتديةٌ: اعتدتْ في السبتِ واحتالت على أوامر الله، فمسخهم الله قردةً خاسئين؛ والجزاء من جنس العمل.

٢- أمةٌ أمرتْ بالمعروف ونهتْ عن المنكر لتنجوا من عذاب الله، فأنجاهم الله عندما نزل العذابُ بأهل القرية، والجزاء من جنس العمل.

٣- أمةٌ ساكتةٌ لم تأمر ولم تنه ولم تعتدِ في السبت، فسكت الله عن ذكرهم؛ والجزاءُ من جنس العمل.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٥) فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (١٦٦)﴾ [الأعراف].

ثالثاً: -من الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من قصة أصحاب السبت- التحايلُ على دين الله وشرعه حرامٌ.

وهذا يؤخذ من قصة أصحاب السبت فقد حرم الله عليهم الصيدَ في يوم السبت وقال لهم: ﴿لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾ [النساء:١٥٤]، فاحتالوا على أمر الله ونصبوا الشباك والحبال وحفروا البرك يوم الجمعة حتى إذا جاء السمك يومَ السبت حُبسَ في تلك الشباكِ والحبالِ والبركِ ولم يخرج منها، فيأخذونه في يوم الأحد، فغضبَ الله عليهم بحيلتهم هذه ومسخهم قردةً خاسئين.

عباد الله! اليهود أساتذةٌ في الحيل والمكر والخديعة.

قال ﷺ في وصفهم: «**لعن الله اليهودَ، حُرمت عليهم الشحومُ فَجَمَلُوها** - أي: أذابوها- **فباعوها**»(١).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٤٦٠)، ومسلم (١٨٥٢).

وقال ﷺ: «**قاتل الله اليهود! حُرِّم عليهم الشحم، فباعوه وأكلوا ثمنه**»[١].

يقول ابن عباس رضي الله عنهما كان رسول الله ﷺ، قاعداً من المسجد، مستقبلاً الحُجَرَ قال: فنظر إلى السماء فضحك ثم قال: «**لعن الله اليهودَ، حُرمت عليهم الشحوم فباعوها، وأكلوا أثمانها، وإن الله عز وجل إذا حرّم على قومٍ أكل شيءٍ حرّم عليهم ثمنه**»[٢].

عباد الله! وأخبرنا النبي ﷺ أن من أمته من يتبعُ اليهود والنصارى في الاحتيال على أوامر الله فقال ﷺ: «**لتتبعُنَّ سَنَنَ من قبلكم، شبراً بشبرٍ، وذراعاً بذراعٍ، حتى لو سلكوا جُحْرَ ضَبٍّ لسلكتموهُ**» قلنا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: «**فمن؟**»[٣].

عباد الله! وهناك من المسلمين من احتال على دينِ الله وشرعه ومن الأمثلة على ذلك:

١- أناس احتالوا على تحريم الربا وأكلوه باسم الفائدة والربح البسيط والربح المركب!

٢- واحتالوا على تحريم الرشوة وأخذوها باسم الهدية!

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٢٢٤)، ومسلم (١٥٨٣).

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (١/ ٢٤٧)، وأبو داود (٣٤٨٨)، وابن حبان (٤٩١٧)، والطبراني في «الكبير» (١٢/ ٢٠٠)، [«الموسوعة الحديثية»].

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩).

٣- واحتالوا على تحريم الغناء والموسيقى وأحلوهما باسم غذاء الروح!

٤- واحتالوا على تحريم الخمور وشربوها باسم المشروبات الروحية!

٥- واحتالوا للمرأة التي طلقت ثلاثاً وبانت من زوجها بينونةً كبرى بأن جاءوا برجل -وهو ما يسمى في الشرع (بالتيس المستعار)- ليتزوجها ثم يُطلقها لتحلّ -بزعمهم- لزوجها الأول! وهذا زواجٌ باطلٌ ومحرم وفاعله ملعون والزوج الأول الذي يقبل بذلك ملعون؛ قال ﷺ: «**لعن الله المُحَلِل والمُحَلَل له**»[١].

٦- واحتالوا على تحريم الربا وأحلوه ببيع باطلٍ وهو أن يأتي الرجل المحتاجُ للتاجر صاحب المال فيقول له: بعني هذه البضاعة بالتقسيط بألف دينار، فيقول له التاجرُ: بعتك، فيقول الرجل المحتاج: اشترى مني هذه البضاعة نقداً، فيقول التاجر: اشتريتها منك بسبعمائة دينار، فيُعطي التاجر الرجلَ سبعمائة دينار على أن يردها له ألف دينارٍ، وهذا بيعٌ باطل وحيلةٌ على الشرع وهذا ما يسمى ببيع العينة، والنبي ﷺ يقول: «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذُلاً لا يتنزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**»[٢].

عباد الله! وقد أخبر رسول الله ﷺ أن المسخ على صورة القردة والخنازير -كما وقع باليهود- واقعٌ في هذه الأمة.

---

(١) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٢٠٧٦)، وابن ماجه (١٩٣٤)، والترمذي (١١٩)، [«صحيح الجامع» (٥١٠١)].

(٢) **صحيح**: [«الصحيحة» (١١)] وقد تقدم تخريجه.

قال ﷺ: «**ليشربنَّ ناسٌ من أمتي الخمر يُسمُّونها بغير اسمها، يُعزَفُ على رؤوسهم بالمعازف والمغنيات، يخسف الله بهم الأرض، ويجعل منهم القردة والخنازير**»(١).

وقال ﷺ: «**تبيتُ طائفةٌ من أُمتي على أكل وشربٍ، ولهوٍ ولعبٍ، ثم يصبحون قردةً وخنازير، فيُبعثُ على أحياءٍ من أحيائهم ريحٌ فتنسفهم كما نُسِفَ من كان قبلكم باستحلالهم الخمور، وضربهم بالدفوف، واتخاذهم القينات**»(٢).

(١) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٤٠٢٠)، وابن حبان (٦٧٢١)، والطبراني في «الكبير» (٣/ ٢٨٣)، والبيهقي في «الشعب» (٤/ ٢٨٢)، [«صحيح ابن ماجه» (٣٢٦٣)].

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٩)، انظر: [«الصحيحة» (٤/ ١٣٦/ ١٦٠٤)].

٣٥

الثالث عشر: قصة هاروت وماروت

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ﴾ [الكهف:١٣].

ويقول سبحانه: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ [آل عمران:٦٢].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدة من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **الفرقان من قصص القرآن دروس وعظاتٌ وعبرٌ**.

أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **قصة هاروت وماروت**

عباد الله! قصة هاروت وماروتَ يخبرنا عنها ربنا -جل وعلا- في كتابه فيقول سبحانه: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [البقرة].

عباد الله! وكلامنا عن قصةِ هاروت وماروت سيكون حول العناصر التالية:

العنصرُ الأول: اليهود تركوا الحق واتبعوا الباطل.

العنصر الثاني: اليهودُ والسحرُ.

العنصرُ الثالث: هاروتُ وماروتُ.

العنصر الأول: اليهودُ تركوا الحق واتبعوا الباطل.

عباد الله! يقول الله -عز وجل-: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [يونس]. ويقول سبحانه: ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [يونس].

من ترك الحق اتبع الباطل.

ومن ترك الهدى اتبع الضلال.

ومن ترك سبيل المؤمنين اتبع سبيل المجرمين.

ومن ترك عبادة الرحمن ابتلي بعبادة الأوثان.

ومن لم ينفق ماله في طاعة الله أنفقه في طاعة الشيطان.

ومن ترك الذل لربه ابتلي بالذل للعبيد.

عباد الله! ومن زاغ أزاغ الله قلبه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾ [الصف:٥]

ومن ضل زاده الله ضلالاً، قال تعالى: ﴿قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّا﴾ [مريم:٧٥].

ومن اهتدى زاده الله هدى، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ١٧﴾ [محمد].

عباد الله! اليهودُ تركوا الحق الذي جاء به محمدٌ ﷺ واتبعوا ما تتلوا الشياطين، قال تعالى عنهم في قصة هاروت وماروت: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ -وهو محمدٌ ﷺ- ﴿مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ﴾ -أي: لما في التوراة- ﴿نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٠١ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ [البقرة:١٠١، ١٠٢].

عباد الله! جاءت الأدلة في الكتاب والسنة تُخبرُ أن اليهود يعرفون محمداً ﷺ كما يعرفون أبناءهم ومع ذلك فإنهم لم يؤمنوا به حسداً من عند أنفسهم واتبعوا الباطل، والدليل على ذلك من القرآن:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾﴾ [الصف]. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران].

قال ابن عباس رضي الله عنه: (ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق: لئن بُعث محمدٌ وهو حيٌّ ليؤمننّ به ولينصُرَنه، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق: لئن بُعث محمدٌ وهم أحياءٌ ليؤمننّ به ولينصرنّه)[1]. وفي هذا دليل يا عباد الله! أن جميع الأنبياء عليهم صلاة والسلام بشروا برسولنا ﷺ وأمروا باتباعه.

عباد الله! والدليل من السنة:

١-عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة، قال: أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: يا أيها النبيَّ إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحِرْزاً للأُميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظٍ، ولا غليظٍ، ولا سَخَّابٍ في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يُقيم به الملة العوجاء؛ بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بها أعيناً عُمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفاً[2].

---

(١) «صحيح السيرة النبوية» (ص٥٢).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢١٢٥).

٢- دخل النبي ﷺ على رجل من اليهود ناشراً التوراة يقرؤها ، يعزي بها على نفسه عن ابن له في الموت كأحسن الفتيان وأجملهم، فقال رسول الله ﷺ: «**أنشدك بالذي أنزل التوراة، هل تجدني في كتابك ذا، صفتي ومخرجي؟**» فقال برأسه هكذا، أي :لا. فقال ابنه: إي والذي أنزل التوراة؛ إنا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك، وأشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. فقال ﷺ: «**أقيموا اليهودي عن أخيكم**» ثم ولي كفنه والصلاة عليه[1].

٣- وعن عوف بن مالك الأشجعي قال: انطلق النبي ﷺ يوماً وأنا معه، حتى دخلنا كنيسة اليهود بالمدينة يوم عيدٍ لهم، فكرهوا دخولنا عليهم فقال ﷺ لهم : « **يا معشر اليهود أروني اثني عشر رجلاً يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله؛ يحط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي غضب عليهم**» قال : فأسكتوا ما أجابه منهم أحدٌ! ثم رد عليهم ، فلم يجبه منهم أحد.

فقال ﷺ: «**أبيتم! فوالله، إني لأنا الحاشرُ، وأنا العاقبُ، وأنا النبيَّ المصطفى، آمنتم أو كذبتم**» ثم انصرف وأنا معه، حتى إذا كدنا أن نخرج ، فإذا رجل من خلفنا يقول: كما أنت يا محمد! فقال ذلك الرجل : أي رجل تعلموني فيكم يا معشر اليهود؟

قالوا : والله ، ما نعلم أنه كان فينا رجل أعلم بكتاب الله منك، ولا أفقه منك، ولا من أبيك قبلك، ولا من جدك قبل أبيك.

---

(١) إسناده جيد: تقدم تخريجه (ص٤٧٤).

قال : فإني أشهد له بالله أنه نبي الله الذي تجدونه في التوراة. فقالوا : كذبت ! ثم ردوا عليه قوله ، وقالوا فيه شراً.

فقال رسول الله ﷺ: «**كذبتم ، لن يقبل قولكم ، أما آنفا فتثنون عليه من الخير ما أثنيتم، وأما إذ آمن فكذبتموه وقلتم فيه ما قلتم، فلن يقبل قولكم**».

قال: فخرجنا ونحن ثلاثة: رسول الله ﷺ وأنا وعبد الله بن سلام، وأنزل الله تعالى فيه: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الأحقاف:١٠][1].

العنصرُ الثاني: اليهودُ والسحرُ.

عباد الله! اليهود تركوا الحق الذي جاءت به التوراة، وجاء به القرآن، وجاء به محمد ﷺ واتبعوا السحر الذي جاءت به الشياطين.

قال تعالى : ﴿وَٱتَّبَعُوا۟﴾ أي: اليهود ﴿مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ أي: ما ترويه وتخبر به وتحدث: ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ أي: على عهد ملك سليمان ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ أي: بتعلم السحر ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: بذلك.

عباد الله ! اليهود نبذوا ما جاء في التوراة والقرآن من وجوب الإيمان بجميع رسل الله تعالى ، واتباع ما جاءوا به من توحيد الله وطاعته ،وتبعوا ما علمتهم

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٦/ ٢٥)، والحاكم (٣/ ٤٦٩)، وابن حبان (٧١١٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ٤٦)، [«صحيح السيرة النبوية» (٨٠-٨١)].

الشياطين من السحر الذي نسبته إلى سليمان عليه السلام كذباً وزوراً! وسليمان عليه السلام رسول أمين بريء من السحر، وما زعمته الشياطين لأتباعهم أن سليمان عليه السلام ما بلغ ذلك الملك العظيم والحكم على الجن والإنس إلا بالسحر، فجاء محمد رسول الله ﷺ خاتم النبيين وإمامهم فبرأ أخاه سليمان مما نسبت له الشياطين واليهود من السحر الذي هو كفر ، فإن اليهود بنسبتهم السحر إلى نبي الله سليمان لزمهم نسبة الكفر إليه، وحاشا سليمان من الكفر، بل الشياطين وأتباعهم هم الذين كفروا بسليمان وبمحمد رسول الله ﷺ وكفروا بتعليمهم الناس السحر وحثهم على العمل به [1].

عباد الله! هناك ارتباط وثيق بين السحر والشياطين؛ لأن السحر وسيلةٌ من وسائل الشياطين في استهواء الناس وإغوائهم وقيادتهم والتأثير فيهم، والشياطين هنا كلمةُ عامةٌ تنطبق على صنفين:

الصنف الأول: وهو الذي تنصرف إليه كلمة «شياطين» عند إطلاقها، وهذا الصنف هو شياطين الجن، الذين لا نراهم، ولكنهم يوسوسون لنا ويزينون لنا المعاصي والكفر والانحراف.

الصنف الثاني: وهو شياطين الإنس من البشر ، وهم الكافرون الذين يستعين بهم شياطين الجن، وأبرز من يمثل هذا الصنف هم اليهود، الذين هم أكثر الناس سحراً وكفراً وشيطنةً وإغواءً.

(١) «انظر سبيل الرشاد» (١/ ١٦٤).

من هم الشياطين الذين أكثروا من تلاوة السحر ونسبته إلى سليمان؟ من هم أكثر الشيطان تلاوة لذلك السحر؟ إنهم اليهود! يتلون على ملك سليمان لأنه كان نبياً لهم، وملكاً عليهم، ولأنه حكَمَ الجن والشياطين أيضاً، ولأنهم هم المستفيدون من رواية تلك الأكاذيب، ونشرها بين الناس، حتى يسترهبوا الناس ويُغووهم ويُخضعوهم له[1].

عباد الله! الناسُ في إثباتِ السحر طرفان ووسط.

- طرفٌ ينكرون السحر بالكلية ولا يعترفون بوجود السحر والسحرة، وهؤلاء هم المعتزلة ومن سار على نهجهم، وهم بإنكارهم هذا قد ضلوا ضلالاً بعيداً، لأنهم بإنكارهم للسحر والسحرةِ كذّبوا الكتاب والسنة.
- وطرفٌ أثبتوا السحر وآمنوا بوجود السحر والسحرة ولكنهم غالوا في ذلك حتى ظنوا أن الساحر يستطيعُ بسحره أن يضر من شاء وينفعُ من شاء، وهذا ضلالٌ مبين؛ لأن الذي بيده النفع والضر هو الله وحده.
- والحق في ذلك هو قول الوسط، وهم الذين أثبتوا السحر واعتقدوا بوجود السحر والسحرة، وأنهم لا يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً إلا بإذن الله، قال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٠٢].

عباد الله! وقد جاءت الأدلة في الكتاب والسنة تخبرُ عن وجود السحر والسحرة.

---

(١) «انظر قصص السابقين» (ص٩١).

أولاً: الأدلة من كتاب الله: قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة:١٠٢]

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [يونس].

وقال تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٦٩﴾﴾ [طه].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا﴾ -أي: السحرة- ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾﴾ [الفلق].

ثانياً: الأدلة من السنة:

١-عن عائشة ﵂ قالت: سحرَ رسول الله ﷺ يهوديٌّ من يهود بني زُرَيق، يقال له: لَبِيدُ بن الأعصم، قالت: حتى كان رسول الله ﷺ يُخَيَّل إليه أنه يفعلُ الشيء، وما يفعله، حتى إذا كان ذات يوم، أو ذات ليلةٍ، دعا رسول الله ﷺ، ثم دعا، ثم دعا ثم قال: «**يا عائشة! أشعرتِ أن الله أفتاني فيما استَفْتَيْتُهُ فيه؟**»[1].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٧٦٣)، ومسلم (٢١٨٩) واللفظ له.

٢- وقال ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» -وذكر منها- «**السحر**»[(١)].

٣- وقال ﷺ: «**من اقتبس علماً من النجوم، اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد**»[(٢)].

٤- وقال ﷺ: «**ليس منا من تطيَّر ولا من تُطيِّرَ له، أوتكهَّن أو تُكُهِّن له أو تَسَحَّر أو تُسحِّرَ له**»[(٣)].

٥- وقال ﷺ: «**لا يدخلُ الجنةَ مدمنُ خمرٍ، ولا مؤمنٌ بسحر، ولا قاطع رحم**»[(٤)].

عباد الله! قال الإمام القرطبي -رحمه الله-: (ذهب أهل السنةِ إلى أن السحر ثابت وله حقيقةٌ).

وقال الإمام النووي -رحمه الله-: (والصحيح أن السحر ثابتٌ وله حقيقةٌ على ذلك أجمع العلماء، وجاءت على ذلك الأدلة من الكتاب والسنة الصحيحة).

عباد الله! إذاً السحرُ كفرٌ والساحرُ كافرٌ.

لقد حاربت الآية التي مرت معنا السحر والساحرين، وحارب الملكان هاروت وماروت السحر والساحرين. وعند إمعان النظر في الآية، فإننا نجدها تعتبر السحر كفراً، وتعتبر الساحر كافراً والأدلة على ذلك من الآية هي:

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

(٢) **صحيح**: أخرجه أبو داود (٣٩٠٥)، وابن ماجه (٣٧٢٦)، وأحمد (١/ ٣١١)، [«صحيح الجامع» (٦٠٧٤)].

(٣) **صحيح**: أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٨/ ١٦٢)، وفي «الأوسط» (٤٢٦٢)، [«صحيح الجامع» (٥٤٣٥)].

(٤) **حسن**: أخرجه ابن حبان (٦١٠٤)، وأبو يعلى (١٣/ ١٨١)، وأحمد (٤/ ٣٩٩)، [«الصحيحة» (٦٧٨)].

١- نفيها للسحر عن سليمان بهذه العبارة: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ﴾ أي: إن سليمان لم يكن ساحراً، ولم يكن يتعامل بالسحر، والآية عندما نفت السحر عن سليمان، نفت عنه الكفر، وهذا يدل على التلازم بين السحر والكفر والارتباط الوثيق بينهما.

٢- إثبات الكفر للشياطين حال تعليمهم السحر للناس: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ﴾ إن الشياطين قد كفروا لأنهم علّموا الناس السحر، أي كفروا عندما مارسوا السحر وعملوا به وعلموه الآخرين.

٣- جاء تحذيرُ الملكين -هاروت وماروت- للناس من ممارسة السحر والعمل به بهذه الصيغة: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡ﴾ قالا: إنما نحن فتنة واختبار، وابتلاءٌ وامتحان، فلا تعمل بالسحر، لا تكفر، قالا: لا تكفر ولم يقولا لا تسحر، وما هذا إلا للتلازم والارتباط بين السحر والكفر.

فعندما أراد الله نفي السحر عن سليمان، نفى عنه الكفر، وعندما أراد الملكان نهي الناس عن ممارسة السحر نهوهم عن الكفر.

عباد الله! والرسول عليه الصلاة والسلام يعتبر السحر كفراً، ويعتبر من صدّق العراف والكاهن كافراً، قال ﷺ: «**من أتى عرّافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد**»[1].

---

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٢/ ٤٢٩)، والحاكم (١/ ٤٩)، والطبراني في «الأوسط» (١٤٥٣)، [«صحيح الجامع» (٥٩٣٩)].

عباد الله! حكم الساحر في الشريعة الإسلامية القتل.

فعن عمر رضي الله عنه أنه أرسل إلى الأمصار: (أن اقتلوا كلّ ساحرٍ وساحرة) فقتلوا ثلاث سواحر(١).

وعن حفصة رضي الله عنها أنها سحرتها جارية لها فأمرت بها فقتلت(٢).

وقال جُندُبَ رضي الله عنه: (حد الساحر: ضربةٌ بالسيف)(٣).

وقال الإمام مالك: (أرى أن يُقتل الساحر). وقال ابن حجر: (الساحرُ حكمهُ كالزنديق يقتل حداً).

عباد الله! والسحر نوعان:

١ - **سحر تخيل**: قال تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾ [طه].

٢- **سحر تفريق**: يفرق الساحر به بين المرء وزوجه، قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾.

عباد الله! اعلموا أن السحر والساحر لا يستطيع أبداً أن يضر أحداً إلا بإذن الله، قال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ٥٦٢)، والشافعي في «مسنده» (١٧٦١)، والبيهقي في «السنن» (٨/ ١٣٦).

(٢) أخرجه الشافعي في «مسنده» (١٧٦١).

(٣) **صحيح موقوف**: أخرجه الترمذي (١٤٦٠)، والحاكم (٤/ ٤٠١)، والدارقطني (٣/ ١١٤)، والطبراني في «الكبير» (٢/ ١٦١)، [«الضعيفة» (١٤٤٦)].

العنصر الثالث: هاروت وماروت.

عباد الله! قصة هاروت وماروت لم يُنقل إلينا شيءٌ منها بسندٍ صحيحٍ عن رسول الله ﷺ، ومعظم ما جاء في قصتهما إنما هو من الإسرائيليات التي ردها العلماء المحققون ورفضوها وأبطلوها من ناحية السندِ ومن ناحية المعنى.

قال الإمام ابن كثير -رحمه الله- بعد إيراد تلك الروايات: (وحاصلُها راجعٌ في تفصيلها إلى أخبار بني إسرائيل، إذ ليس فيها حديثٌ مرفوعٌ صحيحٌ متصلُ الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم، الذي لا ينطلق عن الهوى، وظاهر سياق القرآن إجمالُ القصة من غير بسطٍ ولا إطناب، فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما أراده الله تعالى، والله أعلم بحقيقة الحال)[1].

عباد الله! وإذا كنا نريد أن نعرف قصة هاروت وماروت فلا بدّ أن نقف عند بيان القرآن لها.

عباد الله! يُشيرُ القرآن إلى أن الله سبحانه اختار ملكين من ملائكته اسمُ أحدهما «هاروت» واسم الآخر «ماروت» وأهبطهما في مدينة «بابل» وهي مدينة معروفة في العراق، ويبدو أن لمهمتهما التي أرسلا لأجلها في بابل صلة بالسحر، ومن المعروف أن السحر كان منتشراً في بابل، ولعله انتشر فيها على أيدي اليهود؛ فأن السحر مرتبطٌ باليهود ارتباطاً مباشراً، وهم أكثر الأمم والشعوب ممارسةً ونشراً له.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ١٤١).

عباد الله! هاروت وماروت كان يُعلّمان الناس السحر بإذنٍ من الله؛ لكشف حقيقته وتحذير الناس منه، لا ليتعلموه ويمارسوه ويعملوا به، ولهذا كانا لا يعلّمانِ من أحدٍ حتى يقولا له: إنما نحن فتنة فلا تكفر، أي فلا تعمل بالسحر ولا تمارسه فتكفر بذلك. وبعد أن انتهت مهمةُ الملكين «هاروت وماروت» في بابل صعدا إلى السماء ملكين كريمين، كما نزلا منها ملكين كريمين.

عباد الله! ولكنّ أهل بابلٍ لم يأخذوا بنصيحة الملكين الكريمين، بل لقد استغلوا ما تعلموه من السحر في الشر والفساد! فصاروا يمارسون السحر، ويفرقون به بين المرء وزوجه، وقد ذمهم الله بذلك التصرف الضال، قال تعالى: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[1].

عباد الله! ولعل هناك سؤال يدور في الأذهان وهو: كيف تُعلِّمُ الملائكة السحر والله -عز وجل- يقول في وصفهم: ﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم]؟؟

الجواب: الملكان هاروت وماروت لم يعصيا ربهما حتى في ذلك؛ فإنهما قد نزلا في أرض بابل بأمر من الله، وكانا يُعلِّمان الناس السحر ليفرق الناس بين السحر -الذي هو من فعل شياطين الإنس والجن- وبين معجزات الأنبياء، ولذلك كانا يقولان للناس ناصحين لهم إنما نحن فتنة فلا تكفر.

---

(١) انظر: «قصص السابقين» (ص٨٧).

عباد الله! لقد أنزل الله هاروت وماروت في أرض بابل فتنةً للناس -أي: ابتلاءً وامتحاناً- والله -عز وجل- يبتلي عباده بما شاء لا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره، لا يُسأَل عما يفعل وهم يسألون.

- فقد ابتلى الله عز وجل أهل بابلَ بهذين الملكين.
- وابتلى اليهود بالحيتان فكانت تأتيهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم.
- وابتلى المسلمين في الحج بصيد البر. فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبۡلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلصَّيۡدِ تَنَالُهُۥٓ أَيۡدِيكُمۡ وَرِمَاحُكُمۡ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٩٤﴾ [المائدة].
- وابتلى جنود طالوت بالنهر قال تعالى: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡ﴾ [البقرة:٢٤٩].

عباد الله! والله -عز وجل- يبتلي الناس بعضهم ببعض، قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ٢٠﴾ [الفرقان].

عباد الله! والإنسان وجدَ في هذه الدنيا للامتحان والابتلاء، قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣﴾ [العنكبوت].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢﴾ [الإنسان]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢﴾ [الملك].

عباد الله! إذاً الملكان هاروت وماروت نزلا في أرض بابل فتنةً للناس، فمن تعلم منهما السحر -وأخذ بنصيحتهما- ليميز بين السحر والمعجزة، وكان على حذرٍ من السحر والسحرة نجح في الامتحان، ومن تعلم السحر منهما ولم يأخذ بنصيحتهما واستخدم السحر في التفريق بين المرء وزوجه أو غير ذلك فشل في الامتحان.

عباد الله! إذن القول الراجحُ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾: أن «ما» اسمٌ موصولٌ بمعنى الذي، وعلى هذا فمعنى الآية: واتبعتْ اليهودُ الذي تلتْ الشياطين على ملك سليمان، واتبعتْ الذي أُنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت[1].

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٤٢١).

٣٦

الرابع عشر: قصة يأجوجَ ومأجوج

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ﴾ [الكهف:١٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران:٦٢].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدة من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **الفرقان من قصص القرآن دروس وعظاتٌ وعبرٌ**.

أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **قصة يأجوج ومأجوج**

عباد الله! إن خروج يأجوج ومأجوج علامة مِنْ علاماتِ الساعةِ الكبرى

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۝٩٦ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ [الأنبياء:٩٦-٩٧].

واطَّلع النبيُّ ﷺ على أصحابهِ يوماً وهم يتذاكرون فقال: «**ما تَذْكُرُون؟**». قالوا: نذكرُ الساعةَ، قال ﷺ: «**إنها لن تقومَ حتى ترون قبلَها عَشرَ آيات**» فذكر: «**الدخان، والدجالُ، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم** ﷺ، **ويأجوج ومأجوج..**»(١).

عباد الله! وأمر الساعةُ مِنْ علمِ الغيبِ الذي لا يعلمهُ إلا الله.

قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ۝٦٣﴾ [الأحزاب].

وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨٧﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ۝٣٤﴾ [لقمان].

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٠١).

ولما سألَ جبريلُ عليه السلام رسولَ الله ﷺ: متى الساعة؟ قال ﷺ: «**ما المسئول عنها بأعلمَ من السائل**»(١).

عباد الله! ومِنْ رحمةِ الله بعبادهِ أن جعلَ للساعةِ علاماتٍ تدلُّ على اقترابها.

قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد:١٨] –أي: علاماتها.

عباد الله! وقسمَ العلماءُ أشراطَ الساعةِ إلى قسمين:

القسم الأول: أشراطُ الساعةِ الصغرى.

القسم الثاني: أشراط الساعة الكبرى ومنها: يأجوج ومأجوجُ

عباد الله! تعالوا بنا لنتعرف على قصة يأجوجَ ومأجوجَ من خلال الكتاب والسنة.

أولاً: يأجوج ومأجوج من بني البشرِ، من ذرية آدم عليه السلام، وهما أمتان كثيرتا العدد.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله عز وجل: يا آدم! فيقولُ: لبيّكَ وسعديكَ! والخيرُ في يديكَ! قال يقول: أخرج بعث النار** – أي: ميّزْ أهلَ النارِ من غيرهمِ– **قال: وما بعثُ النارِ؟ قال: مِن كُلِّ ألفٍ تسعمائةٍ وتسعةً وتسعين.**

قال: فذاك حين يشبُ الصغيرُ، «وتضع كل ذات حملٍ حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد».

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩).

قال: فاشتدّ ذلك عليهم. قالوا: يا رسول الله! أيُّنا ذاك الرجل؟ فقال: «**أبشروا. فإن من يأجوجَ ومأجوجَ ألف ومنكم رجلٌ**».

قال ثم قال رسول الله: «**والذي نفسي بيده! إنِّي لأطمعُ أن تكونوا رُبع أهل الجنةِ**» فحمدنا الله وكبرنا. ثم قال: «**والذي نفسي بيده! إني لأطمعُ أن تكونوا ثلث أهل الجنة**» فحمدنا الله وكبرنا.

ثم قال: «**والذي نفسي بيده! إني لأطمعُ أن تكونوا شطرَ أهل الجنة. إن مثلَكُم في الأمم كمثلِ الشعرةِ البيضاءِ في جلدِ الثورِ الأسودِ أو كالرَّقمةِ** -أي: العلامة- **في ذراعِ الحمارِ**»[1].

وعن عمران بن حُصين ﭬ **قال: كنا مع النبيّ** ﷺ في سفرٍ فتفاوت بين أصحابهِ في السيرِ، فرفع رسول الله ﷺ صوته بهاتين الآيتين: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ①﴾- إلى قوله-: ﴿وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ②﴾ [الحج] فلما سمع ذلك أصحابه حثوا المطي وعرفوا أنه عِند قولٍ يقوله فقال: «**هل تدرون أيُّ يومٍ ذلك؟**».

قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**ذلك يومٌ يُنادي الله فيه آدم فيناديه ربه فيقول: يا آدم! ابعثْ بَعث النار فيقول: أي ربِّ وما بعثُ النار؟ فيقول: مِن كلِّ ألفٍ تسعمائةٍ وتسعةٌ وتسعونَ إلى النارِ، وواحدٌ إلى الجنة**» فيئس القومُ حتى ما أبدوا

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٥٣٠)، ومسلم (٢٢٢) واللفظ له.

بضاحكةٍ. فلما رأى رسولُ الله ﷺ الذي بأصحابه قال: «**اعملوا وأبشروا، فوالذي نفسُ محمدٍ بيده، إنكم لمعَ خليقتين ما كانتا مع شيءٍ إلا كَثّرتاه: يأجوج ومأجوج، ومَنْ ماتَ من بني آدم، وبني إبليس**».

قال: فسُرِّي عن القوم بعض الذي يجدون، قال: «**اعملوا وأبشروا فوالذي نفسُ محمدٍ بيده ما أنتم في الناسِ إلا كالشامةِ في جنبِ البعيرِ أو كالرَّقمةِ في ذراع الدابة**»(١).

ومن الأدلة على كثرتهم قوله ﷺ: «**سيُوقدُ المسلمون من قِسِيّ يأجوج ومأجوجَ ونُشابهم وأترِسَتِهم سبعَ سنين**»(٢).

ثانياً: يأجوجُ ومأجوجُ شرٌّ وفسادٌ على البشرية

فعن زينب ابنةِ جحشٍ رضي الله عنها: أنّ رسول الله ﷺ دخل عليها يوماً فزعاً يقول: «**لا إله إلا الله، ويلٌ للعرب مِن شرٍّ قد اقترب، فُتح اليوم مِن ردم يأجوجَ ومأجوجَ مثل هذه**»، وحلّق بأصبعيه الإبهام والتي تليها قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله! أَفَنْهلِكُ وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم؛ إذا كَثُرَ الخبثُ**»(٣).

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣١٦٩)، وأحمد (٤/ ٤٣٥)، والحاكم (١/ ٨١)، [«صحيح سنن الترمذي» رقم (٢٥٣٤)].

(٢) **صحيح**: أخرجه ابن ماجه (٤٠٧٦)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٤٩٥)، [«الصحيحة» (١٩٤٠)].

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧١٣٥)، ومسلم (٢٨٨٠).

ومعنى الحديث أنّ الخبث إذا كثر فقد يحصلُ الهلاك العام، وإن كان هناك صالحون.

وقال ابنُ العربي: (فيه البيانُ بأنّ الخيِّرَ يهلِكُ بهلاكِ الشرير إذا لم يُغيِّر عليه خبثه، وكذلك إذا غيَّر عليه، لكن حيثُ لا يُجدي ذلك، ويصرُّ الشريرُ على عمله السيء، ويفشو ذلك وتكثر حتى يَعُمَّ الفسادُ، فيهلك حينئذ القليل والكثير، ثم يُحشرُ كلُ أحدٍ على نيته).

ويقول ﷺ: «**إذا ظهر السوءُ في الأرض أنزل الله بأسهُ بأهلِ الأرض، وإن كان فيهم قومٌ صالحون؛ يصيبهم ما أصابَ الناسَ، ثم يرجعون إلى رحمةِ الله ومغفرته**»(١).

وقال ﷺ: «**إذا ظهر الزنا والرِّبا في قريةٍ، فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله**»(٢).

عباد الله! يأجوج ومأجوجُ مفسدون في الأرض

فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الكهف:٩٤]، والله -عز وجل- لا يحبُّ الفساد ولا المفسدين. قال تعالى: ﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف:٥٦]

عباد الله! ومن رحمةِ الله بالبشرية أنه أرسل ذا القرنين فبني سداً منيعاً ليمنع إفساد يأجوجَ ومأجوجَ، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾

---

(١) **صحيح**: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٢٠٨٩)، وأبو نعيم (١٠/ ٢٣٠)، [«صحيح الجامع» (٦٨٠)].

(٢) **صحيح**: أخرجه الحاكم (٢/ ٤٣)، والطبراني في «الكبير» (١/ ١٧٨)، [«صحيح الجامع» (٦٧٩)].

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴿٨٤﴾ فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ﴿٩٨﴾﴾ [الكهف].

ثالثاً: يأجوج ومأجوجُ ونَقْبِهم السد آخر الزمان.

قال ﷺ: «**إنّ يأجوج ومأجوج يحفرون كلَّ يومٍ، حتى إذا كادوا يَرَوْنَ شعاعَ الشمسِ، قال الذي عليهم: ارجعوا فسنَحْفرهُ غداً، فيعيدُهُ الله أشدّ ما كان، حتى إذا بلغت مُدَّتهم، وأراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كادوا يرون شُعاعَ الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فسنحفرهُ غداً إن شاء الله تعالى، واستثنوا فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه، فيحفرونه ويخرجون على الناس..**»(١).

عباد الله! ويصف لنا ربنا -جل وعلا- خروجهم في كتابه فيقول سبحانه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنبياء]

رابعاً: يأجوج ومأجوج يفسدون في الأرض بعد خروجهم من السدِّ.

يقول ﷺ: «... **ويخرجون على الناس، فيُنْشِفُون الماءَ** -أي: يشربونه عن آخره-، **ويتحّصنُ الناس منهم في حُصونهم فيرمون بسهامهم إلى السماء، فترجعُ عليها الدَّمُ .. فيقولون: قهرنا أهل الأرض وعَلْونا أهل السماء**»(٢).

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣١٥٣) وابن ماجه (٤٠٨٠)، وأحمد (٢/ ٥١٠)، والحاكم (٤/ ٥٣٤)، [«السلسلة الصحيحة» (١٧٣٥)].

(٢) ما سبق.

وزاد في رواية: «**ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخَمَرِ** -والخَمر: هو الشجرُ الملتفُ الذي يستر مَن فيه -**وهو جبلُ بيت المقدس، فيقولون: لقد قتلنا مَنْ في الأرض هَلُمَّ فلنقتل من في السماء فيرمون بنُشَّابهم** -أي: سهامهم- **إلى السماء، فيردُّ اللهُ عليهم نشابهم مخضوبة دماً**»(١).

عباد الله! يأجوجُ ومأجوج مفسدون في الأرض قبل بناء السدِّ وبعد خروجهم منه، ولقد منع الله عز وجل إفسادهم في المرة الأولى ببناءِ السدِّ، وها هم يفسدون في الأرض بعد خروجهم من السدِّ، فكيف يمنع الله إفسادهم بعد خروجهم من السدِّ؟

خامساً: عيسى ابن مريم عليه السلام وهلاكُ يأجوج ومأجوج.

عباد الله! بعد أن يتخلص الناس من فتنة الدجال، إذ قتله الله على يدي عيسى ابن مريم عليه السلام.

فبينما عيسى عليه السلام جالسٌ مع أصحابه الذين نجوا من فتنةِ الدجال يُحدثهم عن درجاتهم في الجنة، وفجأة يطلب من أصحابه -بوحي من السماء- أن يُحصنوا أنفسهم بجبل الطورِ؛ فقد أخرج الله عباداً لا قِبلَ لأحدٍ بقتالهم؛ وهم يأجوج ومأجوج.

يقول الله ﷺ: « ..**فيقتله**، -أي: يقتلُ عيسى بنُ مريم الدجالَ- **ثم يأتي عيسى ابنَ مريم قومٌ قد عَصَمهُمُ الله منه، فيمسحُ عن وجوههم ويحدّثهم**

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٣٧).

بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى عليه السلام**: إني قد أخرجتُ عباداً لي، لا يَدَان لأحدٍ بقتالهم** -أي: لا قدرة ولا طاقة- **فحرِّزْ عبادي إلى الطور** -أي: ضمهم واجعله لهم حرزاً، - **ويبعث الله يأجوج ومأجوجَ، وهم من كُلّ حدبٍ ينسلون، فيمرُّ أوائلُهُم على بُحيرة طبرية، فيشربون ما فيها، ويمرُّ آخِرُهُم فيقولون: لقد كان بهذه، مرةً، ماءٌ، ويُحصر نبي الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثورِ لأحدهم خيراً من مائةِ دينارٍ لأحدكم اليوم.**

فيرغبُ نبيَّ اللهِ عيسى وأصحابه -أي: يدعو-، **فيُرسلُ الله عليهم النَغَفَ** -وهو دودٌ يكون في أنوف الإبلِ والغنم- **في رقابهم، فيصبحون فَرْسَى** -أي: قتلى- **كموت نفسٍ واحدةٍ، ثم يهبطُ نبيَّ الله عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبرٍ إلا ملأهُ زهمُهُم** -أي: دسمهم- **ونتنهم، فيرغبُ نبيّ الله عيسى** عليه السلام **وأصحابه إلى الله، فيرسلُ الله طيراً كأعناقِ البُختِ** -وهي جمالٌ طوالُ الأعناقِ-، **فتحملُهُم فتطرَحُهم حيث شاء الله.**

ثم يرسلُ الله مطراً لا يَكُنُّ منه بيت مدرٍ ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزّلقةِ -أي: كالمرآة-، **ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، ورُدِّي بركتكِ، فيومئذٍ تأكل العصابة** -أي: الجماعة- **من الرُمَّانَةِ، ويستظلون بقحفها** -هو مقعر قشرها-، **ويبارك في الرِّسْلِ** -هو اللبن-، **حتى أن اللَّقحة من الإبل لتكفي الفِئام** -الجماعة الكثيرة- **من الناس، واللقحة من البقر لتكفى القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفى الفخِذَ من الناس** -أي: الجماعة من الأقارب-، **فبينما هم كذلك إذ**

بعث الله ريحاً طيبةً، فتأخذُهُم تحت آباطِهِم، فتَقبضُ روحَ كلِّ مؤمنٍ وكُلِّ مسلمٍ، ويبقى شرارُ الناس، يتهارجونَ فيها تهارُجَ الحُمُر -أي: يجامعُ الرجال النساء علانية بحضرة الناس كما يفعل الحمير- **فعليهم تقومُ الساعة**»[1].

عباد الله! أفسدت يأجوج ومأجوج في الأرض فدمّرهم الله وأهلكهم وهذه هي سنة الله مع المفسدين في الأرض.

فها هم عادٌ أفسدوا في الأرض فأهلكهم الله وأبادهم بريح صرصرٍ عاتية.

وها هم ثمودُ أفسدوا في الأرض فأهلكهم الله وأبادهم بالصيحة.

وها هم قوم نوح أفسدوا في الأرض فأهلكهم الله وأبادهم بالغرق.

وها هو فرعون أفسدَ في الأرض فأهلكه الله بالغرق.

وها هو قارون أفسد في الأرض فأهلكه الله وخسف به الأرض.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر].

وقال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت]

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٩٣٧).

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ [هود].

وقال ﷺ: «**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**» ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود] [(١)].

فاحذر يا عبد الله أن تكون من المفسدين في الأرض وإلا فسيحل بك سخطُ الله وغضبه.

واعلموا عباد الله**!** أن آكل الربا من المفسدين في الأرض، والزاني من المفسدين في الأرض، والسارق من المفسدين في الأرض، وشارب الخمر من المفسدين في الأرض وبائع المخدرات بجميع أنواعها من المفسدين في الأرض..، فاحذروا غضب الله وسخطه.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣).

٣٧

الخامس عشر: الدروس والعظاتُ والعبر التي تؤخذ من قصةُ يأجوج ومأجوج

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف].

ويقول سبحانه: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدة من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **الفرقان من قصص القرآن دروس وعظاتٌ وعبرٌ**.

أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **الدروس والعظاتُ والعبرُ التي تؤخذ من قصة يأجوج ومأجوج**

عباد الله! قصة يأجوج ومأجوج التي أخبرنا الله عنها في كتابه والتي تكلمنا عنها في الجمعة الماضية فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ كثيرةٌ جداً منها:

أولاً: أزفت الآزفة.

عباد الله! قصة يأجوجَ ومأجوج تدلُّ وتذكر باقتراب الساعةِ، وهذا يؤخذ من قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ﴾ [الأنبياء].

ومن قوله ﷺ لأصحابه: «**إنها** -أي: الساعة- **لن تقوم حتى تروا قبلها عشرَ آياتٍ**» -وذكر منها-: «**يأجوج ومأجوج**»(١).

ومن قوله ﷺ: «**لا إله إلا الله، ويلٌ للعربِ من شرٍّ قد اقترب فُتحَ اليومَ من ردمِ يأجوج ومأجوج مِثلُ هذه**»، وحلّق بأصبعيه الإبهامُ والتي تليها(٢).

عباد الله! فهذه أدلةٌ تدلُّ على أنهُ قد أزفت الآزفة واقترب الوعدُ الحق كما قال تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ١﴾ [القمر].

عباد الله! ومع أنه قد اقترب الوعدُ الحقُّ وأزفتِ الآزفة فإن كثيراً من الناس عن الساعة لغافلون! كما قال تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ١ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ٢ لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡ﴾ [الأنبياء:١-٣].

---

(١) **صحيح**: أخرجه مسلم (٢٩٠١).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٧١٣٥)، ومسلم (٢٨٨٠).

وكما قال القائل:

أمـــا والله لـــو علـــم الأنـــام ... لمـا خلقـوا لمـا هجعـوا ونـاموا
لقـــد خلقـــوا لأمـــر لـــو رأتـــه ... عيـــون قلـــوبهم تـــاهوا وهـــاموا
ممـــات ثـــم قـــبر ثـــم حـــشر ... وتـــوبيخ وأهـــوال عظـــام
ليـوم الحـشر قـد عملـت رجـال ... فـصلوا مـن مخافتـه وصـاموا
ونحـــن إذ أمرنـــا أو نهينـــا ... كأهـــل الكهـــف أيقـــاظٌ نيـــام

عباد الله! إن المؤمن العاقلُ إذا علم أنه قد أزفت الآزفة واقترب الوعد الحقُّ عجّل بما يلي:

١- بادر بالتوبة النصوح لله -عز وجل- قبل فوات الأوان؛ استجابة لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨﴾ [التحريم].

وقال تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ١٥٨﴾ [الأنعام].

فالله عز وجل لا يقبل التوبة إذا ما ظهرت بعض علامات الساعة الكبرى ألا وهي طلوع الشمس من مغربها.

وقال ﷺ: «**إن الله عز وجل يبسطُ يده بالليل ليتوبَ، مُسيءُ النهارِ، ويبسطُ يدهُ بالنهارِ، ليتوبَ مُسيءَ الليل، حتى تطلع الشمسُ من مغربها**»[1].

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧٥٩).

وقال ﷺ: «**من تابَ قبلَ أن تطلعَ الشمسُ من مغربها، تاب الله عليه**»(١).

عباد الله! يا من تصرون على المعاصي ماذا تنتظرون؟

هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنىً مُطغياً، أو مرضاً مُفسداً أو هرماً مُفْنِداً، أو موتاً مُجْهزاً، أو الدجال فشرٌّ غائب يُنتظرُ، أو الساعة فالساعةُ أدهى وأمر؟!!

ماذا ينتظرُ العصاة؟!

أينتظرون أن يقولوا في يوم القيامة: ﴿يَٰحَسۡرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطۡنَا فِيهَا وَهُمۡ يَحۡمِلُونَ أَوۡزَارَهُمۡ عَلَىٰ ظُهُورِهِمۡۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنعام].

أم هل ينتظر المفرطُ أن يقول يوم القيامة: ﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوۡ تَقُولَ لَوۡ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوۡ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلۡعَذَابَ لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [الزمر].

هل ينتظرُ المفرطُ إلى أن يقول يوم القيامة: ﴿يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾﴾ [الفجر].

٢- المؤمن العاقل إذا عَلِمَ أنه قد أزفت الآزفة واقترب الوعد الحقُّ، بادر إلى الأعمال الصالحة ليتزود منها بزاد التقوى استجابة لقوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾ [البقرة:١٤٨] ولقوله تعالى: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الحديد:٢١].

عباد الله! لقد وصف الله -عز وجل- في كتابه **عبادهُ المؤمنين الصادقين الذين يتزودون ليوم القيامة، قال سبحانه**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (٢٧٠٣).

رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (٥٨) وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ (٥٩) وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠) أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ (٦١)﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (٩)﴾ [الزمر].

وقال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢)﴾ [الإنسان].

فيا أيها العاقل!

تزود من التقوى فإنك لا تدري ... إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر
فكم من صحيح مات من غير علةٍ ... وكم من عليلٍ عاش حيناً من الدهر
وكم من صغارٍ يُرتجى طول عُمرهم ... وقد أدخلت أجسادهم ظلمة القبر
وكم من فتى يمسي ويصبح ضاحكاً ... وقد نسجت أكفانه وهو لا يدري
وكم من عروسٍ زينوها لزوجها ... وقد قبضت أرواحهم ليلة القدرِ

ثانياً: من الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من قصة يأجوج ومأجوج: أن كلمة (إن شاء الله) تنفعُ صاحبها حتى ولو خرجت من لسان كافر.

عباد الله! وهذا يؤخذ من قصة يأجوج ومأجوج فإنهم يحفرون السدَّ في كلِّ يومٍ حتى إذا كادوا أن يروا شعاعَ الشمسِ قال الذي عليهم: ارجعوا فسنحفره غداً، فيعيدُه اللهُ أشدَّ ما كان، فإذا شاء الله وأذن في خروجهم قالوا: فسنحفرهُ غداً

-إن شاء الله- واستثنوا -ثم رجعوا إليه فوجدوه كهيئته فيكملون حفره ويخرجون على الناس.

عباد الله! فعلى العبد إذا أراد أن يفعل شيئاً في المستقبل أن يقول (سأفعل كذا إن شاء الله)، فالله -عز وجل- قال لرسوله ﷺ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾ [الكهف].

عباد الله! وهذه الكلمة (إن شاء الله) هي التي قالها إسماعيل عليه السلام عندما قال له أبوه إبراهيم عليه السلام: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصافات].

وهي الكلمة التي قالها موسى عليه السلام للخضر عندما قال له الخضر: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾﴾ [الكهف].

وهي أيضاً ما قاله الشيخ الكبير لموسى عليه السلام ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [القصص].

عباد الله! أما من لم يقل هذه الكلمة فإنه لن يتوصلُ إلى مقصوده، وهذا ما حدث لسليمان عليه السلام.

قال ﷺ: «**قال سليمانُ بنُ داود نبيُّ الله: لأطوفنَّ الليلةَ على سبعين امرأة، كُلُهنَّ تأتي بِغُلامٍ يُقاتل في سبيل الله فقال له صاحِبه، أو الملَكُ: قل إن شاء الله، فلم**

يقل، ونَسِيَ فلم تأتِ واحدةٌ من نسائه، إلا واحدةٌ جاءت بشق غُلام» قال رسول الله ﷺ: «**ولو قال: إن شاء الله، لم يحنثْ، وكان دَرَكاً له في حاجته**»[1].

فيا عبدالله! إذا أردت أن تفعل شيئاً في الغد فقل: (سأفعلُ كذا إن شاء الله) فإنه لا يكون إلا ما شاءه الله وقدره، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٣٠﴾ [الإنسان].

ثالثاً: من الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من قصةِ يأجوج ومأجوج: الدعاء ينفعُ مما نزل ومما لم ينزل.

عباد الله! وهذا يؤخذ من قصة يأجوج ومأجوج عندما أوحى الله لعيسى عليه السلام أني قد أخرجتُ عباداً لي لا قِبَلَ لأحدٍ بقتالهم، فحرِّز عبادي الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدبٍ ينسلون. فيتوجه عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الله بالدعاء حتى يخلصهم من شر يأجوج ومأجوج، فيرسل الله عليهم -أي: على يأجوج ومأجوج- النغف في رقابهم فيموتوا جميعاً، ثم يتوجه عيسى عليه السلام وأصحابه بالدعاء إلى الله ليُخلصهم من نتن أجساد يأجوج ومأجوج فيرسل الله طيراً كأعناق البختِ فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله.

عباد الله! فالدعاء ينفعُ مما نزلَ ومما لم ينزل، كيف لا؟ والله -عز وجل- يقول: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠].

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٤٢٤)، ومسلم (١٦٥٤) واللفظ له.

ويقول النبيُّ ﷺ: «**إن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء**»(١).

ويقول ﷺ: «**إن الله حييٌّ كريمٌ، يستحي إذا رفع الرجلُ إليه يديه أن يردّهما صِفراً خائبتين**»(٢).

عباد الله! ومن الأمثلة على أن الدعاء ينفعُ مما نزل ومما لم ينزل:

١ - نوحٌ عليه السلام دعا على قومه لما كذبوه وسخروا منه، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾﴾ [الشعراء].

وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾﴾ [القمر].

وقال تعالى: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الأنبياء].

---

(١) **حسن لغيره**: أخرجه الترمذي (٣٥٤٨)، والحاكم (١/ ٦٧٠)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٣٤)].

(٢) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٣٥٥٦)، وأبو داود (١٤٨٨)، وابن ماجه (٣٨٦٥)، وابن حبان (٨٧٣)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١٦٣٥)].

٢- موسى عليه السلام دعا على فرعون لّما علا في الأرض وأفسد فيها.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [يونس].

عباد الله! فاستجاب الله لموسى وأهلك فرعون بعد أربعين سنة قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس].

٣- وهذا رسولنا صلى الله عليه وسلم يدعو على أعدائه في بدرٍ.

عباد الله! (لما كان يوم بدرٍ؛ نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألفٌ، وأصحابهُ ثلاثمائة وتسعةَ عشر رجلاً، فاستقبل نبي الله صلى الله عليه وسلم القبلة، ثم مدّ يديه فجعل يهتف بربه -أي: ينادي الله ويستغيث به ويدعوه-: «**اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم! آت ما وعدتني، اللهمّ إنك إن تهلك هذه العِصَابة** -أي: الجماعة- **من أهلِ الإسلام لا تعبد في الأرض**» فما زال يهتف بربه مادًّا يديه، مستقبل القبلة حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه وقال: يا نبي الله! كفاك مناشدتُك ربك، فإنه سينجر لك ما وعدك، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾ [الأنفال:٩]. فأمده الله بالملائكة)[١].

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم (١٧٦٣).

وفي غزوة حنين:

قال ﷺ: «**اللهم نزِّل نصرك**» وأخذ النبي ﷺ قبضةً من ترابِ الأرض، فرمى بها في وجوه الكفار ثم قال: «**انهزموا وربِّ محمدٍ**» وقال: «**شاهت الوجوه**» فما خلق الله إنساناً من الكفار؛ إلا ملأ عينيه تراباً من تلك القبضة فلم يزل أحدهم كليلاً وأمرهم مُدبراً[1].

فانتفع رسول الله ﷺ بالدعاء ونصره الله على عدوه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [التوبة].

وفي غزوة الأحزاب:

تحزَّبَ الكفارُ على رسول الله ﷺ والمسلمين للقضاء على الإسلام وأهله، فأخذ رسول الله ﷺ بكل أسباب النصر من حفر الخندق وغيره ثم توجه إلى ربه بالدعاءِ فقال: «**اللهم مُنْزِل الكتابَ سريع الحسابِ اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم**»[2].

وفي رواية: « **اهزمهم، وانصرنا عليهم**»[3] فنصره الله عليهم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾

(١) صحيح: انظر مسلم (باب – غزوة حنين) (١٧٧٥)، (١٧٧٦)، (١٧٧٧).

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٢٩٣٣)، ومسلم (١٧٤٢).

(٣) صحيح: أخرجه البخاري (٢٩٦٦)، ومسلم (١٧٤٢).

إلى أن قال رب العزة: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ٢٥﴾ [الأحزاب]. فالدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء.

رابعاً: ومن الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من قصة يأجوج ومأجوج: وما يعلم جنود ربك إلا هو.

عباد الله! الله -عز وجل- ينتقمُ من أعدائه بجندٍ من جنوده كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ ٣١﴾ [المدثر].

عباد الله! فالملائكة جندٌ من جنود الله قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ﴾ [الأحزاب:٩].

وهذا جبريلُ عليه السلام أرسله الله على قرى لوطٍ فحملهم على جناحه وقلبها عليهم فجعل عاليها سافلها، وأرسله الله على قوم ثمود فصاح فيهم صيحةً واحدةً فخرجت قلوبهم من صدورهم، وهذا ملك الجبال أرسله الله إلى محمدٍ صلى الله عليه وسلم -عندما اعتدى عليه الكفار- فقال له: إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين.

الدود جندٌ من جنود الله، فإن الله عز وجل يرسل دودة النغفِ على يأجوج ومأجوج في رقابهم فيموتون جميعاً، وما يعلم جنودَ ربك إلا هو.

الطيرُ جندٌ من جنود الله فإن الله عز وجل يرسل على يأجوج ومأجوج طيراً كأعناقِ البُختِ فتحملهم بعد موتهم إلى حيث شاء الله، لعلكم تذكرون أن الله عز وجل قد أرسل على أبرهة وجنوده طيراً أبابيلَ ترميهم بحجارةٍ من سجيل.

الريحُ جندٌ من جنود الله.

عباد الله! أرسل الله الريح على عادٍ فجعلتهم كأعجاز نخل خاوية، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾﴾ [الحاقة]

عباد الله! وأهلك الله الأحزاب بالريح، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ [الأحزاب:٩]

البحر جندٌ من جنود الله.

عباد الله! لقد أغرق الله فرعون وجندهُ في البحر، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾﴾ [الشعراء].

الماء جندٌ من جنود الله.

عباد الله! أهلك الله قوم نوح بالماء، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [هود]

الأرض جندٌ من جنود الله

عباد الله! أهلك الله قارون بأن خسف به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة.

وقال ﷺ: «**بينما رجلٌ يمشي في حُلةٍ، تُعجبُهُ نفسُهُ، مُرَجِّلٌ جُمَّته، إذ خسف الله به، فهو يتجلجلُ إلى يوم القيامة**»[1] .

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٧٨٩)، ومسلم (٢٠٨٨).

٣٨
السادس عشر: قصة أصحاب الفيل

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ﴾ [الكهف:١٣].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾ [آل عمران:٦٢].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدة من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **الفرقان من قصص القرآن دروس وعظاتٌ وعبرٌ**.

أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **قصة أصحاب الفيل**

عباد الله! قصة أصحاب الفيل يخبرنا ربنا -جلا وعلا- عنها في كتابه فيقول سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ [سورة الفيل]

عباد الله! أصحاب الفيل قوم قدموا من الحبشة واليمن يريدون هدم الكعبة بقيادة أبرهة الحبشي الأشرم، فأنزل الله عليهم سخطه وجعلهم عبرةً لمن يعتبر.

عباد الله! لقد حدثت هذه القصة في عام سُمِيَ بعامِ الفيل وفي هذا العام وبعد قصةِ أصحابِ الفيل بخمسين يوماً وُلد رسول الله ﷺ.

يقول ابن عباسٍ رضي الله عنهما: (ولد النبيُّ ﷺ عام الفيل) (١).

عباد الله! وكلامُنا عن قصة أصحاب الفيل سيكون حول العناصر التالية:

العنصر الأول: الكعبةُ هي بيت الله الحرام.

العنصر الثاني: للبيت ربٌّ يحميه.

العنصر الثالث: ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۝٢٥﴾ [غافر].

العنصر الرابع: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل:٦٢].

---

(١) **حسن**: أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ١٠١)، والحاكم (٢/ ٦٥٨)، والطبراني في «الكبير» (١٢/ ٤٧)، [«الصحيحة» (٣١٥٢)].

العنصر الأول: الكعبةُ هي بيت الله الحرام

قال تعالى لإبراهيم عليه السلام: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ [الحج]، وقال تعالى على لسان إبراهيم: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [إبراهيم]، وقال تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ﴾ [المائدة:٩٧].

الكعبةُ هي أولُّ بيتٍ وضع للناس في الأرض للعبادة

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران:٩٦-٩٧].

قال أبو ذر رضي الله عنه: يا رسول الله! أيُّ مسجدٍ وُضعَ في الأرض أول؟ قال: «**المسجدُ الحرام**»، قلتُ: ثم أي؟: قال: «**المسجد الأقصى**» قلت: كم كان بينهما؟ قال: «**أربعون سنة**»(١).

الكعبة بيت الله الحرام وقد رفع قواعده إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام-

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة].

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٣٤٢٥)، ومسلم (٥٢٠).

الكعبة بيتُ الله الحرام وقد أمر الله إبراهيم عليه السلام أن يؤذن في الناسِ بالحجِ إلى هذا البيت.

قال تعالى لإبراهيم عليه السلام: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ [الحج].

وفرض الله على المسلمين حج هذا البيت فقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران:٩٧].

الكعبة بيتُ الله الحرام والطوافُ بها في أي وقتٍ من ليلٍ أو نهار عبادةٌ يتقرب بها العبدُ إلى ربه.

قال تعالى: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحج].

وقال ﷺ: «**من طاف بالبيتِ أسبوعاً؛ لا يضع قدماً، ولا يرفع أخرى؛ إلا حط الله عنه بها خطيئة، وكتب بها حسنة، ورفع له بها درجة**»(١).

وقال ﷺ: «**يا بني عبد مناف! لا تمنعوا أحداً طاف بهذا البيت، وصلى أية ساعةٍ شاءَ من ليلٍ أو نهار**»(٢).

---

(١) **صحيح لغيره**: أخرجه ابن حبان (٣٦٨٩)، وابن خزيمة (٢٧٥٣)، والطيالسي (١٩٠٠)، [«صحيح الترغيب والترهيب» (١١٤٣)].

(٢) **صحيح**: أخرجه أحمد (٤/ ٨٠)، وأبو داود (١٨٩٤)، والترمذي (٨٦٨)، والنسائي (٢٩٢٤)، وابن ماجه (١٢٥٤)، [«صحيح الجامع» (٧٩٠٠)].

الكعبة بيت الله الحرام الذي من دخله كان آمناً.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة:١٢٥]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ۝٩٦ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران:٩٦-٩٧].

عباد الله! جعل الله الكعبة قبلةً للمسلمين من أمةِ محمدٍ ﷺ فهم يتوجهون إليها في صلاتهم، قال تعالى لرسوله ﷺ: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة:١٤٤].

وجاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ ركع ركعتين في قُبُلِ الكعبةِ وقال: «**هذه القبلة**»(١).

عباد الله! في الوقت الذي خرج فيه أبرهةُ الحبشيُّ بجيشه ليهدمَ الكعبة ويخيف أهلها كان رسول الله ﷺ لا يزال حملاً في بطن أمه، وحفاظاً على بيت الله الذي سيكون قبلةً لهذا الرسول الكريم وأمته، وحفاظاً على الرسول الذي تنتظره البشرية ليخرجها بإذن الله من الظلمات إلى النور، من أجل ذلك كُلّه أنزل الله سخطه وغضبه على أبرهةَ وجيشه ليكونوا عبرةً لكلِّ من تُسّوِّلُ له نفسه أن يعتدي على بيت الله الحرام.

العنصر الثاني: للبيتِ ربٌّ يَحْميه.

عباد الله! وهذه الكلمة قالها عبدالمطلب بن هاشمٍ جدُّ رسول الله ﷺ لأبرهة -قائد أصحاب الفيل- الذي جاء لهدم الكعبة.

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٩٨)، ومسلم (١٣٣٠).

عباد الله! تعالوا بنا لنستمع إلى قصة أصحاب الفيل كما جاءت في الكتاب والسنةِ وكتب التفسير والتاريخ.

كان أبرهة الأشرم حاكم اليمن من قِبَلَ ملك الحبشة الذي أرسل جيشاً كثيفاً إلى اليمن، وكان أبرهة أحد الأمراء على في هذا الجيش،

ولما صفا الحكم لأبرهة الأشرم بنى كنيسة بأرض اليمن لم يُبْنَ قبلها مثلها، سمتها العرب «القليسُ» لارتفاعها، ولأن الناظر إليها تكادُ تسقط قُلُنسُوته عن رأسه من ارتفاع بنائها.

وعزمَ أبرهةُ على أن يصرف حج العرب إليها فلا يحجون إلى الكعبة بمكة، ونادى بذلك في مملكته فكرهت العرب ذلك، وغضبت قريش لذلك غضباً شديداً، حتى قصد كنيسته بعضهم ووصل إليها فدخلها ليلاً وأحدث فيها -أي: تغوط فيها- وكرَّ راجعاً من حيث أتى.

فلما علم أبرهة بذلك -وقيل له: إن الذي فعل ذلك بعض قريش- أقسم ليذهبن إلى بيت مكة «الكعبة» وليُخربنّه حجراً حجراً.

وسار بالفعل بجيش كثيفٍ يتقدمهم فيلٌ عظيمٌ لم يُر مثله، وقاتله في طريقه إلى مكة قبائل العرب ولكنه تغلب عليهاحتى وصل إلى مكان بالقرب من مكة فنزل به، ثم أرسل أبرهة بعض جنده، ودخلوا مكة واستولوا على مئتي بعيرٍ لعبد المطلب بن هاشم، **وهو يومئذ كبيرُ قريشٍ وسيدها**، فهمّت قريشٌ وكنانة وهُذيل

ومن كان معهم في الحرب بقتال أبرهة، ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به، لجيشه الكثيف الذي جاء به، فتركوا قتاله.

وبعث أبرهة أحد أعوانه إلى أهل مكة ليأتيه بسيدهم ليكلمه بشأن مجيئه، وأنه ما جاء لقتالهم وإنما جاء لهدم الكعبة فدلوه على عبدالملطب فجاء به إلى أبرهة، فلما دخل عليه هابه وأجلّه ونزل عن سريره وجلس على البساط بجانب عبد المطلب ثم قال لترجمانه: قل له: ما حاجتك وماذا تريد؟ فقال عبدالمطلب: إن حاجتي أن يرّد عليّ أبرهة مئتي بعير استولى عليها أعوانه. فقال أبرهة لترجمانه: قل له: لقد كنت أعجبتني حين رأيتُك، ثم قد زهدتُ فيك حين كلمتني، أَتُكلمُني في مئتي بعير استولينا عليها، ولا تُكلمني في بيت هو دينُك ودين آبائك جئتُ لأهدمه؟! فقال عبدالمطلب: إني أنا ربُّ الإبل وإنّ للبيت ربّاً سيحميه وسيمنعه منك قال: ما كان ليمتنع مني. قال عبدالمطلب: أنت وذاك. **فردّ أبرهة على عبدالملطب إبله** ورجع عبدالملطب إلى قريش، فأمرهم بالخروج من مكة والتحصن في رؤوس الجبال؛ خوفاً عليهم من بطش الجيش بهم، ثم قام عبدالمطلب فأخذ بحلقةِ باب الكعبة وقام معه نفرٌ من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده، ثم خرج هو وقريشٌ إلى الجبال.

فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة وهيأ فيله الكبير وجيشه لدخول مكة، فلما وجهوا الفيل نحو مكة برك الفيل فضربوه ليقوم وينهض فأبى عليهم ذلك، ولما وجهوه إلى اليمن قام يهرول، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك وكلما وجهوه إلى مكة برك، وتبع ذلك أن أرسل الله عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارةٍ فأهلكتهم.

عباد الله! يخبرنا الله -عز وجل- في كتابه عن هلاك أصحاب الفيل، فيقول سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١﴾ -أي: ألم تعلم وتسمع ماذا فعل ربك بأصحاب الفيل الذين قدموا من اليمن والحبشة يريدون تخريب الكعبة. ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢﴾ -أي: جعل كيدهم في ضياعٍ وإبطال- ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣﴾-أي: متفرقة من هاهنا وهاهنا، يتبعُ بعضها بعضاً- ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤﴾-أي: من طين متحجرٍ، وهو طينٌ شديدُ القوة، كما قال تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۝٣٢ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ۝٣٣ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ۝٣٤﴾ [الذاريات]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ۝٨٢﴾ [هود].

﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ -أي: كزرع أكلته الدواب فراثته، فيبس وتفرقت أجزاؤه، فشبه تقطع أوصالهم بما نزل بهم من العقاب، وتفرق آراب أبدانهم، بتفرقِ أجزاء الروثِ، الذي نتج عن أكل الزرع.

عباد الله! ولقد ورد ذكر هذه الحادثة في السنة المطهرة، فمن ذلك أن ناقة النبي ﷺ بركت -وهو قاصدُ مكة للعمرة عام الحديبية- فقالوا: خلأتْ القصواء. فقال النبي ﷺ: «**ما خلأتِ القصواء، وما ذاك لها بخُلُقٍ، ولكن حبسها حابس الفيل**»(١).

ومن ذلك أن النبي ﷺ لما فتح الله عليه مكة قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال: «**إن الله حبس عن مكة الفيل، وسلط عليها رسوله والمؤمنين**»(٢).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٧٣١)، (٢٧٣٢).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٢٤٣٤)، ومسلم (١٣٥٥).

العنصر الثالث: ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾﴾ [غافر]

عباد الله! الكفار في كل زمانٍ ومكانٍ يكيدون لبيت الله ولدينه ولأوليائه، والله -عز وجل- يكيدُ بهم ويجعلُ كيدهم في تضليل، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾﴾ [غافر]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾﴾ [الفيل]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾﴾ [الطارق].

وقال تعالى: ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾ [القلم]، وقال تعالى: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الطور]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الأنفال].

عباد الله! ومن الأمثلة على ذلك من كتاب الله:

١- قوم إبراهيم مع نبي الله إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ
رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا
عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ
﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ
هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ
أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ
أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟
بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنبياء].

٢- فرعونُ مع نبي الله موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ
﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ

وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا سُوٗى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوۡعِدُكُمۡ يَوۡمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحٗى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرۡعَوۡنُ فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾ [طه].

٣- أبرهة وجيشه مع بيت الله الحرام.

عباد الله! كاد أبرهة لبيت الله الحرام فبنى كنيسة بأرض اليمن ليصرف حج العرب إليها، ولم يكتف بذلك بل أرغم الناس على ذلك، ولم يكتف بذلك حتى جهز جيشاً كبيراً وسار به من اليمن إلى مكة ليهدم بيت الله الحرامِ فردّ الله كيده في نحره، وجعل كيده في تضليلٍ، وأنزل عليهم سخطه وغضبه، قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمۡ يَجۡعَلۡ كَيۡدَهُمۡ فِي تَضۡلِيلٖ ﴿٢﴾﴾ [الفيل].

عباد الله! هكذا يكيدُ الله لمن كاد لبيته أو لدينه أو لأوليائه، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ﴿١٧﴾﴾ [الطارق].

العنصر الرابع: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل:٦٢].

عباد الله! الذي يجيبُ المضطر إذا دعاه ويكشف السوء هو الله وحده، قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل].

عباد الله! والكفار يعلمون أنه لا يستجيب الدعاء ولا يكشف السوء إلا الله ولذلك إذا نزلت بهم شدةٌ دعوا الله مخلصين له الدين فإذا كشف عنهم ما نزل بهم رجعوا إلى كفرهم، وهذا ما فعله عبدالمطلب ومن معه من كفار مكة فإنهم عندما علموا أن أبرهة قد جاء بجيشٍ كبيرٍ ليهدم الكعبة توجهوا إلى الله بالدعاء.

عباد الله! وأخبرنا الله -عز وجل- في كتابه عن الكفار وكيف أنهم إذا نزلت بهم الشدة أو مسهم الضرّ لجأوا إلى الله وحده بالدعاء، فإذا كشف الله عنهم ما نزل بهم نسوا ذلك، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يونس].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾ [الزمر].

عباد الله! ومع هذا نرى كثيراً من جهلة المسلمين إذا نزلت بهم شدةٌ أو مسهم الضر لجأوا إلى غير الله ودعوا غير الله! يقول الله -عز وجل- لهؤلاء: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر]. وقال تعالى: ﴿يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾﴾ [الحج]

وإبراهيم عليه السلام قال لقومه الذين كانوا يعبدون الأصنام: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الشعراء].

فيا عباد الله! الذي يستجيب الدعاء هو الله وحده، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠].

والذي يكشف الضرّ هو الله وحده ، قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس:١٠٧].

والذي ترجع الأمور كلها إليه هو الله وحده، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هود].

عباد الله! أما الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من قصة أصحاب الفيل فهذا ما سنعرفه في الجمعة القادمة -إن شاء الله تعالى- إن كان في العمر بقية.

٣٩

السابع عشر: الدروس والعظاتُ والعبر التي تؤخذ من قصةُ أصحاب الفيل

عباد الله! يقول الله -عز وجل- في كتابه: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾ [الأعراف].

عباد الله! موعدنا في هذا اليوم -إن شاء الله تعالى- مع موعظةٍ جديدة من سلسلة المواعظ التي بعنوان: **الفرقان من قصص القرآن دروس وعظاتٌ وعبرٌ.**

أتدرون ما هي يا عباد الله؟

إنها: **الدروس والعظاتُ والعبرُ التي تؤخذ من قصة أصحابِ الفيل**

عباد الله! قصة أصحاب الفيل التي أخبرنا الله عنها في كتابه والتي تكلمنا عنها في الجمعة الماضية فيها دروسٌ وعظاتٌ وعبرٌ كثيرةٌ جداً، منها:

أولاً: الجزاءُ من جنس العمل.

عباد الله! لله في خلقه سننٌ لا تتبدل ولا تتحول ولا تتغير، قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [فاطر:٤٣]

ومن هذه السنن: الجزاء من جنس العمل.

قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦].

وقال تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد:٧]

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ [سبأ]

وقال ﷺ: «**احفظ الله يحفظك**»(١).

وقال ﷺ: «**من سمَّع سمَّع الله به، ومن راءى، راءى الله له**»(٢).

عباد الله! ومن الأمثلة على أن الجزاء من جنس العمل في عقاب المجرمين.

١ - أبرهة اللعين قائد أصحاب الفيل

عباد الله! بنى أبرهة الأشرم الحبشي كنيسةً بأرض اليمن **ليصرف حج العرب إليها** وأمر بذلك ونادى في مملكته بذلك، فكيف كان جزاءه من جنس عمله لقد صرف الله الناس عن تلك الكنيسة وأهانها.

---

(١) **صحيح**: جزء من حديث، أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (١/ ٢٩٣)، [«صحيح الجامع» (٧٩٥٧)].

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٦٤٩٩)، ومسلم (٢٩٨٦) واللفظ له.

وجيش أبرهة لما خرج بعدده وعدته يتقدمه فيل عظيم **هو من أقوى الحيوانات** سلط الله عليه **أضعف المخلوقات**، قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ [الفيل]

خرج أبرهة بجيشه الكثيف يتقدمه فيلٌ لم ير مثله **ليُخرب الكعبة حجراً حجراً**، فكيف كان جزاءه من جنس عمله.

لما أراد أبرهة هدم الكعبة حجراً حجراً عاقبه الله بأن جعل جسده **يتساقط أُنملةً أنملةً**.

ولما أراد تصديع الكعبة انصدع صدره عن قلبه.

ولما خرج **متكبراً ظالماً مغتراً بقوته يريد مكة، عاد ذليلاً ضعيفاً كفرخ الطائر**؛ والجزاء من جنس العمل.

ولما أراد أبرهة وجيشه أن يهدموا الكعبة **وتتابعوا عليها من كل مكان، عاقبهم الله بأن عذبهم بالحجارة التي أتتهم من كل مكان**، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ [الفيل]

فالجزاء من جنس العمل ولا يظلم ربك أحداً.

٢- أبو جهل فرعون هذه الأمة، يقول ابن إسحاق:

(ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره، أرسل إلى قريش: إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم، فقد نجاها الله، فارجعوا، فقال أبوجهل بن

هشام: والله لا نرجع حتى نرد بدراً فنقيم عليه ثلاثاً، فننحر الجزور، ونطعم الطعام، ونُسقي الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمعُ بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهابوننا أبدا فامضوا)[1].

والله عز وجل يقول في وصف هذا الجيش الظالم المتكبر الذي قاده أبو جهل: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنفال]

عباد الله! تعالوا بنا لننظر هناك في غزوة بدرٍ الكبرى لنرى كيف كان جزاء هذا المنتفخ الظالم الكافر المتكبر من جنس عمله.

يقول عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: (بينا أنا واقف في الصف يوم بدرٍ، نظرت عن يميني وشمالي، فإذا أنا بين غلامين من الأنصار، حديثة أسنانها - أي: صغار السن- تمنيت لو كنت بين أضلَعَ منهما فغمزني أحدهما فقال: يا عم! هل أتعرف أبا جهل ؟ قال: قلت: نعم ، وما حاجتك إليه؟ يا ابن أخي!

قال: أُخبرت أنه يَسُبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي نفسي بيده! لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده:- جسدي جسده- حتى يموت الأعجلُ منا، قال: فتعجبتُ لذلك، فغمزني الآخر فقال مثلها، قال: فلم أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يَزُولُ في الناس. فقلت: ألا تريان؟ هذا صاحبُكما الذي تسألانِ عنه، قال: فابتدراه فضرباه بسيفيهما حتى قتلاه.

(١) انظر: «البداية والنهاية» (٣/ ٢٨٢).

ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه فقال: «**أيكما قتله؟**» فقال كل واحد منهما: أنا قتلته، فقال ﷺ: «**هل مسحتما سيفيكما؟**» قالا: لا

فنظر في السيفين فقال: «**كلاكما قتله**»(١).

ويقول أنس رضي الله عنه: قال النبي ﷺ يوم بدر: «**من ينظرُ ما فعل أبو جهلٍ؟**» فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى برد، فأخذ بلحيته فقال: أنت أبا جهل؟ -أي: أنت المقتول يا أبا جهل؟! وخاطبه بذلك مقرِّعاً له ومستشفياً منه لأنه كان يؤذيه بمكة- قال: وهل فوق رجل قتله قومه؟ أو قال: قتلتموه (٢).

وفي حديث ابن عباس عند ابن إسحاق والحاكم قالَ ابنُ مسعود: فوجدتُه بآخرِ رمقٍ، فوضعتُ رجلي على عنقه فقلتُ: أخزاك اللهُ يا عدو الله! قالَ: وبما أخزاني؟ هل أعمدُ من رجلٍ قتلتموهُ -أي: وبما أخزاني من رجل قتله قومه-

ثم قالَ لابن مسعود: لقد ارتقيتَ يا رويعَ الغنم مرتقى صعباً قال ابن مسعود: «ثم احتززتُ رأسهُ فجئتُ به رسول الله ﷺ فقلتُ: هذا رأسُ عدوِ اللهِ أبي جهل.

فقال ﷺ: «**واللهِ الذي لا إله إلا هو؟ فحلف له**».

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣١٤١)، ومسلم (١٧٥٢).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٣٩٦٣).

وفي رواية: «فحلف له، فأخذ رسولُ الله ﷺ بيده ثم انطلق حتى أتاهُ فقام عندهُ فقال: «**الحمد لله الذي أعز الإسلام وأهله ثلاث مرات**»[١].

٣- رأسُ المنافقين عبدُ الله بن أُبي بن سلول.

عباد الله! ماذا قال وماذا فعل ابنُ سلولٍ في حق رسول الله ﷺ وأصحابه.

يقول جابرُ رضي الله عنهما: (كنا في غزاةٍ فكسعَ رجلٌ من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار. وقال المهاجريُّ: يا للمهاجرين. فسَمَّعَها اللهُ رسوله ﷺ قالَ: «**ما هذا؟**». فقالوا: كسعَ رجلٌ من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين. فقال النبي ﷺ: «**دعوها فإنها مُنتِنةٌ**».

قال جابر: وكانت الأنصارُ حين قدمَ النبي ﷺ أكثر ثم كثر المهاجرون بعدُ، فقال عبدالله بن أُبي : أوقد فعلوا؟ والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعز منها الأذل)[٢].

وفي «البخاري» من حديث زيد بن أرقم قال: (كنت في غزاة فسمعت عبدالله بن أُبي يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، ولئن رجعنا من عنده ليُخرجن الأعز منها الأذل...)[٣] الحديث.

---

(١) انظر «فتح الباري» (٧/ ٢٩٥).

(٢) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٩٠٧)، ومسلم (٢٥٨٤).

(٣) **صحيح**: أخرجه البخاري (٤٩٠٠)، ومسلم (٢٧٧٢).

عباد الله! وقد أخبرنا الله -عز وجل- في كتابه بما قاله هذا الخبيث:

قال سبحانه وتعالى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝٧ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾ [المنافقون].

عباد الله! فكيف كان جزاءُ هذا الخبيث من جنس عمله.

فاسمعوا، لقد أتى ولده عبدالله بن عبدالله بن أبي بن سلول رضي الله عنه رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنه بلغني أنك تريد قتل عبدالله بن أبي فيما بلغك عنه، فإن كنت فاعلاً فمرني به، فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله، لقد علمت الخزرج ما كان بها من رجل أبرَّ بوالده مني، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله، فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبدالله بن أبي يمشي في الناس، فأقتله، فأقتلُ مؤمناً بكافر، فأدخل النار.

فقال رسول الله ﷺ: «**بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا**» وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه، ويعنفونه[1].

وفي التفسير عند ابن كثير:

ذكر عكرمة وابن زيد وغيرهما: أن الناس لما قفلوا راجعين إلى المدينة وقف عبدالله بن عبدالله هذا على باب المدينة، واستل سيفه، فجعل الناسُ يمرون عليه،

(١) انظر: «الجزاء من جنس العمل» (١/ ٢٧٩).

فلما جاء أبوه عبدالله بن أُبي قال له ابنه: وراءك فقال: مالك ويلك؟ فقال: والله، لا تجوز من هنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ فإنه العزيزُ وأنتَ الذليلُ، فلما جاء رسول الله ﷺ وكان يسير ساقه -أي: في مؤخرة الجيش- فشكا إليه عبدالله بن أُبي ابنه، فقال ابنه عبدالله: والله يا رسول الله لا يدخلها حتى تأذن له فأذن له. رسول الله ﷺ.

فقال: أمّا إذا أذن لك رسول الله ﷺ فجُز الآن[1].

عباد الله! انظروا إلى هذا الرجل الذي كان وجيها عند قومه، جاء إليه رسول الله ﷺ وهو على حمارة مر بها على طريق سبخه، وجعل يدعوه إلى الإيمان وهو يقول له: ابعد عني يا محمد، فإن رائحة حمارك تؤذيني فيقول له ابن عم له، والله لريحُ حمار رسول الله أطيبُ من ريحكِ فانظروا عباد الله أذلهُ الله وأهانهُ وصغَّرهُ من أقرب الناس إليه، فالجزاء من جنس العمل، ولا يظلم ربك أحداً.

٤ - مسيلمة الكذاب:

عباد الله! هذا الكذاب الذي كذب على الله ورسوله، فشانهُ الله وفضحهُ بكذبه، فما يسمى إلا مسيلمة الكذاب، وكفى بذلك جزاءً في الدنيا، وكفى بنهايته أن قتله وحشيُّ العبد. فكيف به يوم القيامة يوم يفضحه الله على رؤوس الخلائق؟!

---

(١) انظر: «الجزاء من جنس العمل» (١/ ٢٨٠).

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ (٦٠)﴾ [الزمر]، وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (١٨)﴾ [هود].

عباد الله! رسولنا محمد ﷺ هو رسول الله حقاً وصدقاً، وهو الذي جاء بالصدق وصدق به. أما مسيلمة فقد كذب على الله وعلى رسوله وعلى الناس فكان الجزاء من جنس العمل، فلا يقالُ «محمدٌ» إلا ومعها «رسولُ الله ﷺ». ولا يقالُ «مسيلمة» إلا ومعها «الكذاب»؛ فالجزاء من جنس العمل، ولا يظلم ربك أحدا.

٥- الكفارُ الذين يسخرون ويستهزءون ويضحكون من المؤمنين في هذه الحياة الدنيا قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣)﴾ [المطففين].

عباد الله! فكان الجزاء لهم عند الله من جنس عملهم، قال تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦)﴾ [المطففين].

٦- فرعونُ -لعنهُ الله- الذي علا في الأرض وأفسدَ فيها، وذبَّح الأبناءَ، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ ۚ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤)﴾ [القصص].

حتى لقد قال لقومه: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ (٢٤)﴾ [النازعات]، وقال لهم أيضاً: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص:٣٨]، وقال لهم: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٥١)﴾ [الزخرف].

عباد الله! فعاقب الله عز وجل فرعون بعقاب من جنس عمله، فأذله وأغرقه في الأنهار التي اعتز بها، وجعله عبرةً لمن اعتبر.

قال تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [القصص]. وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس].

٧- قارون:

عباد الله! قارون بغى على قومه بكثرة ماله وتكبرَ في الأرض على الناس بكثرة ماله.

قال تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ [القصص:٧٦] لقد كان السبب في هذا البغي هو المال، كما قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ [القصص:٧٦].

عباد الله! وتأملوا كيف عاقبهُ الله بعقاب من جنس عمله: لقد خسف الله عز وجل به وبماله الأرض التي تكبر عليها، قال تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص:٨١].

وقال ﷺ: «**بينما رجلُ يمشي قد أعجبته جمته وبرداه إذ خُسف به الأرض، فهو يتجلجل في الأرض حتى تقوم الساعة**»(١).

---

(١) **صحيح**: أخرجه البخاري (٥٧٨٩)، ومسلم (٢٠٨٨) واللفظ له.

٨- قوم لوط الذين انقلبت فطرتهم:

عباد الله! إن من الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها: أن يأتي الرجالُ النساء شهوةً بنكاح شرعي، ولكن قوم لوطٍ انقلبت فطرتهم فكانوا يأتون الرجال شهوةً من دون النساء.

قال تعالى في وصفهم: **﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾** [العنكبوت:٢٨-٢٩].

وقال تعالى -أيضاً- في وصفهم: **﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾** [النمل].

عباد الله! إن قوم لوطٍ لما انقلبت فطرتهم عذبهم الله بأن قلب عليهم الأرض وجعل عاليها سافلها،

قال تعالى: **﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾** [هود]. فالجزاء من جنس العمل، ولا يظلم ربك أحداً.

ثانياً: من الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من قصةِ أصحابِ الفيل: العاقلُ من اتعظَ بغيره.

عباد الله! على العاقل أن يتعظ بمصارع المجرمين العصاة من قبله ومن حوله.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١﴾ [الفيل]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦﴾ [الفجر]، وقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ۝١١﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ۝٤٢ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ۝٤٣ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝٤٤ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ۝٤٥ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ۝٤٦ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ۝٤٧ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ۝٤٨﴾ [الحج].

ثالثاً: من الدروس والعظات والعبر التي تؤخذ من قصة أصحاب الفيل: عاقبة الظلمُ وخيمةٌ في الدنيا والآخرة.

عباد الله! وهذا يؤخذُ من قصة أصحاب الفيل مما حل بهم من العقاب، فقد خرج أبرهة بجيشه الكثيف يتقدمه فيلٌ عظيم لم يُرَّ مثلهُ، ظالماً باغياً، يريد هدم الكعبة ظلماً وعدواناً فأمهله الله عز وجل حتى وصل بالقرب من مكة فأنزل عليه سخطه.

يقول ﷺ: «**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته**» ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ۝١٠٢﴾ (١) [هود].

عباد الله! الظلمُ سببٌ للهلاك والعذاب في الدنيا.

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣).

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ۝٥٩﴾ [الكهف].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ۝٥٩﴾ [القصص].

وقال تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٥﴾ [الأنعام]

وقال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٤٠﴾ [العنكبوت]

عباد الله! أما في الآخرة فالظلم سببٌ للندم والحسرة والعذاب الأليم في نار جهنم.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۝٢٧ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝٢٨ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ۝٢٩﴾ [الفرقان]، وقال تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ۝٢٣ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ۝٢٤﴾ [الصافات]، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ۝٢٩﴾ [الكهف].

اللهم أنفعنا بما علمتنا، وعلمنا ما ينفعنا، وارزقنا علما...

الفهارس العامة

- فهرس الآيات
- فهرس الأحاديث
- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات

الفاتحة

الأنعام

الأعراف

الأنفال

التوبة

يونس

هود

يوسف

مريم

الحج

الشعراء

العنكبوت

سبأ

فاطر

يس

الزمر

غافر

فهرس الأحاديث

فهرس الموضوعات